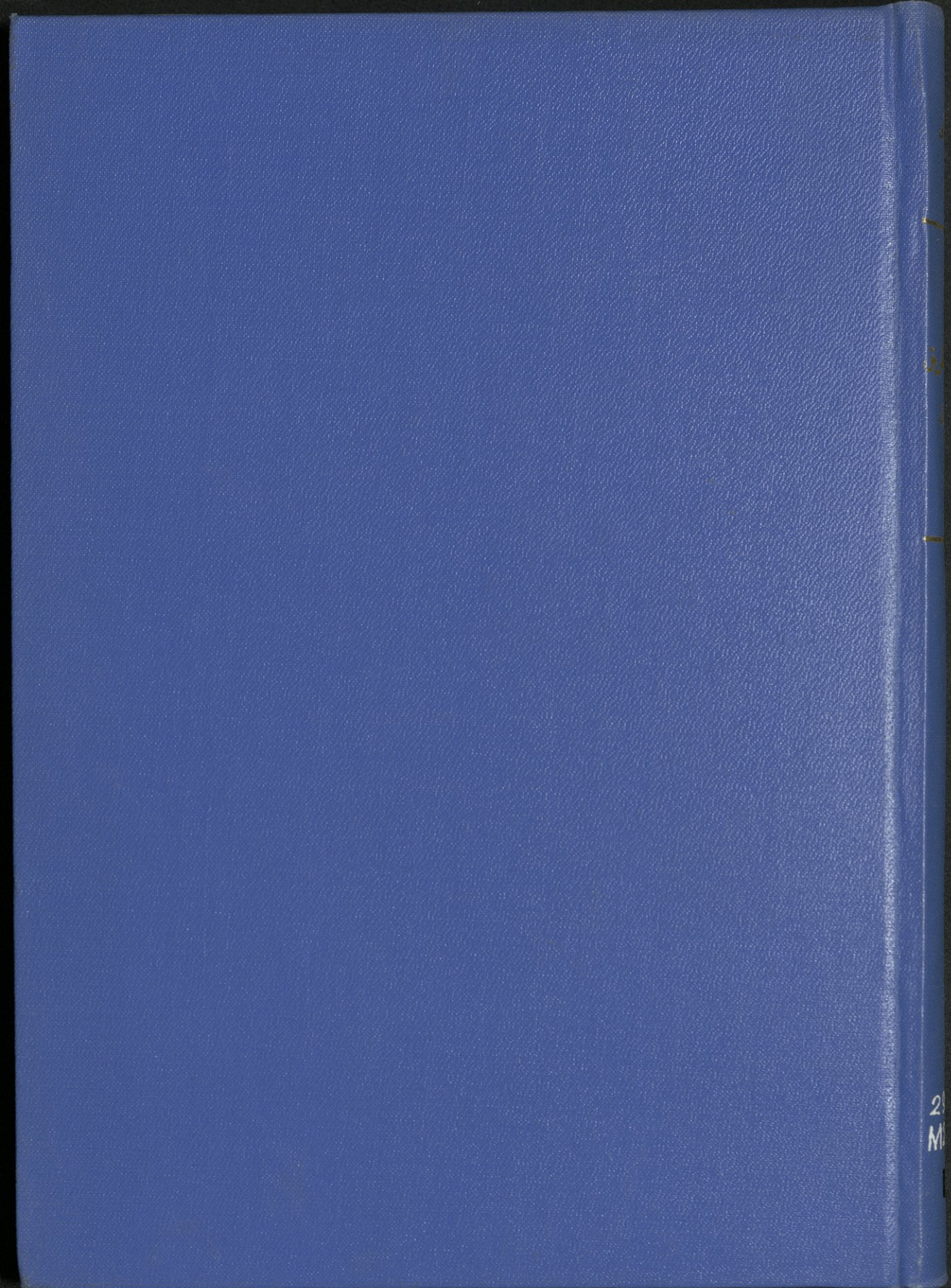
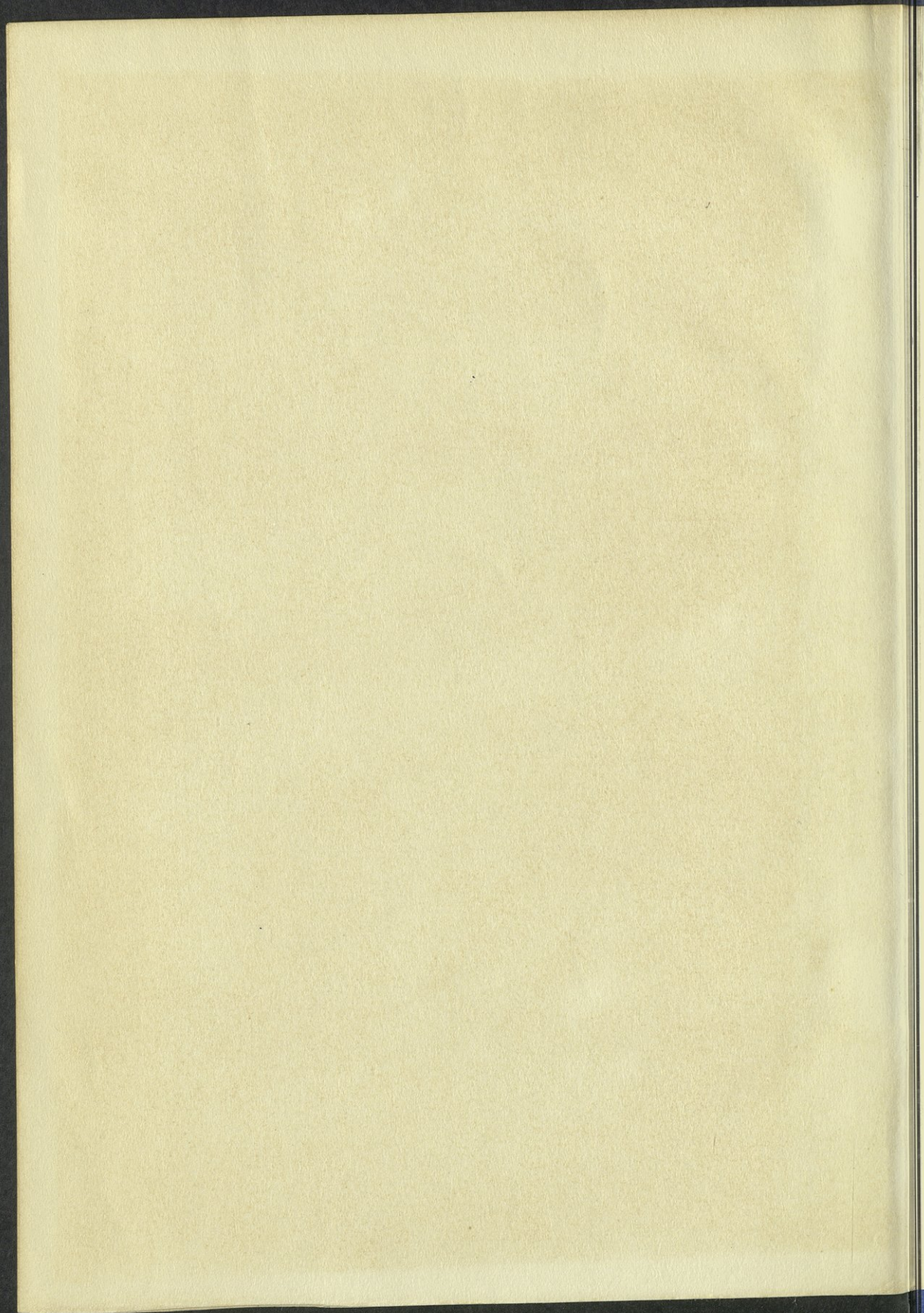
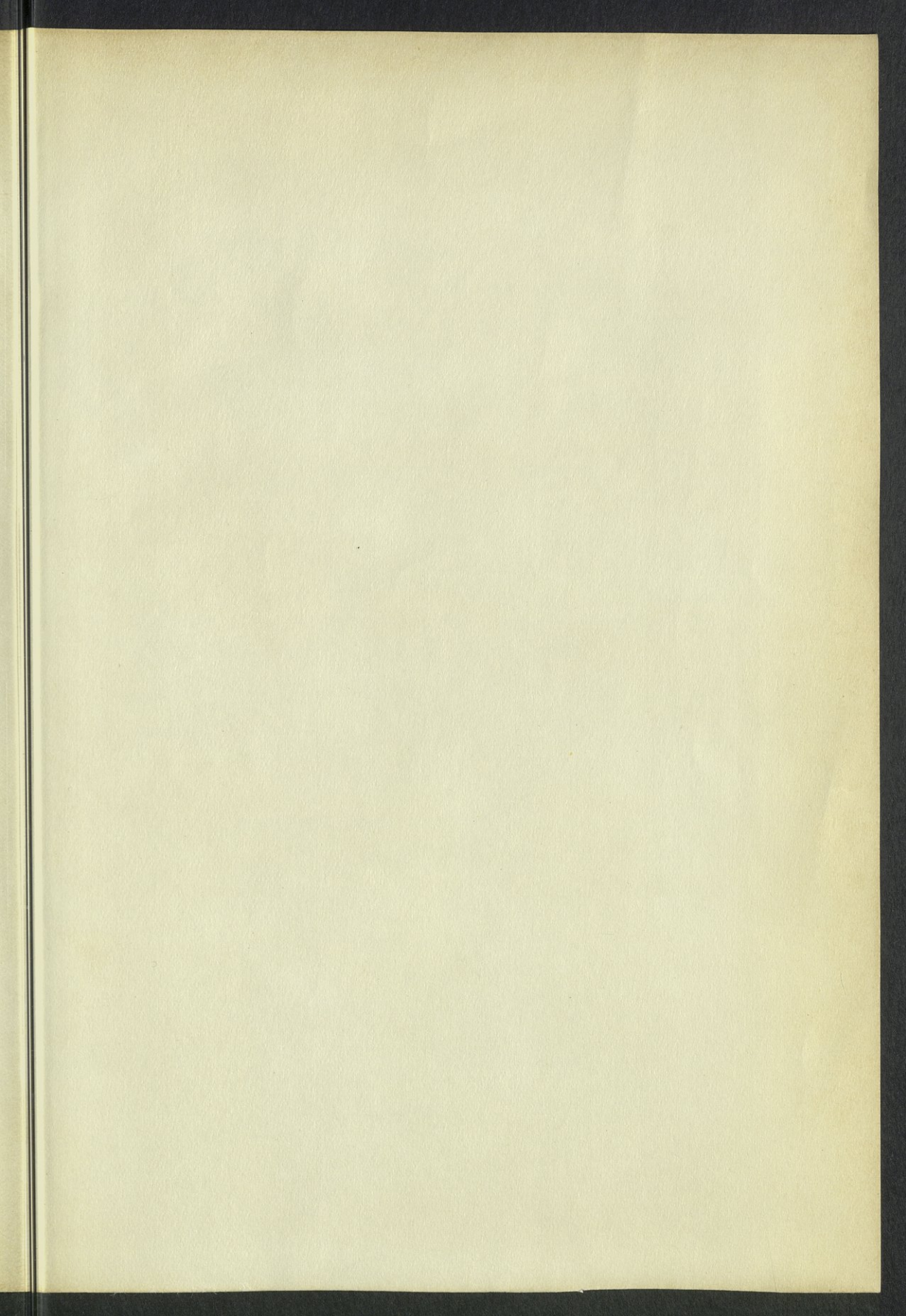
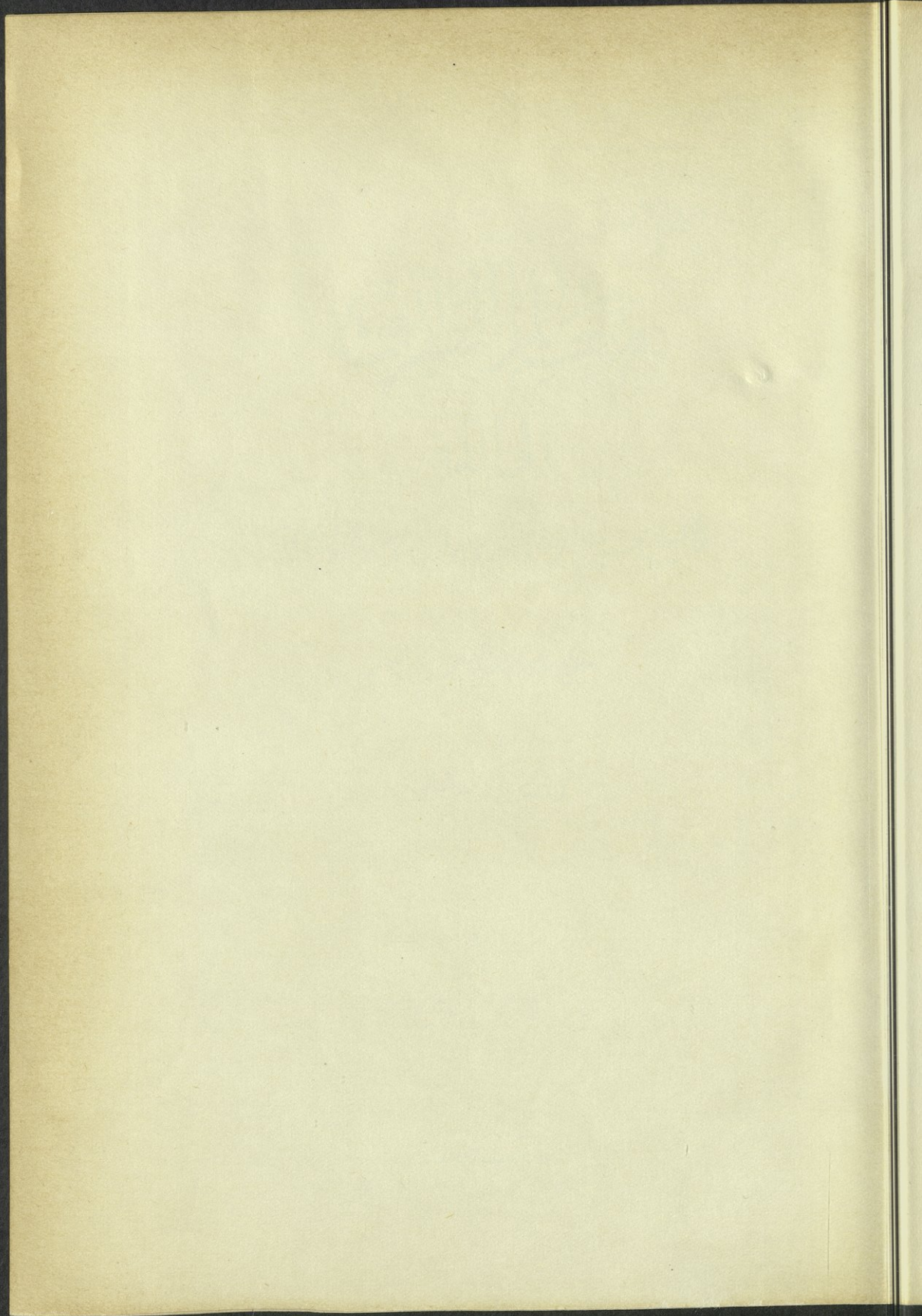


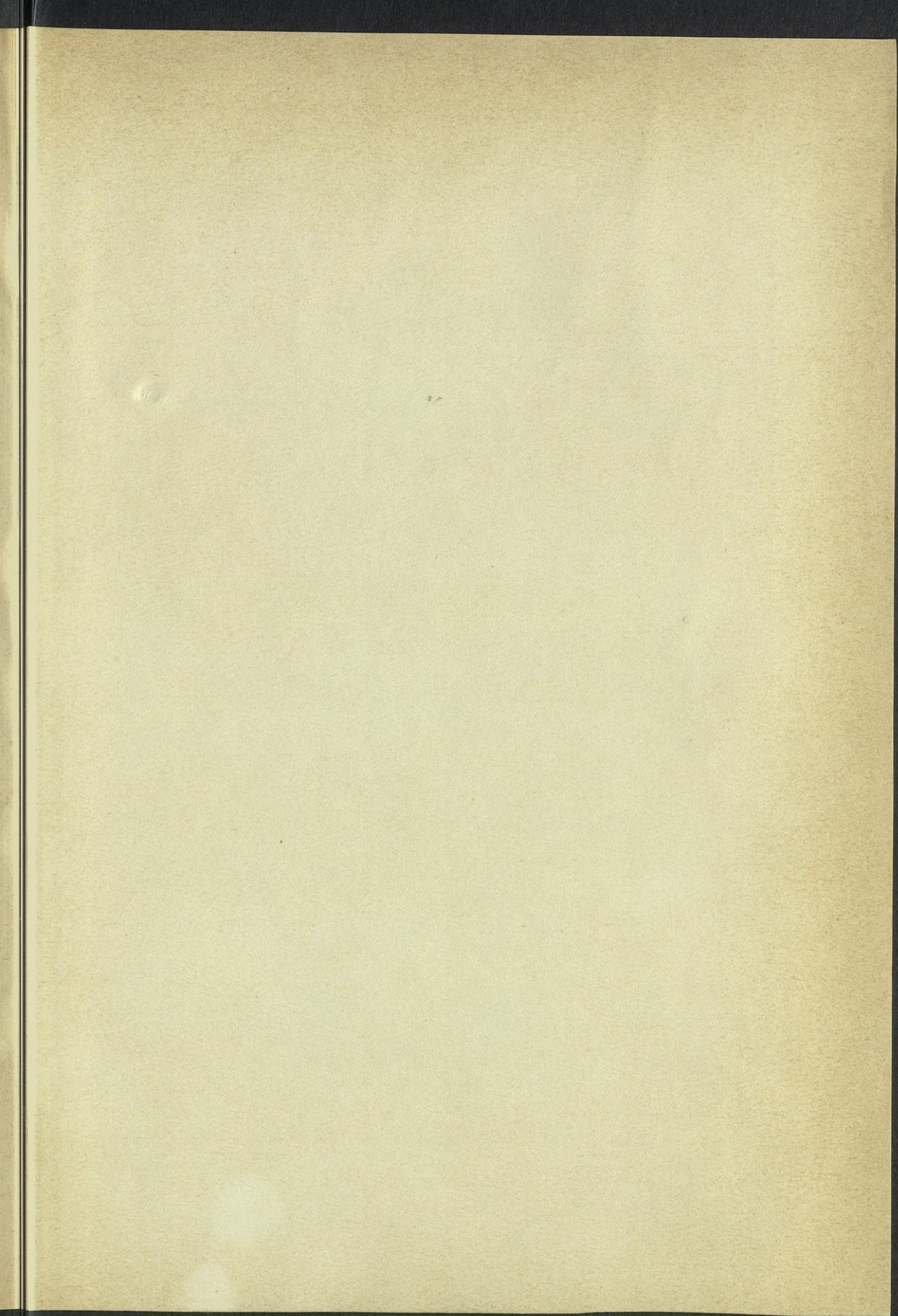


AMERICAN UNIVERSITY
LIBRARY
OF BEIRUT









دائرة المعارف الصوفية

297.04
M29m A

مَعْرِفَةُ الطَّائِفِ

إِلَى اللَّهِ

في الجمع بين الشريعة والطريقة والحقيقة على ضوء من نور الإسلام والائمان والاحسان

مترجم من نظم العقل ونظم العلم

تأليف

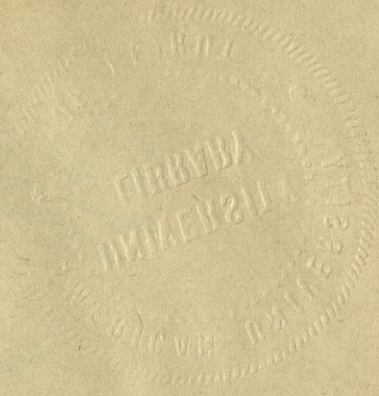
السيد محمود أبو الفيز المنوفي

١

كتاب المفتاح

دار العالم الإسلامي

١٨ شارع عبدالخالق شروت - ٧١٨١٤ م. ب. ٣٠١٤ القاهرة



دار العهد الجديد للطباعة
كامل مصباح - ت : ٥٠٨٥٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد هو الأول ولا شيء قبله والآخر ولا شيء بعده تفرد بالوحدانية ولا شريك له في أبديته كما أن ليس له قبل في أزليته ذلكم الله ربكم الذي أقام بها عليّة صفاته كيان الظواهر فكان لها بذاته هو الباطن . وبما كانت به البداية كان لصيرورتها هو الغاية حيث به قامت فكان القيوم وإليه صارت فكان الوجود الحق وما سواه معدوم ولذا قال عز من قائل : هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم .

والصلاة والسلام على العبد المحمود والرسول الشاهد والحبیب المشهود حمد المسكّل دون كلّ متصف ومعدود وأحمد الخلق والصفات وأطهر من أنجب للآباء والأمّهات فلق الهدى ومجلى الحق من دامن الدجى الموصوف بالخلق العظيم والروح الكريم فيض النور ونموذج الجمال وجلال درة عقد الوجود وصاحب المقام المحمود والخوض المورود فما من علم للهدى وجد أو إمام متبع خلق أو منار للحق يقتدى به إلا وهو وصلته ونقطة صلته ومعقد غايته وفاقحة هدايته كيف لا وهو الباب لمن لا رب له ولا معبود سواه . قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله .

اللهم فاغدق من مزن صلاتك الدافقة ولطيف سلامك الذى هو عين رحمتك واجعلهما صلاة وسلاما دائمين متلازمين لا يحد من دوامهما كون ولا زمان ولا يصل إلى ذروة علاهما كم ولا مكان واجعلهما سارين سريان الأمر الذاتى فى الوجود الصفاتى والإبداع الإمكانى لتقويم العالم الفانى .

واجعل من ذلك كله كفلا عظيما لإخوانه الأنبياء والرسل الكرام وآله
وأصحابه وسائر المهتدين بهديه والتابعين لسنة واجعل لى من ذلك عندك
شهادة من شهد خلاصا (بأن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده وحيه ورسوله)
ثم اقتدى بشرعه وتابع هداه .

فاعلم أحاطك الله بالطفاه ولا أخلاك من رحمته وباعد بينك وبين معصيته
أن الغرض المنشود لكل إنسان من هذا الوجود الذى نعيش فيه هو جلب
السعادة ودفع الشقاوة والطريق إلى استنباط ما يؤدى إلى هذه السعادة
وما يدفع الشقاوة هو الدين القويم والعقل السليم والدين والعقل لا يتناقضان
ثم هما يستحكمان بالعلم وسبيل ذلك الفقه فى كتاب الله وسنة رسوله والعمل
بهما مضافا إلى ذلك النظر فى خلق الله وكريم صنعته وتكون الحكمة المستمدة
من هذه الغاية هى الثمرة الحلوة والنتيجة المتاحة لأولى الألباب وبالحكمة بعد
العلم تتحقق المعرفة .

ثم النظر فى خلق السموات والأرض بالفكر والقلب والمعرفة الحققة
تجلب بالنظر السليم واستنباط النظر السليم لا يتم إلا بالتفكير والتذكر وذلك
موضعه العقل ثم القلب ثم الروح - وهذا موجب للعبارة وتحذر من التهاكة
ومؤد لاستقامة الطبع وذلك معنى التقوى . ولا تتم الاستقامة ولا كمال
المعرفة إلا بالاستقراء والاستقصاء لمواطن الحق ومواقع الخير وبقى القيم
فإذ صبح النظر واستقام المنهج رشد الإنسان فى فهم الحقائق وتبصر فى العواقب
واتضح له الفارق بين الحق والباطل وذلك مقصود رب العالمين من ذكر
الصرائط المستقيم وهو كالمخطط المفروض بين واديين من تفریط وإفراط يؤدى
إلى واحدة من نتيجتين إما الهدى وإما الضلال ونهاية من نهايتين إما الشهود
شهود وجه الحق فى جنات النعيم وإما السقوط الأبدى فى وادى الجحيم
والنعيم فى أعلى عليين والجحيم فى أسفل سفلين فليفهم من له قلب أو ألقى
السمع وهو شهيد وذلك منوط بصواب الرأى أو خطئه واستقامة مسلك
النفس أو اعوجاجه فاستقامة الرأى تحصل بالنظر العقلى السليم وأما مسلك

النفس فبالنوجيه والمجاهدة وهذا النوجيه يحصل بالشرع علما وعملا وحالا وهو طريق يؤدي بصاحبه إلى حقيقة الإسلام ثم حقيقة الإيمان ثم حقيقة الإحسان وبعبارة أوضح إلى تذوق الشريعة وتفهم الطريقة ومشاهدة الحقيقة ولما كان هذا الأمر من الخطورة بمقدار عظيم لأنه السبيل القاصد إلى الحق والصرائط المستقيم المذكور في أم الكتاب والطريق الاوحد إلى رحاب الحقيقة وأعتاب الحضرة ومجلى الشهود استخرت الله في وضع كتاب يكون كالمرجع الجامع للمناهج الثلاثة (الشريعة والطريقة والحقيقة) على قاعدة أن لا مدخل للطريقة إلا من باب الشريعة ولا وصول للحقيقة إلا بالسلوك في مقامات الطريقة كما لا ينمو إيمان دون اسلام ولا تنبت شجرة الإحسان إلا عن بذرة من صادق الإيمان، وقسمت ذلك المنهج إلى أربعة كتب كتاب المفتاح وكتاب الشريعة ثم كتاب الطريقة وكتاب الحقيقة وجعلته كدائرة معارف للتصوف بقدر الامكان بعد أن مهدت له بثلاثة كتب: (كتاب المدخل إلى التصوف الاسلامي وكتاب بداية الطريق إلى مناهج التحقيق وكتاب جرة الاولياء وأعلام أهل التصوف) وعلى مثل هذا النمط نكون قد قسمنا منهجنا هذا إلى سبعة كتب وسمينا الكتاب الجامع لكل ذلك (معالم الطريق إلى الله) في الجمع بين الشريعة والطريقة والحقيقة هي. وقد مهدنا له بمدخل يكون بمثابة المجاز إلى فهم علوم أهل التصوف وزيلناه بمسطلحاتهم وهذه الكتب مجتمعة تعتبر كالمسلك الواحد والمنهج الموصل إلى حقيقة العلم الذي كان تأليفنا بصدده (والله يهدي من يشاء إلى سواء السبيل) وها قد أن أن نشرع في كتاب (المفتاح) (١).

والله أسأل أن يوفقنا وإياكم إلى ما فيه صلاح أنفسنا وحسن خواتمنا فهو الموفق لعظام الامور وجلال الاعمال.

(١) ونعني بكتاب المفتاح. نقل المعلوم إلى طبقة ما وراء الحس والعقل وهو عالم الوجدان والبصيرة اللائق بالتصوف الذي نحن بصدده والذي يجب أن منطقته يشتمل على كفايات الحس والعقل والبصيرة جميعا

كفايات المعرفة الصحيحة

إعلم عليك الله من عليه المكنون أن الحقائق نسبية ومطلقة . وعرفان الحقائق النسبية يكون بكفايتي الحس والعقل ولكل منهما منطقة المعلوم . وعرفان الحقيقة المطلقة أو حقيقة الحقائق لا يكون إلا بصير القلب أو الذوق الفطري أو قل بالبصيرة وذلك المنهج الآخر - منطقة الروحي . وتلك الإدراكات أو الكفايات كلها مجتمعة فطريا في الانسان وهي من أخص خصائصه (الإدراك الحسي والإدراك الفكري أو الشعور أو الإدراك الوجداني أو الروحي المنعكس على القلب الإنساني من النور الإلهي) .

وتصل كل كفاية من هذه الكفايات بناحية نسبية من الحقائق والعقل الوجودية . وفي تضافها وتمكافلها على النظر (النظر الصحيح في خلق السموات والأرض وفي النفس) منهج مؤد - على قدر الطاقة - إلى عرفان الحقيقة المطلقة وبعبارة أخرى « الذات الكلي الأعظم » أو حقيقة الحقائق ويحصل العلم ، الكوني بالإدراك الحسي والنظر العقلي طبعاً أو « الفلسفة » وذلك بالمنطق العقلي على أن يكون سليماً ومسقياً .

وتحصل المعرفة الإلهية بالذوق القلبي الصوفي الناتج عن الصفاء الذاتي مضافاً إليه نتائج العقل والحس بالإلهام الرباني والكشف الإلهي وبواسطة السلوك على يد مرشد كامل يحصل الفتح ومجال ذلك علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين ، وموضوع بحث اليقين ذات الله وصفاته وأسماؤه تعالى وقلنا « إن انتهاج المنهج السليم للتفكير هو النظر في الكائنات الوجودية ، الظاهرة المرئية والباطنة المعقولة وفي الحقائق الروحية الإلهامية تكون كل هذه الكفايات مجتمعة فيفضي ذلك إلى المعرفة الكاملة . وهذا يتم بثلاث وسائل من ضروب النظر .

الوسيلة الأولى : النظر الطبيعي الواقعي وأدواته الحس ومجالاته وظواهر الكائنات المحسوسة وخصائصها ونتائجها المعقولة ومنطق ذلك المنهج الحسي وموازنته المدركات الحسية بمنطقها الحسي ولا مجال لذلك المنهج فيما وراء ذلك من معقولات عدا تأييد نتائج الحسية وتنظيم قضايها بضروب من منطق العقل .

الوسيلة الثانية : النظر العقلي المحض ومجالاته المدركات الذهنية الفكرية التي لا مجال للحس فيها إلا أن يسترشد بمنطق العقل على صحة نتائج قضايها العلمية التي تهيم الإنسان لأدراك صحة نتائج الحس بما وراء الحس من مدارك معقولة ومسببات ظاهرة موصولة بأسبابها غير المنظورة .

الوسيلة الثالثة : هي النظر الروحي البصيري ومجالاته المعاني الغيبية أو الحقائق الإلهية الذوقية وتلك مشاهد غيبية مما فوق متناول الحس والعقل والفعل معاً في مقابل المشاهد الحسية والعقلية . وما وظيفة الإدراك العقلي إلا أن يكون صلة متوسطة بينهما ، الروح والجسم أو الكائنات الوجودية وحقائقها العلمية المعقولة .

وملخص القول : إن النظر الحسي يختص بظواهر هذه الكائنات الإمكانية ووجودها المشهود لحواسنا وجود اعتباري لأنها (الأشياء السكونية) مجرد ظاهرات لحقائق مغيبة تدرك ولا تحس هي أسبابها وعلة وجودها . والنظر العقلي من أخص خصائصه ربط العلاقات الوجودية بين ما هو منظور ومدرك بالحس وما هو غير منظور يدركه العقل ، وأما النظر الروحي البصيري فهو معيار سائر ما يسمو على مدركات الحس والعقل معاً من سائر الحقائق الوجودية وله مع ذلك منطق الخاص به وقد يستخدم النظر الروحي البصيري منطق الحس والعقل لإبراز قضايها الغيبية من طريق التشبيه والمجاز (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) وفي أنفسهم أفلا تبصرون .

وما اختلاف الناس في مباحثهم - علمهم وجاهلهم - إلا تابع لاختلاف وجهات النظر ، وبعبارة أخرى إن ذلك ناشئ من اختلاف الوسائل والمقاييس المنطقية في إدراك الحقائق ، والمثال الذى يوضح ذلك ، أنك إذا شاهدت زهرة من زهرات الورد مثلا فيها لون وعبير وجمال ثم ذهبت بجميع وسائل النظر وما عرضنا عليك من جميع كفايات المعرفة وموازينها - واحدة أثر واحدة - (الحس والعقل والبصيرة) فالعين وهى أقوى الحواس وأشدّها تحصيلًا للحسّات لا تعطيك من خصائص هذه الزهرة إلا مجرد لونها ، واللون لا يكفي أن يقوم حكما على عموم حقيقةها لأن علامة الخطر أيضا حمراء وهى تتفق فى اللون مع الزهرة إذا كانت حمراء وكذلك لون النار ، فإذا ذهبت تستخرج من تلك المعانى وهى معانى متناقضة ، حقيقة زهرة الورد بعدت كثيرا عن الصواب لاشتراك الجميع فى مجرد اللون ، وكذلك الشم وهو فى المرتبة الثانية بالنسبة للنظر لا يعطيك من تلك الزهرة سوى عبيرها ، فإن كان صاحب هذه الحاجة مزكوما لم يشعر بذلك العبير وهو يعبق فى الجو من حوله ، فإن كان سليم الشم أحس العبير ولكنه محتاج إلى استعمال التصوير العقلى والذوق الوجدانى فى تعليل ذلك العبير وفى سبب انبعائه وسبب الارتياح الناشئ عن الشعور به .

وإذا عللت حقيقة الزهرة بمجرد النظر العقلى لا تنبصر فيها إلا نبتة مسيبة عن بذرة استمدت تكوينها من أسباب طبيعية كالماء والتربة والشمس والهواء حتى نمت فأزهرت . ولا ينظر المنطق العقلى فيما وراء ذلك من أسباب روحية أو جمالية إلا أن يستعين الإنسان بالنظر الوجدانى البصيرى . وهنا ما يشعر بالوجدان - وهو نتيجة الشعور الذوقى المنبعث عن نور البصيرة - أطيافا معنوية عبقرية مجتمعة من الجمال والأريج واللفظ والإبداع فى الصنع مما يجعل الروح فرحة نشيطة متسامية بنوع من التسامى العلوى وهنا يدع الإنسان العقل والحواس فى ذهول محايّد حادث عن قصور ذاتى فى الإدراكين الحسى والعقلى لانتهاؤ وظيفتيهما عند هذا المدى وتبقى الشعاعية - شاعرية الوجدان والبصيرة وحدهما .

ثم انتقل معنا لفحص بالنظر آلة موسيقية مثلاً فلا يرى الحس المجرد فيها سوى كم منتظم وجرم محدود ذى طول وعرض وعمق . ثم عرضها على العقل فلا يرى العقل فيها غير أن تلك الأدلة تدل في صنعها على تفكير وهندسة وابتراع معقول أريد به مجرد أن تكون لعبة أو ملهاة . ثم سل الوجدان والروح والبصيرة والقلب والعاطفة سل أولئك - وقد انتهت وظيفة الحس والعقل - عند هذا الحد فكيف تلك الآلة . فيجيبك الجميع بأنها عبارة عن جامد ناطق وصامت متكلم وأداة من الأرض تبعث سائر بواعث السماء في الروح والقلب كالخير والجمال والحق إذا تسامت فمكرة السامع بها . وقد يحل السامع ويحرم بحسب قصد السامع وغايته .

وتعلم من هذا البيان أن الحواس لا ندرك العلل المسيطرة على عالم الحس أو المكونة له إلا بنور العقل ، فهو المصحح ، وأن العقل لا يتسامى في نظرته للوجود إلا بمعاونة الذوق البصير ، وهو اللب ، الموصوف بقوله تعالى وما يتذكر إلا أولو الألباب .

وقلنا في كتاب الوجود : إن العقل لا يؤيد الحواس إلا إذا استقامت في أحكامها ولا يستقيم العقل في أحكامه إلا إذا قومه القلب أو اللب فأنتد يكون نهم المرشد والموجه للإنسان . . وناهيك بمنطق يؤسسه حس صحيح وعقل راجح وقلب بصير وانظر بصرك الله تعالى في قوله عز وجل « إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » .

ثم انتقل من تلك الأبعاد الطبيعية بأسرها وقل لي بربك ماذا يريك فيها منطق الحس سوى كفيات وكميات وهيئات وظروف مكانية وأنات زمانية محدودة المسافات محصورة الأبعاد منتظمة التراكيب ذات أسباب ونتائج لا تزيد عن أنها مجرد ظاهرات لا يعلم الحس مارواها من علل وما درت الحوادث التي ترى أشياء مجسمة جامدة أو سائلة أو غازية

متبخرة أن كل ما ترى الحواس وتسمع وتشم وتذوق وتلمس : إن كل ذلك إلا مجرد إشعاعات نورانية تجسمت أطياها بقوى الدفع والجذب والبطء والسرعة لا تدرك الحواس مداها ولا تبصر ألوانها . لأنها مجرد طاقة لإشعاعات كونية خفية غير محسوسة ولا مرئية .

ثم أعرض شبيهة الأشياء على عين العقل فيدرك أن وراء تلك الكائنات المرئية عللا وأسبابا من القوة والحركة والسرعة غير مرئية وأن لها قوانين تنظمها وأسرارا وراء القوانين تنظمها وتقدرها وتسكنها جميعها لا تحس ولا تنظر وإن كانت تدرك بالعقل وإلى هنا يتهى مجال العقل ويتحدد مدى ما يؤديه من نظر ومنطق عقلي وليس له فيما فوق ذلك من مجال لأن العقل بتصحيحه لأخطاء مدركات الحواس التي كانت تغشى منطقها الخاص يتحرر من حجابها وكذلك العقل أن امدته البصيرة باع منتهى مدركاته العقلية وكانت مدركاته العقلية مستقيمة أنضى به المنطق العالى إلى ميدان البصيرة فيستشرف إليها لتذوق من أضواءها وبذلك نفهم أن الإدراك الحسى إذا لم يستقم في نظره للوجود قد يكون حجابا بالنسبة للعقل والعقل إذا لم يسلم نظره العقلي من التحيز والهوى قد يكون حجابا لنور البصيرة وإذا تضافر الإدراك الحسى والإدراك العقلي والذوق البصرى متضامنين فى ميدان النظر المطلق أدركوا أضواء الحقيقة مشرقة واصلوا بعالم الإلهام الذى هو درجة كائنة تحت الوحى وفوق العقل فالعلم يجرب والفلسفة تستنتج أو تستقرى والعرفان القلبي يعين فيحقق وعلى ضوء هذا التفصيل استعرض هذا الوجود السكونى الذى تعيش فيه مستعينا علاوة على الإدراك الحسى والعقل بمقياس للذوق والوجدان ونظر البصيرة جميعا ترى كونا بديعا ونظاما موحيا وجمالا منتشرا ومعانى متناغمة وفكرا متداوية المدارك ومتقاربة المعانى متجاوبة الأجواء متساندة الحقائق . بحيث أنك لو دقت النظر البصرى السليم تخرج حتما من هذا الاستعراض الشيق البديع قائلا مع الشاعر العبقري :

تأمل سطور الكائنات فانها من الملائح الأعلى إليك رسائل
وقد خط فيها لو فقهتم حروفها ألا كل شئ ما خلا الله باطل

وبعد فأنل معي أيها الصفي الحبيب قول ربنا السميع العليم في مفتتح كتابه الكريم ، ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة وما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالأخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون .

وتعطينا هذه الآية الجليلة الحكيمه جملة معان منها :

١ - أن المصدق بالله مصدق بكتابه . وحقيقة القرآن وسائر الكتب الإلهية حقيقة غيبية في أصلها وإن كانت مقرؤه مفهومة في مظهرها ومعانيها ومدلولاتها .

٢ - أن حقيقة ذات الله حقيقة غيبية تتعالى عن الحواس رؤيتها ويسمو عن المدارك العقلية إدراك كنهها وإن هي إلا كما يقول الصديق الأعظم ، أبو بكر : العجز عن درك ذات السر إدراك : والبحث عن سر ذات الله إشراك وفي المنطق السليم أن العقل لو دخل ذلك المجال ، مجال البحث عن كنه ذات الله ، لدار حول نفسه في حلقة مفرغة كما يقول المنطقيون ، وهي نظرية الدور والتسلل ، ، وذلك لأن المنطق الفلسفي الصحيح إذا وصل لدراسة ما فوق الطبيعة يتطلب دائما سببا أول وعلة أولى لا تتخطى السببية في الوجود لأنها السبب الأول الذي لا سبب وراءه .

وإلا تتطلب العقل للعلة علة وللسبب سببا وهكذا دواليك إلى ما لا نهاية ومن قوانين المنطق العقلي أن يجعل هدفه دائما أيضا ، الغاية لوجودية المتوحدة التي ليس بعدها غاية ، الغاية في الوجود ، ، وإلا طلب أيضا للغاية غاية فيقع مرة ثانية في الدور والتسلل وهكذا . . . والمنطق العقلي لا يسلم أيضا بآية كيفية بإمكان القول ، بأن يحيط بالكل ، وأنت ياطالب الحق على قدم الإخلاص والصدق وقد علمت أن الحس والعقل بمعاييرهما المعلومة - يعجزان

معا عن كنه سر الكائنات الشبيهة الامكانية ولا يعلمان عن ذلك السر إلا مجرد الظواهر المحسوسة « بعين الحس » وبعض القوانين والعلل المعقولة « بعين الحق »

فاذا كان الامر في الطبيعة هكذا فما بالك بذات واجب الوجود وخالق الكائنات سبحانه وتعالى وهو المبدع والمنشئ لشيئية الاشياء والمعلل لعلها والمرتب لمحساتها ومعقولاتها والواضع لأسبابها وتناججها والمنظم لظواهرها وقوانينها وهو سببها الواحد وخالقها الأوحد ذلك كل تجليا وإبداعا بصدورها عن نشاط أفعاله المنبعث عن نشاط صفاته القائمة بمحض وجود ذاته فإذا تعلمت أفعال الله الوجودية تجد تجاوبا تاما بين تلك المعاني والحقائق من حسية وعقلية وبين كفايات سائر الناس من النظائر والمفكرين الناظرين بالحس أو بالعقل أو بالقلب سواء في النتائج العلمية التي يستخلصها الباحث من التجربة الموضوعية أو بالمنطق العقلي أو بالذوق الوجداني المتجاوب أيضا مع هذه الحقائق كما يوجد في الفنون والقيم وكما يكون للبصيرة في استخلاص العبرة القلبية من أحوال الكائنات بمنطقها السامي كل ذلك يشهد جلليا باقتدار مبدع الوجود وكمال حكمته في تنظيم الكائنات وإحكام أوضاعها ولذا كان السير العرفاني أو قل المنهج الذوقي عند أهل المعرفة القلبية العليا للوصول إلى التعرف الكامل متدرجا في النظر بين عالم الموضوع الحسي إلى عالم الإدراك العقلي ثم الوجدان البصيري ثم اليقين الذاتي وملك المنطقه منطقة التصوف العالي أو المعرفة بالقلب لإدراك الوجود الحق وذلك هو الوجود الوجودي الأزلي المطلق المنزه شأنه عن الزمان والمكان والحلول والاتحاد والاتصال والانفصال وهذا بخلاف الوجود الامكاني الذي يستوى فيه طرفا الوجودية والعدمية لأنه موضع الصيرورة والتحول والجهات والاحياز وما قدمناه هو المعتقد الواجب على كل من يسمى عارفا بالله أو مؤمنا أو مسلما حقا أن ينزه اعتقاده عن كل مالا يليق بكمال الله وتنزيهه وبذا يكون كل ماسوى الله من شيء مخلوقا حائلا وظلا زائلا وهذا هو الحق الذي لا شك يعتوره قط .

أما وقد تهدينا معا للصواب فاعلم : أن عالمي الامكانيات الحسية والعقلية هو فيض قدرة الله الموجود المطلق على التحقيق وهو المكان الذي امتد كل كائن بطريق الإعارة وجوده من وجوده وإبداعه ونشاط صفاته وكانت حياة كل ما سواه من حياته القديمة الأزلية . مع أنه في الوقت نفسه هو الموجود العلي الأزلي المنزه عن كل موجود وإن كان السكل منبعث من نشاط صفاته — خلقا وإبداعا كله وجود إمكاني حادث عدا وجود الحق جل وعلا .

والفرق بين الوجود الوجودي والوجود الامكاني : أن الوجود الوجودي الإلهي : هو الوجود السببي الأول الثابت الذي لا يتصور وجود غيره إلا به وفي مقابلة الوجود الإمكاني : وهو الوجود المحدث بعد إن لم يكن ظاهرا للعيان ويستوى فيه طرفا الوجود والعدم وهو يستمد في كل لحظة وجوده من الوجود الأول وليس وجوده في نفسه أرجح من عدمه إلا بالمؤثر الذي يمد به بالوجود وهو الله يمد ويرجع الوجود الامكاني بالنتيجة في حقيقة وجوده إلى الوجود الأول ولا يكون سببا قط لوجود نفسه ولا لوجود غيره .

وقد تيقنت الآن ورائدنا معا الحق الصراح بعلم اليقين إن لم يكن بعينه أو بحقه أن لا مجال لحواسنا المحدودة وعقولنا القاصرة في التحليق إلى تلك الأجواء الإلهية المتسامية والمعرفة الحقة إلا بالله نفسه وبهدايته (ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا) ولكن (من يهد الله فهو المهتد ومن يضل فلن تجد له وليا مرشدا) (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) (ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب) والآن وقد عجز معلوم حواسك وعقلك عجزا كاملا عن تعليل حقائق الكائنات الامكانية وعلمنا تعديلا صريحا كاملا من جهة أصولها الخفائية الغيبية كالقوة والاشعاع والكهرباء والمغناطيس والآثير والطاقة الخفية عموما . فاعلم أن العجز في البحث حول ذات الله عن المساهمة ولكنه أولى بان يعجزك مثل ذلك المنهج اللهم إلا أن تعرف

إليه بمحض نور القلب والبصيرة أو قل بهداية الله نفسه . وإذن فلا معدى لك أيها الحبيب الطالب المجبض الحق عن اتخاذ وسائل أخزى علاوة على الحس والعقل كويلة الذوق دالوجدان وعين القلب ومنطق البصيرة . ويكون ذلك زائداً على محمول كفايتك الحسية والعقلية وذلك ما نسميه علم الحقائق العليا وبسميه الناس علم التصوف وهو جدير يهديك إلى مطلوبك على شرط أساسى واحد هو الإيمان بالغيب ، إذا أردت التحقيق في أجواء الحقائق الهية والاستشراف لفهم تلك المعارف الربانية . واعلم بأن طالب الحق لذاته لا يخرج عن أن يكون أحد رجلين .

١ - رجل آمن بالحق في سبيل أن يعرفه ويتمكن من اليقين وإن الإدراك الغيبي الإلهي ليس معياره الحس أو العقل أو هما معاً إنما معياره الحقيقي نور القلب وذوق البصيرة به عليا وحالا وشهوداً . فذلك رجل مقبول وباب الله له مفتوح ولا بد أن يصل إلى غايته وينال من مسالك الإيمان واليقين بغيته . والذين جاهدوا فيما لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين .

٢ - ورجل آخر أراد أن يتوقف عن قبول الحق حتى يراه بعين الحس أو على أكبر تقدير بعين العقل فهو مقطوع للأسباب التي ذكرناها لك وهو مخدوع مدفوع وقد أخطأ طريق البحث ومعياره . لأن لكل شيء وسيلة من جنسه ومقياساً يتناسب مع حقيقته .

ومعنى كل ذلك أن تقيس الأبعاد بالمترو والجوهر بالقيراط والحبوب بالكيل والشعر بالعروض والمعولات بالمنطق العقلى

لكل شيء طريق من يحاوله من غيره طاب مسعاؤه وأخطأه

لذلك فإن الحقائق الغيبية والمعاني الإلهية . لا يثير غورها ولا تدخل إلى أعماقها إلا بمقياس من الذوق ومصباح من نور القلب وهدى اليقين ويصحبك دليل أمين من عقل مستقيم في أحكامه وبصيرة لماهيتي للنور

ومرشد قد خبر مقادر الطريق ثم عاد ليهدى الناس اليه . . ويقول الله تعالى « وأنوا البيوت من أبوابها ، ويقول سبحانه وتعالى « ولا تبخسوا أشياءهم ، ويقول عز وجل « وزنوا بالقسطاس المستقيم ، أى المهيأ للتناسب مع الوزن وذلك معنى استقامته .

فانظريا أخرى رعاك الله بعين العناية وحباك بهدى المعرفة ووقاك حجاب الغفلة . . انظر إلى نفسك . أى الرجلين تريد أن تكون ؟ .

فإذا تقيدت بأن لا ترى الحقائق إلا تحت حجاب الحس وبمنظار الحواس فاقعد مع القاعدين وتخلف مع المتخلفين . أو فكن على قول الشاعر الحكيم .

دع المكارم لا ترحل لبغيها وانعد فإنك أنت الطاعم الكاسى

وأن إغراق البريق المجرد للفكر أو استهواك منطق العقل فسل الفلسفة اليونانية القديمة التى تبدأ « بطاليس ، وتوسط « بأفلاطون ، و « أرسطوطاليس ، وتنتهى بمجددة فى الأفلاطونية الحديثة على يد « فيلون ، و « أفلوطين ، أو سل فلسفة العصور الوسطى - فلسفة الحدس والتخمين أو سل إن شئت الفلسفة الحديثة التى بدأت « بديكارت ، وتوسطت بـ « كانت ، وانتهت بالمشائيم « شوبنهاور ، والمجنون « نيفتشة ، أقول سل كل أولئك من أول عصور الفلسفة إلى يومك الحاضر - مذاهب ومدارس - ينبئك الجميع بأن أكثر محصول العقول ضلال .

وسل أيضا العلم التجريبي الموضوعى ، هل اكتشف بوسائله الخاصة القديمة والمحدثة جميع حقائق عالم الطبيعة الكامنة وراء الأشياء الظاهرة الواقعة وقوانينها تلك التى هى موضوع بحثه ؟ أم أنه كلما أراد أن يطعن إلى متانة أسلوبه فى الحكم انبهجس عليه تيار يروعه من الحقائق الخفائية الغيبية التى لا تعال بمقياس الحس ومن الصعب تصور ما وراءها من علل خفية بمجرد

مقاييس ممتياس العقل حتى أن العلم وقد صار الآن يصد بأسلوبه في الآفاق الرياضية أصبح يشك في قيمة المادة نفسها من أفق إلى أفق وقد أصبح الكون في نظره كرياضيا وكائنات ديفيميكيا ، - لا أكثر ولا أقل - تتحكم في مصيره ذرة أو ذريرة لا يدرك كنهها العلم وبغض النظر عن نفس شبيهة الأشياء التي أطاحت بها الأطياف الضوئية والاشعاعات الذرية حال تحطيمها للشبيهة والمادية معا .

وإلا فهل أكد للعلم أنه قد وصلا فعلا إلى نهاية استشفاف سر الكائنات أو أوضحت الفلسفة بسائر مذاهبها طريق الصواب نحو الحقيقة المطلقة الذي لا مرية فيه ولا شبهة نواتيه ؟ وهل عرفت الفلسفة حقيقة أسباب الإيجاد أو علة العلل المطلقة للوجود ، أم كانت كلها نظاما ذهنية ومهارات مذهبية ومجادلات بين نظرية تهاافتت كلها في عصرنا بين مادية واقعية ومثالية عقلية ، تقول أولاهما (المادية) لائمة في عالم العقل لإلا خيالات للواقع المحسوس ، وتقول الثانية المثالية . إنها لا تدين بذلك الواقع قائلة : ليس في عالم الشيء إلا رؤى عابرة لما يفكر فيه العقل . . ففاجأهما - على عجل - المذهب الشكي الذي يقول : إن الواقعية الأولى تطعن في نتائج المثالية الثانية والمثالية تطعن في نتائج وأعيان الواقعيات ومظاهر الشبيهة .

فإن أخذنا برأى المثالية في الواقعية تهاافتت الواقعية . وإن أخذنا برأى الواقعية في المثالية ولا مناص إذن من الشك في نتائج المذهبين معا (المادية والمثالية) ، وقد قلنا في كتاب الوجود المطبوع في مهر سنة ١٩٤٧ م . أن العقل والشيء معا حالتان عابرتان من حالات الوجود وهما متقابلتان متضابطتان متكاملتان وفي تقابلهما وتضائفيهما وتكاملهما الدليل القاطع على عدم صلاحية كل واحد منهما أو هما معا للعقلية الوجودية الأولى المتوحدة وإذن فما زالت علة الوجود الحقيقية بعد بكر لم يطمئنها فكر الإنسان فابحثوا عن الحقيقة من جديد وبهذا وذاك أصبحت الفلسفة الحديثه بعد أن أزيغت وأخذت زخرفها وظن أهلها أنهم قادرين عليها حصيدا كان لم تفن بالأمس .

فلا العقل بعلة للوجود ولا لنفسه ولا الأشياء الامكانية الزمانية المكانية
تقوم - هي الأخرى - كعلة لسائر الوجود ولا لنفسها وذلك من ثلاثة أوجه .

(١) الوجه الأول : أن العقل ليس بمستغن في تصوراته عن الشيء ليظهر
به أو يظهر فيه ، وأن العقل قد يشك في وجود نفسه وإن فهم شيئا فهو لا يقيم
لا يفهم الكيفية التي بها يفهم ؛ فضلا عن أنه لا يدرك علة وجود نفسه (عالم
الذات) ولا وجود الأشياء (عالم الموضوع) وأكبر أمره أن استقام وعظم
إنتاجه أن يستدل على الصانع لوجود مصنوعاته وأن يعقل صاحبه عن الطغيان
النفسي والضلال العقلي .

(٢) الوجه الثاني : أن إمكانية الأشياء يعتمدها الوجود والعدم
بالصيرورة .

(٣) الوجه الثالث : أن الذرة الذرية اليوم قد حطمت كيان المادة كشيء
عيني حقيق له وجود ثابت ومزقتها أبدى سببا بل صيرتها إشعاعات غيبية أيضا
تتحول إلى طاقة مطلقة غير مرئية وفي ظننا أن هذا هو الحد الفاصل والحوادث
السميك الذي كان قائما بين الروحية والمادية ، بيد أنه بالطاقة الذرية في إطلاقها
قد تهدم ذلك الحائط الآن وكان الله ولا شيء ويبقى الله ولا شيء . لمن الملك
اليوم لله الواحد القهار .

وفي مثل هذا يقول الصوفي الحكيم . . .

ولى فى خيال الظل أكبر عبرة لمن هو فى علم الحقيقة . . . راق
شخوص وأشكال تمر وتنقضى وتفنى وشيكا والمحرك باقى

قصور العقل والحس عن إدراك الحقيقة المطلقة

وقد بينا لك رحمك الله فيما سبق مبلغ قصور الحس والعقل عن إدراك الحقيقة في لآلائها الواضح وحجتها الدامغة ؛ وإذا فان عزمت على انتهاز طريق الفطرة السليمة وهي الملكة الذاتية الكلية التي تحوى في مضمونها سائر ماتحس وتعقل من شيء أو إدراك مع زيادة الشعور بنور الحق؛ فإذا كنت من الباحثين عن السعادة والطامحين إلى معرفة الحقيقة الإلهية المطبقة التي لها الإحاطة والشمول ولسواها التحول والأفول ، وإذا كنت سليم الذوق وثاب العزيمة فتوكل على الله واركب معنا في سفينة النجاة باسم الله مجراها وإلى مقتضيات الوحي ونهراس الشرع مرساها مستدلا إلى الانجاء الصحيح في طريق غايتك القصوى من الهداية والمعرفة ببوصلة الإيمان الخالص والإلهام الإلهي الصريح المؤدى إلى هدفك المطلوب ، مستعينا في كل ذلك بطاقة الاندفاع الذاتي الناشئة عن محض اليقين الثابت الذي لا يعوزه البرهان العلمى أو الدليل الفلسفى ، مستعملا في سفينتك هذه : مقذافى الخوف والرجاء من الله وله ؛ الأمران المؤديان إلى حقيقة التقوى . وتكون مقتديا فوق ذلك فى سلوكك بصحبة ربان ماهر يحنك عقبات الطريق وصخوره ومغارسه وشعابه الصعبة ولججه المغرقة العارمة ثم احزم ألواح سفينتك بضوابط من آيات الكتاب العزيز الذى قال الله تعالى فى أول سورة منه ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للبتقين ؛ ثم إطل سفينة نجاتك بطلاء من ضوابط السنة المطهرة وسر على بركة الله سالكا مقامات الطريق إلى ربك مقاما مقاما وحالا حالا متطورا بنفسك الامارة حتى تصير لوامة ثم ملهمة (ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها) فان صدقت نفسك فى السلوك صارت مطمئنة بعد أن كانت فى رعونة الامارة واللوامة (يا أيها النفس المطمئنة ارجعى

إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي) ومعلوم أن الكل عباد الله وقد استثنى لمعيته منهم عبادا مخصوصين مطمئني النفوس أعددهم إعدادا لشهود حضرته في جنته .

وهنا تنجذب معك النفس بأضواء الحق لتصبح راضية فان رضية النفس بأحكام مولاها وتشبهت بصفاته الكريمة وأخلاق رسوله صلى الله عليه وسلم أضحت مرضية لله فان ثبتت على ذلك واستقرت غدت كاملة . واعلم أن النفس والروح والحياة بمن واحد فهي الحياة باعتبار أن الحياة من فيضها وهي النفس باعتبار علاقتها بالجسد لتكوين غرائزه البشرية وهي الروح باعتبار مصدرها الإلهي الأعلى .

وهنا وفي مقام الشهود الرباني والإلهام اللدني تلج الفتى - إشارة إلى قوله تعالى في السماء والأرض (كانتا رتقا ففتقناهما) وهو اصطلاح عند أهل التصوف - فالرتق معناه الوقوف خلف حجاب الكائنات والفتق معناه فتح البصيرة لتبصر بنور الروح ما وراء ذلك من حقائق غيبية ، والرتق والفتح والحجاب وشهود القرب كلها اصطلاحات صوفية ؛ وكذا البقاء في الفناء والفناء في البقاء وبهذا وذلك تشهد الموتة الأولى ثم الولادة الثانية وما إلى ذلك ؛ فتعود بعد الوصول إلى أهلك وموطن جسدك متوجا بتاج الخلافة الإلهية ومتشحا بثوب المعرفة الربانية وحاملا لصولجان الأمانة التي عرضت على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان (أفن يمشى مكباً على وجهه أهدى ؟ . . . أمن يمشى سوياً على صراط مستقيم ؟)

هي السعادة لا تخفى فتشبه ولا تقوم على إيضاحها الشبه أسبابها لجميع الخلق ظاهرة وإنما أين من ينحو ويتجه ؟ وهكذا ينتهي بك الأمر أخيراً إلى السعادة الحقة والمعرفة الكاملة والشهود المشرق بأنوار رب العالمين في أعلى عليين وفي مقعد صدق عند مليك مقتدر (هنا وهناك) فتحظى بالسعادتين وتحيا حياة طيبة في النشأتين (ولن نخاف

مقام ربه جنتان) (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة
أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون . نحن أولياؤكم
في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها
ما تدعون نزلا من غفور رحيم . ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل
صالحا وقال إني من المسلمين) .

وانظر - عودك الله الاحسان في العمل له وأحسن اليك في مصيرك اليه -
ماذا يقول الله تعالى في الذين رضوا من العلم بالظواهر ومن أسباب الحكمة
بالقشور واصفا لهم ومنذرا لإياهم بقوله (إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا
 بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون . أولئك مأواهم النار بما
 كانوا يكسبون) وقال تعالى (وما الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وإن الدار الآخرة
 لهي الحيوان ^(١) لو كانوا يعلمون) فإذا خرجت مغنا من هذا الإيراد والعرض
 للحق بنتيجة الصواب والنور - وقد تحققت فيك رغبة السلوك إلى التكميل
 بالصالح - فقل معي حتى على الفلاح ، وشد عليك حيازيم العلم وحرك دواعي
 الفهم وخذ بعضا العزيمة للسير في طريق الإرادة . واعلم أن من لوازم رتبة
 الإرادة ومعنى الإرادة هنا إرادة وجه الله أو قل إرادة التكميل والاستعداد
 للمعرفة الحقبة اليقظة والرغبة والمحاسبة والهمة ، ثم العلم بما رغب في طلبه المريد
 من طريق الحق ، ونهض له وتيقظ لأجله وسمت إليه همته . فتكون إرادة
 الله في النهاية هي المدبرة لك فتفهم حينئذ معنى التوكل الحق عليه والتسليم لإرادته
 فيسلمك حينئذ لتديره سبحانه بدلا من تدبيرك لنفسك فتستريح من عناء
 السلوك والمجاهدة (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين) .
 فتحمل حينئذ في بقية السلوك على توفيق الله ودعوته إليك بقوله (أم يأن
 للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق) .

(١) أصلها حيايان . أي أنها مثلى حياة أو قل صيغة مبالغة لمكلمة حياة ويكون
معناها الحياة الحقيقية

وتلك رتبة الخشوع والخشية وهي تحمل صاحبها في السلوك إلى الله كما
تحمل الطائرة راكبها فتبلغه أقصى المسافات في أيسر الأوقات .

رب شخص تسوقه الأقدار للبعالي وهو مستوحش نفار

حكم حارت البرية فيها وحقيق بهما أنها تحتسار

فبئس من شتمون الله التي تجرى كل يوم في تصريف أمور مخلوقاته ينقلب
البعيد قريباً والمريد مراداً والسائر مساراً به ، فأنت وقتئذ مطلوب بعد أن
كنت طالباً ومحجوب بعد أن كنت محجوباً وهذا ذاك غير من فاجأته هو اتف
الحق وتوارلته أيدي العناية والرعاية من بده أمره وبواكير خلقته . وذلك
هو المسار به الحقيقي من بادىء ذى بديء وإن تلاقى الطالب والمطلوب والمريد
والمراد والسائر والمسار به في رحاب الله وفي حضرة الحق وقد جمع بينهم
جميعاً اتجاه واحد هو طلب الرضوان الأعلا ؛ والفارق في ذلك منحصر في
قول الله تعالى (والله فضل بعضكم على بعض في الرزق)

والرزق منه الظاهر ومنه الباطن . والرزق الباطن أفضل كما لا يخفى وانظر
إلى قوله تعالى (هو الذى أسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة) وآخر الباطن لفضله .

ومضمون ذلك أن في الطريق إلى الله محب لله ومحجوب لله فالمحب طالب
لله حتى يطلب والمحجوب طلبه الله ليطلبه هو . فاحذر في سلوك هذه الطريق
الجادة المحجة أن يكون مطلوب روحك في طريق وانت بمسلكك في
طريق آخر مغاير له . كما يقول ابن المقفع : « ومن سار في طريق وكان مطلوبه
في طريق آخر فما أحقه بشدة اليقظة والتبين لأنه يكون حينئذ قد ألغى الذى
اليه سعى وطلب الذى منه هرب ، (قل إنما أعظكم بواحدة . أن تقوموا لله
مثنى وفرادى) فإن عزمت على النهوض فتوكل على الله واعلم بأن طريقنا بعد
مزاولة العلم والعمل بالشرع : إرادة . فريضة . فجهاد . فجلادة . فقشبه . فإطباع .
فسماعة وذلك هو مقام الاكمال . وتلك سبع لأن منازل النفس سبعة في سيرها
الحق ومقامات السلوك في طريق الوصول إلى الله سبعة وأصول الأحوال

التي تنبأ الروح من كشف الغيب سبعة وأن الاسماء الموصلة بالذكر إلى حضرة الحق سبعة ، ولذا كان نمطنا في السلوك إلى الله سبعة مراحل : من أوله فقام الإرادة ثم الرياضة ثم المجاهدة ثم الجلادة ثم التشبه فالانطباع فالسعادة كما تقدم وكما سنفرد به بإذن الله .

وذلك هو نمط طريق الله ومنهجه عند أهله من محبي الله أو المحبوبين له ، وعدا أولئك القوم الذين اختصهم الله بهدايته وحسن توجيهه وتوفيقه من مجمرع الناس فإن الآراء والنزعات تختلف وبعبارة أخرى إن أعضاء المجتمع الإنساني على كثرتهم يختلفون في طرائق تفكيرهم ومجالات معارفهم وفي مقاييسهم للعاني وفي أحكامهم على حقائق الأشياء بتلك المقاييس المختلفة وفي أهداف نزعاتهم أيضا روحية أو عقلية أو مادية ؛ ولهذا الأسباب مجتمعه اختلفت آراؤه ، فالبعض يحكم على الحقائق الغيبية بمجرد ظواهرها المحسوسة أو أطيانها المعقولة أو أسبابها المتصلة بالطبيعة أو بخالق الطبيعة والإنسان ؛ والبعض الآخر يرتقي عن مقاييس الحس والحواس إلى التفكير الذهني المجرد والمنطق العقلي الصرف فقد يمتد إلى الصواب أو يضل . فإن تسامت فكرته وحلقت إلى ما فوق المستوى الحس والمعقول الذهني فقد يفهم الحقائق على وجهها الصحيح ويشارك أهل الأذواق الإلهية في أذواقهم المحلقة المتسامية ، وأهل الله لا يشقى بهم جلسهم على كل حال ولا يخلو من النور من يستشرف للكشف عن حقائقهم ومعانيهم على أن لا يكون معترضا أو منكرا لما لم يصل إلى فهمه ومثل القوم كمثل حامل الطيب من جاوره أو اخنك به قيس قليلا أو كثيرا من عبير طيبه

فأخذ الرجل الذي يغلب عليه منطق العقل يبحث في محيط الأشياء لعله يكشف عن تلك العلة وأخذ الرجل الذي قاده منطق الوجدان إلى التبصر الفطري في عرفان تلك العلة مباشرة ومال بكلمته إليها قائلا : يجب أن أعرف إليها أولا وبعرفانها مضافا إلى معرفة ذاتي قد أعرف العلاقات بين الأشياء جميعا ومواقع الصلة بينها وبين قوانينها العديدة ولو كانت تلك الصلة مجرد صلة معنوية أو

روحية مجردة عن الحس والحواس ؛ وأما مجرد النظر إلى الظواهر فهو الحجاب الوحيد الذى يحجبني عن استيعاب ما وراء ذلك من الحقائق الغيبية . فأخذ تارة يحبها وتارة يخشاها وآونه يتودد اليها ويتعبد لها ومن هنا نشأت أسباب العبادة والتبتل وأصبح للرجل دين وله إيمان فهو يؤمن بتلك الحقيقة العليا ويجد في البحث عن كيفية الوصول اليها فيدرب نفسه على العزلة تبتلا إليها وتقربا لها فيترسم طرائق الفكر والذكر والتخلق بأنبل الأخلاق ويتحلى بأشرف الأحوال بغية الوصول إلى الحقيقة الالهية ، والاتصال بها بينما يظل عابد الحس والحواس في مكانه لا يريم ولا يرقى وهنا يظهر الولي ويزغ النبي وأرسل الرسل وأنزل الوحي وتأسست الديانات الكبرى ذات الكتب المنزلة ، ووجد من أهلها رجال روجيون وزاهدون ومتعبدون ومتصوفون وبربطهم جميعاً رباط الإيمان والحب والإحسان ثم الهيام بالحقيقة الوجودية الكبرى .

وإزاء ذلك كله يتنوع أهل البيئة الاجتماعية الواحدة في تفكيرهم وفي حظهم من التسامى في الوعي وفي ضعفه وقصوره أيضا من أول أمرهم في الاتجاه للتفكير وفي أساليبه ومناهجه فواحد يغاب عليه منطق العقل وآخر يسيطر عليه منطق الوجدان والعاطفة وثالث حرم من هذا وذلك اللهم إلا من بصيص يبصره بمجرد ضروريات الحياة التي هي قوام جسده فيجعل كل معتمده على الحواس مشغولا بما حوله ؛ وبسبب التفاعل بين كفاية العقل وكفاية الوجدان وكفاية الحس إزاء مظاهر الكون العديدة وحقايقه النسبية المتعددة نشأ التفكير نحو عرفان العلة الأولى المطلقة : علة الوجود (الله) .

العلائق العامة بين العلم والفلسفة والدين

لا يعلم الكثير من الناس عن الوشائج والعلائق العديدة التي تصل بين الدين والفلسفة والعلم والنصوف إلا قليلا . أما الدين والفلسفة فقد نشأ من أصل واحد ونبتا من أرومة واحدة . وذلك أن الإنسان بعد أن بحث عن الشراب والغذاء ووجدتهما فشبّع وارتنوى أخذ يفكر فيما حوله ليأخذ صورة ذهنية عن الكائنات التي تحيط به وتكتنفه من كل جانب من فوقه ومن تحته وأمامه وخلفه وعن يمينه وعن شماله فأدهشه ذلك الوجود المتنوع في وحداته وأوضاعه وكيفياته بيد أنه يتوحد في مجموعه بقوانين تهدف إلى اتسافه وتنظيمه ثم انسجامه وتكامله . وهكذا كلما أمعن الإنسان في التفكير ودقق النظر الفكري روعته أعاجيب هذا الوجود وأخذت بتلايب تفكيره ، وإذا بحث في كيانه هو وجد نفسه يمثل نظاما مصغرا محكما يشبه النظام الكوني الخارجي الذي حوله ويتجاوب معه لاسيما من جهة إحكام صنعه وتكامل وظائفه ، فلا شك أنه يخرج من ذلك كله بأن تناغما واقعا لا مجاله وعلاقة تلازمية واقعة بين نفسه وبين العالم الذي يعيش فيه ثم بينه وبين سر الوجود الأعظم (الله) ويمجد بينه وبين الكون في مجموعه تشابها نظاميا وذلك بين كونه الذاتي والكون الخارجي الموضوعي الذي حوله ومن ثمة يجد صلة وثيقة بينه وبين سر الوجود الأعظم وذلك هو مقتضى الفطرة .

ومع تمادى الأزمان وطفيان الخواس حدث الفتور ولم يفد توسط العقل بين الحس والوجدان فتناقض النظر الوجداني مع النظر السطحي وجاء دور الرجل الثالث ذلك المحدود التفكير وهو ميال بطبيعته لتجسيد الألوهية وتحديد لها ، فوضع لنفسه الديانات الوثنية ذات الصور المتعددة والتماثيل بغية أن يستنزل الإله الأعظم حسب تصوره في صورها وأشكالها المجسمة ثم

عكف عليها متعبدا لها : وأما سبب اختلاف وجهات النظر الديني والنظر العقلي والنظر العلمي ووجود تلك السبل المتغايرة والمناهج المتعددة في التفكير بعد أن كانت متوحدة الأهداف والمراى ، فهو أن رجل الفلسفة حين أدهشه هذا الوجود أخذ يبحث في الفروع والأصول الكونية عن علة تجمعها في شمولها ، وبعبارة أخرى أخذ يفلسف في المعلومات لعله يصل في النهاية إلى علتها .

وصاحب الدين بدأ بحثه بالإيمان - الإيمان المباشر بالعلة المطلقة - ثم أخذ يدرس ضروب آثارها في معلولاتها وهو دائب خلال ذلك على ذكرها والتقرب إليها .

وأما رجل العلم التجريبي فإنه يحكم أسلوبه الحسي لا ينظر في الكائنات إلا من جهة ظواهرها وعلائقها المؤدية إلى استخدامها في منافعها الخاصة أو العامة ويسمى ذلك عالم الواقع ، فهو لا يريد أن يؤمن بما عده الله إلا أن يرتفع إلى آفاق العلم المجرد عن المنفعة الخاصة ، ذلك العلم المجرد الذي يحتم على العلم أن يستشف في المنظور ما وراء المنظور ولو بعقله دون حواسه لدى البحث في القوانين الطبيعية وما وراءها متصورا ما يمكن أن يكون خلفها من علل خفية فيؤمن بوجودها وإن كان منهج علمه لم يصل بعد إلى كشفها وهناك يتصل العلم بأول آفاق الفلسفة كما قدمنا ومن ثمت بعد خطوات مفروضة يهديه تفكيره الطليق إلى أول آفاق الدين وذلك معنى ما رأيناه أخيراً في تصوف العلم الحديث بعد أن جاوز الاعتداد بآفاق الواقعية إلى آفاق تكاد تكون رياضية عقلية بل قل مثالية وكل هذا مرجعه إلى ما غرسته يد الخالق في ذات الإنسان من كفايات المعرفة بالحس أو بالعقل أو بالوجدان .

وإذن فلا بد لنا في محيط المعرفة الكاملة من علم طبيعي يبصرنا بخواص الأشياء التي تقع حولنا في عالم الموضوع وتقع عليها حواسنا وتجاربنا الموضوعية فتعي خواصها وقوانينها ولا بد لنا كذلك من منطق عقلي فلسفي نوازن به بين ظواهر الأشياء وعملها الخفية ، ولا بد لنا من دين أيضاً وبعبارة

أخرى من أهداف للتدين فتقرب بها إلى مبدع البكون وعلة الكل وهو الحقيقة المنشودة لكل كائن علما تتصل بتيار الكمال الأعظم السارى في رحاب الوجود الكلي المطاق فتندمج أفكارنا بل وأرواحنا في قدس أقداس الأسرار بل قل في ذلك النبع السامى من الأنوار الالهية الغيبية وتكون هذه أولى خطوات الحياة الصحيحة التى نسلسلكها إلى الخلود . أو على الأقل يجب أن لا يقال بعد الآن أن ثمة خلافا بين العلم والدين والفلسفة إذا نصع وجه الدين وانزاحت عنه أغلفة القشور الملتصقة به . وكذلك إذا ارتفعت آفاق العلم عن أدخنة المصانع وعجيج الآلات إلى الحقائق المجردة عن النفعية وإذا واستقام كذلك منطق الفلسفة فأخذ سمته إلى ما وراء الظواهر الطبيعية من أسرار تتصل بعالم ما فوق الطبيعة .

هذا ولما نما العقل الفاسق بحسب قانون التطور وتنوعت ضروب تفكيره وطرائق منطقته ونمت أيضا العاطفة الدينية وتمذبت واتسع محيطها تفلسف الأول وتصوف الثانى وتذبذب بين الفريقين رجل الحس والحواس الذى ينظر بمنظار الحس ويقيس بواقعية الاشياء كل كائن عقلى أو روحى أو دىنى ؛ تلك الحقائق التى تتسامى بطبيعتها عن الحس والمحسّات بل عن العقل ومتناقضاته .

ومسكين ذلك الرجل الحسى الذى تخبط شكّا وترددا بين رجال العقل ورجال الدين فهو لا يدرى إلى أى الفريقين ينضم وتحت أى لواء ينضوى وينتهى به هذا الحال عادة إما إلى الشك وإما إلى الرفض والإلحاد بتاتا ، وذلك الحال هو نبع الإلحاد أو على الأقل نبع الرجل الملمحد أو اللاأدرى وأنت ترى على ضوء ما قدمناه لك أن الصلة وطيدة والمشابهة قوية بين أعلا نظريات الفكر الفلسفى وأنضج نظريات التصوف الدينى وبين أرجح مقررات العلم الطبيعى وأنتك واجد أيضا تشابها تاما بين الشك فى إطلاقه والسفسطة والإلحاد فى معناهما . والعلم فى قواعده الأصلية وليد نظريات الفلسفة ونظريات التصوف أقرب الصلة بين العقل والوجدان وكذلك تنسق

أثبت نظريات العلم الحديث مع أعلى أهداف الدين وقواعد التصوف هذا
إذا تسامت نظريات العلم ، وأما إذا أسفت وهبطت الى حضيض المادة
فخسحت الى آلية المعامل والمصانع كانت نظرة العلم للوجود بل ومنهجه الى
نظريات المذهب المادى الفلسفى أو النظرية الآلية للسكون أقرب وأميل ، وكان
عن نظريات الدين والتصوف والعلم الخاص أبعد وأقصى . وإذن فلا تعجب
إن قلنا أن لا خلاف ولا تباين حقيقى بين النتائج العليا للعلم والأهداف
المتسامية للدين أو الفلسفة وإن حصل التباين فى الماهج والوسائل . فإن قال
قوم بحتمية التناقض بين الدين والعلم أو الدين والفلسفة كان ذلك النظر غير
العميق ناشئا عن النقص العلى أو عن فلسفة سطحية أو عن مجرد العلم بقشور
الدين دون لبابه . والحقيقة أنك لو تأملت تأملا عميقا خاليا من التعصب
ترى دائما أن أعلا آفاق العلم متصل بأفاق الفلسفة وأن أسمى آفاق الفلسفة
متصل حتما بأسمى حقائق الدين وهو التصوف ، والتصوف نفسه هو روح
الدين ولبابه علمت أو لم تعلم وحسبك أن يكون التصوف هو نفسه مقام
الاحسان الوارد فى صلب الدين وعلى لسان الرسول ﷺ بقوله : الاحسان
أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، وتلك أعظم سمة للتصوف
الاسلامى والحمد لله .

الأسلوب العلمى والحقائق الجوهرية

اعلم رحمك الله أن القوة العامة في نظر الأسلوب العلمى الحديث وفيما تقرره التجربة من نتائج مسلم بها عند كبار علماء الطبيعة في عصرنا الحاضر لا يمكن أن توصف بالمادية بمعناها كما كان يقرره أنصار المادة من الفلاسفة ورجال العلم في القرن الثامن عشر والتاسع عشر حيث كانوا يعملون القوة مجرد ظاهرة للمكتلة المادية ونتيجة من نتائجها مع أن (القوة) على ضوء الكشف النووية الحديثة كائن غيبى لا تزال ماهيته مجهولة للعلم .
وكذلك الحياة التى كان يرى أنصار المادة أنها أيضا مجرد تفاعل كيميائى أو ظاهرة فيزيولوجية لأولىات معدنية من المادة مع أن الحياة كما نفهمها الآن لا يمكن أن تنشأ إلا عن مبدأ حى كما هو الرأى ، الرأى اليوم على ما يقرره الصفوة من علماء الحياة وعلماء الجراثيم وكبار علماء الطبيعة .

وكذلك الفكر الذى كانوا يرون أنه مجرد افراز لعضو من الجسم هو المخ كما تفرز بقية الأعضاء سوائها مع أن الكون جميعه اليوم فى نظر علماء الرياضيات يبدو كأنه محض معادلة رياضية عقلية يكون التفكير فى الانسان وهو الذى يحيط فى لحظة بجميع العوالم الكونية بذلك النعت التجريدى أولى والراجح : أن القوة والحياة والفكر كلها حقائق غيبية لم يصل العلم بتجاربه المعروفة الى أن كان اعتمادها على مجرد الخواص الخمس ومجرد المجرى والمشرط والمطرقة . الخ ؛ واليوم يقرر العلم نفسه أنها أسرار لم يصل بعد إلى كشفها ، وفى الحق أن تلك حقائق وجودية - القوة والحياة والفكر - لا تسكتشف إلا بوسائل ومقاييس معنوية تناسب مع حقائقها الجوهرية لأنها جميعا وراء متناول أدوات العلم الطبيعى ومقاييسه بل ومجموع أسلوبه الحسى وهو بعيد كل البعد عن ماهيتها أو خصائصها والبحث عنها ليس من وظيفته ولا من موضوعه التجريبى المادى وحسبه اعترافا بالحق أنه لا ينكر وجودها وأنه يعترف بوجود آثارها كحقيقة علمية موضوعية .

فمن أين ياترى جاء محدثو صغار الماديين ودعاة الهزيمة للعلم بتلك النظريات المبهمة الخلقة التي لا تنطبق على الواقع ؟ وبأى مصوغ من العلم ياترى يثبتون أن القوة والفكر والحياة مجرد آثار آلية ظاهرية للمادة ، إلا بأسلوب فلسفة مادية مسفسطة متهاة قد مضى وقتها وذهبت عصورها ؟ حالة أن المادة اليوم بسائر أجزائها وخصائصها وصورها في نظر العلم مجرد ظاهرة كغيرها من الظواهر المكونية التي ننشئها وتحملها الطاقة الذرية وذلك هو رأى علم اليوم ، ونزعة فلسفه اليوم .

فالرأى العلى للمادة الكون أصبح بلا قيمة علمية الآن . سيما وأن في الوجود غير المادة وغير القوة أيضاً سمنا وقوانين ونظماً^(١) معقولة تسيطر على ما فيه من قوة وطاقة وأشياء مادية ظاهرة وواقعات مجسمة وما زال العلم يجد في سبيل التعرف إلى ماهيتها وما وراءها من آفاق متسامية وكلما تقدم العلم خطوة في هذا السبيل فوجيء بزمر متعددة من الحقائق بل قل من الألغاز والاحاجي والرموز الغيبية التي تدهش العلم والعلماء دون أن تتناولها تجاربهم وتتصل بآفاق الفلسفة من بعد أو من قرب بل قل تتصل بآفاق الروحية أو قل ما تشاء مما تنقلب معه فروض العلم التي كانت مقررة فيما سبق من أزمان إلى مجرد احتمالات محضه . وذلك ما لا ينكره العلم الحاضر من حيث ان من مقرراته الحديثه عن تصرف الذرة أن ذلك التصرف احتمالى محض . وهذا يشعر بل يؤكد بأن مصائر الكائنات بما فيها من قوة وطاقة وقوانين متعلقة بإرادة عليا خفائية مسيطرة وهي متوحدة تقبض بإرادتها الحرة على مصير كل كائن جامد أو حي .

تلك العوامل الوجودية بل قل العوامل الالهية الخفية تكمن وراء كل ما نعرفه الفلسفة المادية المحدودة الآفاق بل كل ما يعرفه العلم نفسه من ظواهر للوجود ، ثم إن هذه الحقائق والعوامل الخفية تبدو خلال أستار

(١) لأن وراء القوانين والنظم إشعاعات وأنوار خفية لاتلصها أدوات العلم ومناظيره عن بعد أو عن قرب ولا يرى العلم بأدواته سوى أطيافها .

الكائنات والحادثات والقوانين كأنها دراجة مريدة تحدد بروز الظواهر الطبيعية بمقدار، وفي أزمان وسرعات تقررهما. ثم أنها تتفنن في تحويل العناصر وتشرف على ما يتركب منها وتقدره كمائيا وطبيعيا تقديرا تلقائيا مضبوطا ثم تحله في النهاية بتشبع المادة إلى ذرات خنمية بين نويات كهبريات مرة أخرى من سلبية وإيجابية ومحايمة، الأمر الذي لا يعمل ولن يعمل إلا بوجود خبرة ذاتية روحية بالغة وإدراك سام يسودان هذه الكائنات ؛ وهذا أيضا لا يعمل إلا بوجود إله مسيطر يرتب وينسق ثم يظهر الحوادث السكونية في ظروف خاصة يعلمها وأحوال ملائمة يضع نسقها .

ثم أن للعقل أيضا سذته وقوانينه ومنطقه المنظم لمجال تفكيره وله مبادئ أولية يستمد منها قواعد قضاياه وهو متجاوب في ذلك مع معاني الإدراك المطلق في الوجود مما يدل على أن وراء المادة والقوة والإدراك وراء السن والقوانين وسائر ما يخضع له السكون الطبيعي من نظم وما يبدو فيه من قوى وتطور تسكن علة عليها متوحدة مدركة هي الله في جلاله وتوحده وفي تنزيهه عن سائر هذه الممكنات وتبدو حقيقة سر ذاته للعقول والبصائر فوق سائر مدركات هذا السكون ومحساته ومعقر لانه وقوانينه ونظمه والعجب بل الإعجاب من دقيق صنع الله وبديع حكمته في محيط مخلوقاته أقول : من ذلك كله تنبغ النبوة وتنبع الولاية وتظهر عبقرية الفن والأدب وروعة الشعر ، وصولا الفلسفة وأخيرا دهشة العلم وحيرته .

وكذلك كل ما ينبغ أو يبدو في السكون من حياة أو وعى أو إرادة تنجل كلها لسكناياتنا العليا كأنها نعوت وخصائص أصلية لكائن أسمى يبدو أنه مطلق يشمل اقتداره وإبداعه وجودنا ووجود غيرنا من الكائنات ؛ ودليل ذلك أن الوجود في شموله مع ما يبدو فيه من كثرة وتعدد يمثل لإدراكنا الذاتي وحدة شاملة مؤلفة الروابط والعلاقات وإن تفاوتت فيه النسب والأوضاع والكيفيات والوظائف ، مما يدل على دلالة صريحة موجبة لليقين قاطعة للشك على أن أصلها سببا أوليا للكائنات صدرت عنه وهو يدرك ما يفعل قبل أن

يفعل وبعد أن يفعل وتصير إليه أيضا نتيجة ما أراد وما فعل ، وهو نفسه ذلك الذي نظم الكون علويه وسفليه بسماواته وأراضيه وطبعا جميعا على أسلوب يجعلها كما واحدا متناغما الوحدات مترابط الحلقات . لأنه هو واحد أحد وجمله يتطور ويترقى إلى هدف خاص بالمجموع كما لو كان كائنا واحدا يهدف إلى حقيقة مطلقة لا يدرك لها غورا ولا نهاية ، وما ذلك إلا لأن مبدع الكل مطلق وواحد .

وكل ذلك يوجب أن وجود السبب الأول الكافي وهوالله الذي صدرت عنه تلك الكائنات البديعة المنظمة المتسقة وجوده ضرورى كلفهم الكائنات وألفه العقل وانسجام الوجدان فوجوده بالنسبة للكائنات كوجود المركز للنائرة وهذا يدركه المتأمل عند النظرة الشاملة لهذه الكائنات .

وذلك ما يجب أن يعرف من طريق العلم والفلسفة والدين كتعليل كاف لوجود ما بزغ ويبزغ في الكائنات من خصائص ونشاط وألفة ووحدة وترق وذلك السبب المتوحد هو الله الواحد الاحد الذى لا إله إلا هو وقد حاز من شرائط العلية والتوحيد والتنزيه والابداع ما جعله هو الواحد المعبود بحق دون سواه .

لابد للعلم والفلسفة من الاستئناس بآليات الوجدان والبصيرة

لا يخل العلم في مثل هذا المجال من أن تعاونه أمه الفلسفة ، وبعبارة أوضح الفلسفة الجامعة الشاملة (التي أكبر ظننا أنه عقها) فتأخذ بيده إلى آفاق من عالم الخبرة الذاتية والخبرة الباطنية الأمر الذي لا ييسره وجوده أو اكتناه كنهه . مجرد أسلوبه التجريبي الحسي .

ولابد للفلسفة الحاضرة في منهجها الحسي والمثالي كذلك من أضواء تشع على مجموعها من عالم الذوق والبصيرة وبعبارة أخرى من عالم المعتقد فتتغير بأضوائها اليقينية للعلم والفلسفة معا سبيل المعرنة العامة الكاملة . والدليل على ضرورة ذلك أن ما يسميه الناس بالعقل الباطن ذلك الكائن الخفائي العبقلي الكامن في قرارة ذواتهم هو الفطرة بل العقل الأكبر المسيطر الذي يسيرهم ويرشدهم في الحقيقة خفاء ودون جلبية ، برغم وجود العقل الظاهر وهو شعاعة منه وبالرغم من وجود الحواس على أنهم في دوائر علومهم وفلسفتهم غير مقدرين له تمام التقدير حالة أن عقولهم التي يسمونها واعية إن هي إلا بصيص ضئيل ينبعث عن ضوء ذلك العقل الباطن الكبير المتعدد النواحي ، وأن الفلاسفة والعلماء جميعا سواء منهم من كان واقعا أو مثاليا إنما هم منطقة وتجريبيون في قاعات تدريسهم وفي مختبراتهم العلمية فقط ، وهم فيما عدا ذلك من سائر شئون الحياة إنما تسيرهم العاطفة ويقودهم الوجدان فيؤثر عليهم بجوانح عقولهم الباطنة ومشاعرهم الوجدانية برغم وجود العقل الفاعل ، فهم في كل ذلك عاطفيون واعتقاديون كسائر الناس . فإن لم يصادف انعطافهم أو اعتقادهم حقيقة جديدة بالانعطاف كما في الإيمان الديني أو الفن الجميل مثلا إنصب عطفهم واعتقادهم دافقا على صيغ متعددة من الوهم والخيال بل ربما والشذوذ أيضا لإشباع تلك العواطف الفطرية فيها . وبعبارة أخرى أن الواحد من هؤلاء لا يعتقد ولا يؤمن بشيء قط بما يعتقد فيه أو يؤمن به الناس ما لم يكن حسيا مجردا

أو عقليا مجردا وقد لا يأبه بالحب السامى أو الوضيع ولا بالمعتقد أو الفن وقد يسخر بالشفقة والعطف وما إلى ذلك ويعتبره ضعفا بشريا كل ذلك التزاما والزاما فقط للتقاليد التى يحتملها عليه منهجه الفلسفى أو العلمى وأمام تلاميذه وفى معمله فقط كما قدمنا وأما فى ما بينه وبين أصدقائه وفى حالات انعطافه وحوافزه أو قل حبه وبغضه فهو إنسان عاطفى له إيمان وعاطفة كبقية الناس .

ونخرج مما تقدم بثلاث نتائج .

أولاهما : إن فى الوجود أسراراً لا يقع عليها الحس ولا يكاد يدركها مجرد العقل العلمى أو الفلسفى (المعروف) ذلك الكائن الحبيس وراء حدوده التى رسمها لنفسه .

ثانيها : إن للوجود حقيقة متوحدة خفية تشع بأضوائها باطنيا على سائر وحدات الكائنات وخصوصا الداركة منها فيتناغم معها إدراكنا فتعلمه وتديه فتفهم عقولنا بدائنها العقلية وبعض أسرارها وتشهد أرواحنا ووجداننا بتأثيرها على وجه تلك الحقيقة معنويا فى جمال أضوائها وفى انسجام توحدها بعيون بصائرنا وذلك فى آثارها الظاهرة والباطنة كما يشهد البصر نور الشمس فى رابعة النهار .

وثالثها : إن تلك الحقيقة الإلهية الخفية الروحية الخاصة تهيمن على سائر البصائر والعقول والمشاعر والأحاسيس لأنها المقومة والحركة لسائر هذه المدارك العقلية والمدركات الحسية كعلة لها وهى تعمل فى بقية الكائنات الحسنة والمعقولة كسبب مطلق وعلة خفية لذلك الكيان للباذغ عن نشاط خصائصها حالة أن ذاتها محجبة خلف نشاط تلك الخصائص التى تحرك كل الكائنات كفاعلية لها ووراء أشباح الصور والمظاهر كما تعمل الحياة فى سائر خلايا الكائن وهى موجود خفى .

ويترتب على هذه النتائج الثلاث نتيجة رابعة هى أننا لو أردنا أن نعرف حقائق الوجود وأعلته المطلقة معرفة أشمل مما نعلم ونعتقد من مذاهب فلسفية وعلمية طبيعية أو إدراكية لا يكفى فى ذلك طبعنا مجرد التجربة الحسية الموضوعية وحدها لتقيدها بحدود الأشياء كالصور والكيفيات والأوضاع والأحياء الزمانية والمسكاتية ولا مجرد المنطق العقلى أيضا ، لأن الحقيقة تظل مستبطنة خاف

أوليات العقل ومدركانه كما تستبطن المدركات العقلية خلف مظاهر الأشياء..
بيد أننا لو أردنا معرفة الوجود معرفة شاملة يجب أن نوجه سائر كفاياتنا
الإدراكية وجميع خبراتنا الذاتية والموضوعية فتعمل متكافة متعاونة
في سبيل درك الحقيقة مطلقة وترقية معلوماتنا عن هذا الوجود العجيب .

وأنت تعلم أن الحس والحواس وبعبارة أخرى الإدراك الحسى ليس
هو كل ما فى الإنسان من كفايات يعالج بها المعرفة ، ولا الإدراك العقلى
أيضا ، وأن وراء الإدراكين الحسى والعقل كفايات عدة كامنة فى الذات
الإنسانية كقوى لها أظهرناك على بعضها ، ومنها البصيرة الذوقية وبعبارة
أخرى أن المعرفة الكاملة المطابقة لحقيقة هذا الوجود لا تنال إلا بمنطق
الحس والعقل وبمنطق فرق الحس والعقل هو منطق الإلهام البصيرى وهو كم مشترك
ليس بين أرباب النوع الإنسانى فقط وإنما يشترك فيه كل حيوان ماشى أو
زاحف أو طائر .

أما مجرد المعرفة الحاصلة عن منطق الحس فلا تؤدى إلا إلى مجرد الظواهر
الكونية المحسوسة وكذلك مجرد المنطق العقلى لا يؤدى إلا إلى نتائج معقولة
نسبية ، كثيرا ما كانت مشارا للجدل الطويل العريض فى المسألة الواحدة
وكانت أيضا سببا فى إفتراق أهل المذهب الواحد أو الملل الواحدة إلى شيع
متعددة . وكل من تلك الشيع والفرق له سند وحجة من المنطق العقلى سواء
كانت مقدماته ونتائجه فاسدة أو صحيحة .

وحسبك مثالا على ما يؤدى إليه إعتبار كفاية واحدة من كفايات المعرفة
معيارا لعرفان الحقيقة بأسرها أن المنطق الحسى لما ادعى أنه المقياس الأوحد
للحق ترتب على إدعائه هذا حدوث موجة جارفة من الأحاد والتشكك طغت
على عالمى الخلق والمعتقد بل وعلى عالم العقل أيضا وبعبارة على محيط الفلسفة
بين مادية ومثالية . وقد حدثت تلك الموجة أو قل العاصفة الهوجاء بكبار
المفكرين من الفلاسفة والعلماء خصوصا فى ألمانيا إلى إعتناق المثالية
والأكبار من شأن العقل كرد فعل لطغيان الفلسفة المادية على عقول الناس
ومشاعرهم وعقائدهم .

كذلك المنطق الفلاسفي العقلى لما ادعى شموله الفعلى على الحقيقة دون غيره من الكفايات أدى إدعائه هذا إلى المنطق السفسطائى المغالط الذى لا يبقى ولا يذر، أو إلى المثالية المتطرفة التى تولد العقل وتجعل منه علة للكائنات . على أن فطرة الانسان السليمة المجردة عن الشوائب والحجب قد تدرك بالبديهة أو الغريزة أو البصيرة تلقائيا ما لا يمكن أن يدرك مداه العقل بتركب أسلوبه المدرسى البيزنطى ومن باب أولى تدرك ما لا يدركه الحس وبالأخص فيما يتعلق بأمثال بالعاطفة أو الضمير أو الإيمان من شئون ووجدانات ذاتية تلقائية وأن العقل مع تقديرنا له فى حدود منطق السليم كمجرد كفاية من كفايات الإنسان يدرك فى حدوده وفيما يخصه ما لا تدركه الحواس وأنه وحده دون أن تشد أزره بقية الكفايات غير مأمون الخطأ فى أحكامه .

وصدقنى أن عالم التفكير العلمى اليوم قد إنقلب عالما إعتقاديا وفى زماننا هذا الذى يبرأ فيه أكثر طلاب العلوم العصرية من كل ما هو عاطفى كالأعتقاد الدينى مثلا أو المسالك الخافى بينما هم يعتقدون فى قضايا العلم وهى احتمالية محضة كما يعتقد رجل الدين المتعصب فى دينه حيث يتعصب أنصاف العلماء وتلاميذهم للأعتقاد الجازم بنظريات العلم وقضاياها - كما لو كان العلم عقيدة دينية - حالة أن نظريات العلم تتغير ما بين آونة وأخرى وكذلك أتباع المذاهب الفلسفية كلهم إعتقاديون يشملهم عالم المعتقد - وإن بدوا لأنفسهم أنهم فى عصمة عقلية وعلمية من أن يتسرب إلى أفئدتهم بصيص من عالم المعتقد مثل غيرهم من المتدينين ومن المؤمنين بالروح أو القيم أو الأخلاق .

بين العلم والدين

والمرءف يصوغ أن تسكلم الآن عن الاتفاق الحاصل بين الدين والعلم
وخصوصا الدين الاسلامى والعلم الحديث دحضاً لمفتريات القائلين بأن الدين
عموما لا يتفق والعلم ، وذلك قياسا على ديانا قديمة مليئة بالاساطير فعمموا
القاعدة وادعوا على العلم فرية لا يقول بها وعلى الدين فى عمومه أباطيل هو
برى منها . وما العلم فى الحقيقة إلا ناحية تأملية ترى للنظر المدقق كأنها نزعة
من نزعات الدين مهيدة له وباعثة عليه وذلك حينما يضطر العالم عقله إلى البحث
الدائب لإستطلاع ما وراء دائرة تجاربه العلمية التطبيقية من آفاق عليا لا يقع
عليها متناول الحس بقصد الحصول على اليقين العلمى أو الألفة العقلية التى تربط
بين الأسباب ومسبباتها . فاليقين وهو المعتقد فى أية صيغة وعلى أى لون كان
هو النتيجة الغائية لمسائر قضايا العلم الصحيح والفلسفة المحققة ، ومن أخص
معانى اليقين الدينى أنه جميع ما أيقن به الإنسان ودان له فأصبح عقيدة ذاتية
عنده . والدين الاسلامى على الخصوص صديق العلم ونصير الفلسفة إذا كان
المقصود بالفلسفة والعلم النظر فى الكائنات والتعرف إلى علتها وذلك ظاهر فى
مثل قوله تعالى (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط
لا إله إلا هو العزيز الحكيم) وفى قوله . (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم
حتى يتبين لهم أنه الحق) . وفى قوله أيضا . (يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت
الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب) وكل ذلك حث
وتحريض على النظر فى آفاق السماوات والأرض وفى الأنفس لإستشفاف
أسرار الله التى أودعها هذه الكائنات سواء من طريق البحث العلمى أو من
طريق البحث العقلى الفلسفى المحض أو من طريق المعتقد الدينى السليم . وكلمة
الفلسفة فى أصلها اليونانى تقابل كلمة الحكمة فى مفهومها العربى وما كان للعلم
الصحيح أن يعاند الدين أو ينكره أو يحكم له أو عليه باوجودية أو العدمية

هذا كان الدين ليس من موضوع بحث العلم ولا هو داخل ضمن دائرة نظرياته التجريبية الحسية ، وما كان للعلم أن يخرج عن وظيفته وهي مجرد الاستقراء والملاحظة للظواهر الطبيعية إلى حد النفي أو الإثبات لما يجمله من الحقائق اللاهوتية المحتبئة وراء الظواهر والمظاهر الطبيعية وهي كلها على التحقيق من موضوع بحث ما فوق الطبيعة في الفلسفة أو من موضوع بحث الدين في دراسة أصول المعتقد (اللاهوت أو علم الأصول) ومفهوم أن البحث عن المهاييا أو الذوات ليس من موضوع العلم الطبيعي ولكن الأمر الذي لا شك فيه أن يكون العلم بداية والدين نهاية والفلسفة وسط بينهما . يقول العلامة (كريستون) مدرس الفلسفة في جامعة ليون (العلم لا يعطينا عن الوجود في مجموعه إلا معارف مبهمة للغاية وذلك من جهة العلل الخفية) ، ويقول الأستاذ (وليم جيمس) (إن علمنا ليس إلا نقطة ولكن جهلنا بحر زاخر والأمر الوحيد الذي يمكن أن يقال بشيء من التأكيد هو أن عالم معارفنا الطبيعية الحالية محاط بهام أوسع منه من نوع آخر لم يدرك العلم خواصه المكونة له إلى اليوم) .

وقال (بيكون) كلمته المشهورة (أن القليل من العلم يؤدي إلى الإلحاد ولكن التبخر فيه قد يعيد الملاحد إلى التدين) . . وقال الفيلسوف الفرنسي (كونت) « أن العلم لا يمكن أن يؤدي إلى القول بالمادية والإلحاد لأنه لا ينكر النفس ولا الله ولكن يجملهما) . واعلم أن الأصل في العلم هو العقل ورائده الحس ، والأصل في الدين هو الوحي ورائده العقل ، والحقيقة أن لا خلاف ولا مباينة في نظر العالم المحقق والمتدين المخلص بين الوحي والعقل سوى أن الوحي يأتي من آفاق لا يمكن للعقل وحده التحليق إليها وأن العقل في الإنسان معد للاسترشاد والإهداء بنور الوحي ، فالدين يؤكد أن الوحي قد جاء مخاطبا للعقل وعند المنطق السليم يجب تأويل نصوص الوحي إذا تعارضت مع بدائه العقل حتى تطابقه . وكذلك يشهد العقل بأن العلم يقصر مداه عن إدراك سائر الحقائق الوجودية الغيبية التي جاء بها الوحي ثم أن العلم يأمر أهله

بأن لا يعادوا ما يحملون من الحقائق التي ربما تتكشف لهم في المستقبل فيسلمون بوجودها وإن لم تتناولها تجاربهم الحسية ، وذلك هو الشأن أيضا في علم الفلسفة وهو عالم المعقولات بل هي بالذات تعترف أن أعلى أقسامها ومباحثها علم ما وراء الطبيعة فهي بذلك أولى بهذا الاعتراف وأجدر : ولا يقال بعد اليوم أن بين الدين والعلم عداوة أو تعارضا يوجب المناظرة أو أن العقل ينسكرك وجود الدين أو أن الدين مناقض للعقل ، ولا يقال مثل هذا عن الفلسفة التي تدعى أن البحث عن الحقائق من أهم شعائرها ومن أسنى مطالبها . وبما أن الوحي يخاطب جميع الناس على اختلاف درجات عقولهم ومداركهم خاصتهم وعامتهم بلسان واحد ، فإن أسلوبه يحتم عليه مداولة خطابه بين الحقيقة والمجاز والإبانه والتشبيه تدرجا بالناس لفهم موضوع بحثه السامي . وأما العلم فإنه يخاطب أذكى الناس وكبار العقول فقط فلا يحتاج في خطابه إلا للتبيين الأشياء على ما هي عليه واضحة دون تورية أو تلميح ، فإن كان ثمة خلاف بين العلم والدين أو الفلسفة فهو خلاف في الأسلوب فقط والقاتل بالخلاف بين الدين والعلم يكون قد اعطى بمجازيات الدين حينما يروم تطبيقها على قواعد العلم أو محض منطق الفلسفة ، وحينئذ يقع الخلاف الوهمي الذي لا يكون إلا في نفسه هو وفي رأسه فقط لعدم يقظته لوجود الفرق الحاصل بين أسلوب الدين وأسلوب العلم ، وتسكون النتيجة أن ليس الخلاف بين الدين والعلم أو الفلسفة وإنما هو بين أسلوب وأسلوب فقط .

فإن الدين والعلم لا يتنافضان وإن كانا متغايرين والتحقيق أن لا خلاف بين الوحي في مصدره والعلم في أوليات قضايه لأن الوحي حقائق ذاتية أقيمت في روع واحد من البشر إمتاز عن غيره بسمو مداركه ورقة إحساسه وباستعداد خاص يجعل قلبه متصلا بالملأ الأعلى لتلقى وحي ربه المنزل لإرشاد خلقه من طريق العقل المؤيد بالوحي .

وقضايا العلم ونظرياته حقائق هي الأخرى أقيمت بعد الاستقراء والاستنتاج والتجربة في روع العلماء من الناس الذين أدهنوا التفكيرا والاختبار

التطبيقي وإمعان النظر في وحدات الكائنات ونواميسها وعلاقاتها وصلة بعضها ببعض الآخر وذلك عن طريق البحث في خواص الأشياء ومنافعها وتسخير قواها الكامنة فيها ، وقد استنتجوا من كل ذلك قواعد ونظريات علمية تزيد كل يوم بما تنتجه عقول العلماء وأبحاثهم فيتركونها لخلقاتهم وأعقابهم لإكمال بحثها والوصول للنتائج المرجوة من خصائصها ومنافعها. وأما الوحي فهو في اصطلاح اللغة : الأعلام عن الخفاء الذي لا يتأوله العلم ويسمو عن المحيط المعلوم للعقل الفلسفي المتوزع أو المتناقض فتقول أوحيت إلى فلان كذا أى كلمته بما تخفيه ثم أن الوحي في اصطلاح الدين هو كلام الله المنزل على نبي من أنبيائه ورسله بواسطة روح سماوى يسمى جبريل وهو أحد الملائكة الكروبيين (رؤساء الملائكة) ، وهذا الملك قد يتمثل لهم بشرا سويًا فيبلغهم كلمات ربهم بأن ينقشها في روعهم أو يسمعها آذانهم فتستوعبها عقولهم وإن غابت عن علمهم .

حالة أن العلم جملة معلومات وقواعد ونظريات تركزت وطبقت فأصبحت فروضا وفنونا شتى يجمعها في عمومها اسم العلم ولو بحثنا في أول قضايا العلم ومبعث نظرياته من قبل أن تؤلف الكتب وتدون المعارف لوجدنا أنها جميعا حقائق أولية ألهها الله لغيفا من مفكرى النوع الإنسانى فأدمنوا التفكير حتى قعدوها قواعد جلية وألفوا فيها الكتب ووضعوا أساليب العرض العلمى على أوليات الفروض الممكنة وبنوا على هذا الأساس أصول المعارف العلمية .

وأنت ترى أن مبعث العلم والدين والفلسفة أيضا واحد هو الشخصية المعنوية للإنسان وما وقر في فطرتها من إلهام إلهى أو إدراك عقلى وبعبارة أخرى طريق الوحي والإلهام (الدين) أو طريق العقل والحس (الفلسفة والعلم) فالدين فى أصله موهوب بالوحي ، والعلم فى وضعه مكسوب بالعقل ومطبق للتجربة الحسية بمعنى أنه إذا كان الوحي أصلا فى الدين فالعقل أو الإلهام البدهى هو الأصل الأول للعلم والفلسفة وتكون النتيجة أن لائحة

من فرق إلا في الأسلوب والمنهج بين دين موحى به يخاطب العقل أو معلوم
ملهم يكون نتيجة لاستقراء العقل وخبرته الموضوعية والذاتية للكائنات
الخارجية الحسية المنبثقة حوله ، ويكون الكل من عند الله بطريق الوحي أو عن
طريق الادراك العقلي أو الادراك الحسي بغض النظر عن الفروق في الدرجة بين
الوحي والادراك العقلي أو بين العلم والدين

وليس في العقيدة بالوحي ما ينافي للعلم بحال خصوصا في هذا الوقت الذي
كثرت فيه المباحث النفسية في أنحاء العالم شرقا وغربا وقد أثبتت العلوم النفسية
الحديثة أن في الوجود كائنات حية غير الإنسان مجردة عن المادة لها عقل
أرقى من عقلنا وفي خفايا الكون مدارك أسمى من مداركنا وأن هذه الحقائق
متصلة بعضها ببعض الآخر من طريق مباشر أو من طريق غير مباشر .

التصنيف بين الفلسفة والدين

الدين في عموم معناه وحى إلهي فهو لغة السماء لأهل الأرض وهو غذاء القلوب ومصدر الأوامر والنواهي للروح والعقل فكيف نوفق بينه وبين الفلسفة التي هي من صنع الفكر البشري وهي مجال للأخذ والرد والبحث والتعليل؟ كيف نوفق بين الحقيقة الدينية التي مصدرها الوحي ، والتفكير الفلسفي الذي مصدره العقل ، وبعبارة أخرى أساسه التردد والإستنتاج أو الحكم على الحقائق بالشك أو باليقين؟ فالمنطق الفلسفي قد يفتح اليقين تارة ويفتح الشك تارة أخرى . وبعبارة ثالثة كيف نوفق بين العقلية الإستنتاجية وبين اليقينية المحضنة التي مصدرها إلهام الفطرة ؟ تلك محاولة عسيرة جدا .

ولكن قد يبدو لأهل الأزمان السالفة أنها ضرورية لقوم عاشوا في العالم الإسلامي واعتنقوا الإسلام إبان ظهوره وكانت دراستهم بل حياتهم خاضعة للجو المحيط بهم على مختلف العوامل والظروف الواقعة بينهم والأفكار التي سادت عصرهم وكان منها الخلافات الفلسفية والأحكام الخلافية الواقعة في الملل الأخرى ما بين أفلاطونية قديمة ومحدثة وأرسطوطالية وأرسطوا وغنوسية وهلينية وتحكت فيها المذاهب الفلسفية المختلفة التي تحولت بهم إلى مذاهب وعقائد اسطورية دينية خرج القوم منها بأشكالات ورموز لا تشر ولا تغني من جوع ، ومعلوم أن أهل هذه الفلسفات بمذاهبها الشثية كانت تحاول جعل الفلسفة ديناً والدين فلسفة وهي تحيط بالمسلمين في آسيا الصغرى والكبرى وفي الشام ومصر (الأسكندرية) إحاطة السوار بالمعصم ، وكان من العرب طائفة يهودية وأخرى مسيحية وانضم أولئك وهؤلاء إلى المجامع التي أقامها من هم على شاكلتهم في الدين والفلسفة من أحبار وقساوسة وتسكون حين ذاك الجدل الفارغ المضروب به المثل والجدل البينظي ، وإنتهى كل واحد منهم بالإضمام إلى طغمة فلسفية أو دينية وأكثرهم كان على شعوذة عليية أو

دينية ملفقة أو سافرة فمنهم السامرية السريانية والرومانية الأباطونية
والفيثاغورية والأبيقورية ثم من المسيحيين اليقونية والاريسية والارثوذكسية
والسكاثوليكية إلى آخره ، وكلهم أراد أن يؤلف بين معتقده وبين ما يحيط
به من آراء فلسفية ونظريات عقلية أو علمية في أبان طفولة الفلسفة وقصور
العلم وغلبة الأساطير عليهم ، ففسجوا على هذا المنوال نفسه بحكم المخالطة
والمعاشرة . وهكذا تصدر بعض الذين يزعمون أنهم قادرون على هضم تلك
الآراء ففسجوا من المسلمين وتصدروا الرد على أهل الزندقة والنشكك والهدم
وذلك هو نفسه ما أوقع اليهود والمسيحيين من قبل في خلط الدين بالفلسفة
اليونانية معتقدين أن هذا هو السبيل للتوفيق بينهما ، وفرق عظيم بين دين هابط
من السماء وكتب منزلة ولها رسل منتخبون من خلاصة البشر وبين فلسفة
استخلصها العقل مذ كان طفلا من أوليات بعضها رموز دينية وبعضها أساطير
شعبية متوارثة . ونعم أن اليونانيين دون هضم لحقهم قد أصلوا علم المنطق
وفصلوا أحكام العقل عن أحكام المثلوجيا الدينية فلهم في هذا فضل يذكر
حيث خلصوا العقل من أغلال الوثنية والمسرحيات الخيالية ؛ ولكن مع
هذا فإن العقل قد ظل يداول في أحكامه بين الحق وبين الباطل أو السفسطة
الشبيهة بالحق والواقع أن بين اليقين والشك وبين الحق والباطل درجات عدة
بعضها أقرب للحق وبعضها أقرب إلى الباطل وفي قضية فلسفية واحدة يوجد
ثلاثة أوجه : حق صراح وباطل صراح ثم مغالطة بين الحق والباطل وتلك هي
السفسطة ، ويكون المسفسط مبطلا ضرورة تبعا لتردده بين الحق والباطل ،
ويكون الموفق بينهما أكثر بطلا من حيث أن الحق واحد لا يتعدد وذلك في
الدين وفي المنطق العقلي سواسية ، ولذا قلنا بطلان التوفيق بين الدين والفلسفة
لا لأن الفلسفة في نفسها باطلة بل لأن الفلسفة الصحيحة تتفق ضرورة مع
الدين الحقيقي من حيث طلب الإثنين للحق والحق لا يتعدد فإن أعوجت الفلسفة
تعرجت ضرورة وبعدت عن منطق النظرة السليمة وحينئذ ربما يجوز التوفيق
بين الدين والفلسفة ولكن المواق حينئذ يكون موقفا بين الحق والباطل فهو بهذا المماثلة

أكثر بطلا ممن يغالط في الحق لأن المغالط في الحق فقط قد يقدر ما هو حق في نفسه وما هو باطل ولكن المغالط مطلقا أى المسفسط المتعمد الذى يوفق بين الحق والباطل فماذا نسميه ؟ لا شيء غير أنه إنسان أراد أن يصيب الحق الذى لا يعرفه ولا يحبه بالباطل الذى يألفه لئلا يصطدم مع مذهبه ، وهكذا يكون حال من يوفق بين دين حق هابط من السماء بكتاب منزل من الله وبين فلسفة كانت في عصر طفولتها كما كانت الفلسفة اليونانية القديمة ، وإليك مثالا من ذلك فطاليس يقول لا ثمة في عالم الكائنات سوى الأشياء الكونية ، وأفلاطون يقول بالمثالية وهى عكس المادية بمعنى أنه خلق من عنده مثلا قائمة بنفسها تعلو على المادة فتنتجها أو تدبرها .

وتلك نظرية المثل الانلاطونية المشهورة وعنده أن المادة مجرد ظلال مظلمة خلقتها المثل وأما وظيفة الله في مذهبه وفي فلسفته وهنا العجب فهمى معطلة دون عمل لأن الله في عرفه مثال الخير الأعظم وله الكمال الذى يجعله لا يتحرك بالخلق والإبداع ولا إدارة الكائنات من حيث أن المثل الانلاطونية قد تولت هذه الوظيفة ، وبما أنه واحد منها فليس له من التدبير سوى أن يكون مثال الخير الأعظم فقط . ويتعالى الله عن ذلك علو كبيرا .

وإليك رأى تلميذه أرسطو القائل بأن الهيولا أصل الوجود ثم أن الهيولا تلبس صورا بفاعليتها ؛ وبالهيوالة وصورها المتعددة يتم التكوين والإبداع وتتحرك قافلة الكائنات فان سألت أرسطو طاليس عن الله قال : انه موجود ولكن وظيفته منحصرة في أنه دفع الهيولا دفعة واحدة أول مره فقط ثم دخل مسرح الكمال من بين كواليس التجلة والإحترام ، وهذا يمنعه بحكم قدامته من أن يدبر عملا أو يدبر تدبيرا أو يعنى بمخلوقات خلقتها الهيولا . وكذب المبطلون لأن الله عز وجل بيده ملكوت كل شيء . وهكذا وعلى هذا القياس الخاطئ . أنتجت الفلسفات البدائية فكرة خاطئة عن الكون وعن الله بدليل أن العناصر في عرفها كانت أربعة لا غير : الماء والنار والتراب والهواء وتلك في عرف الفلسفة الحديثة والعلم الحديث أيضا مركبات مكونة من عناصر أكثر

من إثنيين وتسعين وتنحل هذه العناصر أيضا إلى كائنات خفية هي الذرات الذرية ما بين نويات وكهارب (نظرية الانوم الذرى) والنتيجة أن الفسكرك متطور وأن العلم متطور وأما الدين فإنه لا يتطور قط وهو ثابت فى أصله الإلهى السامى لأنه الحق المحض الصالح لكل زمان ومكان فلا يقال بجموده ، ولذا لا يمكنه أن يعترض معترض على عدم تطور الدين فى أصوله بحجة الوجود لأن الأصل الثابت لا يتطور ضرورة ولو تطور الدين فى أصوله لتغير بحسب تغير الأزمان كما هى سنة التطور ولهذا تعددت الرسل وكلهم يضرّبون على وتر واحد هو التوحيد الخالص ويهدفون إلى حقيقة واحدة دائما فى كل زمان وكل مكان هى عبادة الواحد الأحد .

وكذلك الفلسفة الصحيحة إذا تحدد تعريفها بكلمة واحدة هى (البحث عن الحقيقة) وبهذا تكون متفقه ضروريا فى غاياتها مع الدين وغير محتاجة للتوفيق معه لأنهما توأمان وإن كان لكل واحد منهما منهجه الخاص .. وهما قد رجعنا إلى بطلان التوفيق بين الفلسفة الصحيحة والدين الصحيح وإلى أن الواقع هو ما قدمناه من أن الدين الحق والفلسفة الصحيحة قد خرجا من نبع واحد وهدفا إلى غاية واحدة هى البحث عن الحقيقة المطلقة وإن تغايرت الأساليب والمناهج وطرائق البحث ، فلو مثلنا للوجود السكونى بشجرة يراد دراستها وعرفان أصلها من فروعها إلى جذورها وتدخل الدين فى هذه الدراسة ثم تدخلت الفلسفة . لا يكون الفرق بينهما إلا أن الدين أخذ فى دراسته الشجرة من جذورها ليصل إلى جزعها ثم إلى فروعها وأوراقها .

وأخذت الفلسفة منهجا مغايرا ، ابتدأت فى الدراسة بالأوراق فالفرعيات فالفروع فالجزع بغية أن تصل إلى جزر الشجرة لتتيقن من وجود أصلها بعد أن درست فروعها وجزعها ، وهنا يلتقى منهج الفلسفة ومنهج الدين فى أفق اليقينية العامة وثمة هنا فارق واحد حقيقى بين منهج الدين الصحيح ومنهج الفلسفة الصحيحة وهو أن الدين فى منهجه يبحث من الأصل إلى الفرع والفلسفة تبحث من الفرع لتجد الأصل ، فمنهج الدين واصل بالضرورة إلى عرفان مبدع

الكائنات أولا والإيمان به ثم دراسته أعيان الكائنات بعد هذا ليؤكد ذلك الإيمان الذى بدأ باليقين الشخصى الناشئ عن التفكير الحر لا التقليدى ، وهذا ما نسميه عالم المعرفة العامه الجامع بين نتائج الفلسفه ونتائج الدين ونتائج العلم جميعا فى رحاب حقيقة مطلقة. ويبقى علينا فى هذا المقام أن نزيد القارىء فكرة عن هذا الموضوع هى أن الفلسفه فى عمومها تجمع بين الحق والباطل ، والمنطق العقلى فى مجموعه يجمع بين اليقين والشك كما تقدم وبين الحقيقة والمغالطة (سفسطة) .

وأما الدين ومنطقه منطق الضمير والبصيرة فليس له إلا كلمة واحدة مستقيمة وهى أن الأمر إما أن يكون حقا حقا أو باطلا باطلا ، ومن جهة العمل إن خيرا خيرا أو شرا شرا . وأخيرا (افعل أولا تفعل) ولا يوجد فى الدين بين الحق والباطل أو الخير والشر درجات يتردد فيها بينها العقل لأن له لغة بسيطة تحمل معان صريحة وذلك هو منهج الحقيقة التى تجمع بين المنهج السليم فى الفلسفه والمنهج السليم بالضرورة فى الدين سواء فى عالم السلوك الخلقى أو فى المعتقد . ولذلك ترى أيضا أن الفلسفه الصحيحه ذات المنهج السليم تؤيد الأخلاق الفاضلة فى السلوك وتهدف إلى التثبت العقلى باليقينيه الفلسفيه التى ان تكون سوى الوجه الآخر لليقين الدينى المسمى بالإيمان .

وهنا وفى هذا الأفق المتسامى من الدين والفلسفه بل قل ومن العلم أيضا يبرز نجم التصوف الذى هو فرع عن الدين ولكنه يجمع فى محيط قواعده بين معانى الدين الحق ولحات النظر الفلسفى السليم فى خلق السماوات والأرض والأنفس ويجمع أيضا بين تحقيقات العلم ونفحات اليقين وأنوار الإيمان بغية الوصول إلى الحقيقة الإلهيه المطلقة الشاملة فى محيط قدس السراجى لوعى العقل وإيمان القلب وعبوديه النفس وفى النتيجة التقرب الحق بالحب إلى مبدع السماوات والأرض وبما أننا نهد بهذا الكتاب (كتاب المفتاح) للكلام فى الدين عموما وفى التصوف خصوصا فقد وجب علينا قبل أن ندخل بالقارىء فى هذا المجال العظيم أن نتكلم عن إثبات وجود الروح لأن وجودها هو المحور

الذى تدور عليه جميع أبواب التصوف وأحواله ومقاماته . وإذا قلنا التصوف
فإنما نريد التصوف الإسلامى الخالص لأن التصوف عموما هو أسم جامع
يجعل لكل ديانة تصوفها ما بين هندوكية وبوذية وزرادشتية ثم يهودية ومسيحية
وإسلامية . وأما نحن وفي هذا الكتاب إنما نريد التصوف الإسلامى المستنير
بأسائر كفايات التعقل والإحساس والإلهام وبما أن الروح أو النفس أمر عظيم
ينفى وجوده تبعاً لوجود الله جملة الملائكة والماديين والمشككين جميعاً وإثبات
وجودها هو السلم الصاعد الموصل لعرفان وجود الله ، لذا ارتأينا أن نتكلم
فى الروح لا من جهة أصلها وإنما من جهة مجرد وجودها وأنها أمر روحى إلهى
طارىء على الطبيعة ولم يكن وحدة من وحدانها لاسيما وأن إثبات وجود الروح
متعلق بإثبات وجود الخالق المبدع عز وجل كما تقدم .

اثبات وجود الروح بالأدلة الحسية

اعلم أن الروح والنفس شيء واحد واختلفت التسمية لإعتبارين فهى الروح باعتبار اتصالها بمبدعها وناخها عز وجل وهى النفس أيضا باعتبار اتصالها بالجسد لإمداده بالحياة وتكوينها للغرائز الجسدية. وقد ذهب الماديون بين فلاسفة وعلماء الى أن مسألة وجود الله والنفس تكاد تكون ضربا من الخرافات بل هى نوع من الجهالة يأباه كل عقل تنور بالعلوم الطبيعية، وإثباتا لمبدئهم هذا صرفوا عنايتهم إلى البحث فى علل الكون الطبيعية بصرف النظر عن مبدعها، وفى البحث عن الحياة صرفوا النظر أيضا عن وجود حياة مستقلة وأخذوا فى الاكتفاء بعلم وظائف الأعضاء ومكوناتها من خلايا حية ووسط تعيش فيه فزعمو أن القوى العقلية فى الانسان مصدرها الدماغ ولا صحة لصدورها عن مبدأ روحى غير هيولى، وأن نسبة الفكر للدماغ كنسبة الصفراء للكبد أو البول للكلب. وبالاختصار فإن الانسان فى عرفهم آلة مادية تتلاعب بها التأثيرات الخارجية الطبيعية وعند الموت يتلاشى منه كل شيء وينطفىء فيه الفكر مع انطفاء الحياة الطبيعية، وهذا مبدأ فاسد ورأى خاطئ دون شك؛ وأما الصحيح فهو أن التعمق فى علم الحياة تعمقا بعيدا عن الغرض والتجيز المذهبي يأتى صاحبه بأقوى دليل وأسطع برهان على صحة وجود النفس وتميزها عن الدماغ ووظيفته. وليس فى وسعنا الآن أن نأتى هنا بتفصيل العناصر المؤلف منها الدماغ ولا أن نشرح أجزائه ووظائفه بل نكتفى لضيق المقام بإيراد كيفية سريان الحس فى الأعصاب والأعضاء ووصوله إلى الدماغ ثم رجوعه إلى هناك بهيئة تأثير محرك.

أن الأعصاب المنتشرة على سطح الجسم، لا تؤثر فيه العوامل الخارجية على حد سواء بل تتابع مؤثرات معينة لإيجاد إهتزازات الألياف الدقيقة المؤلفه منها الأعصاب السطحية، فمثلا التأثيرات على النظر لا فعل لها فى عصب

السمع وبالعكس ، فإذا إتخذنا مثلاً حاسة البصر موضوعاً لبحثنا نرى أن الحركة التوجيهية في الأنثر تمتد إلى الطبقة البصرية المستقرة في وسط الدماغ . ومن هناك تندفع إلى مركز الحواس حيث نلتشر في الخلايا الدقيقة للمخ فيما يختص بالإبصار وتوقظ العناصر العصبية المتعلقة بالتأثيرات البصرية . وعليه فكل نوع من التأثيرات الحسية الخارجية تتفرق ثم تتجمع في مكان مخصوص من الدماغ وقد أثبت التشريح وجود أماكن معينة من الدماغ ونواح محدودة لكل حالة تتجمع فيها وتتكاثر ويتحول ما تنقله إليها الحواس من التأثيرات الخارجية وقد قام علماء الفيزيولوجيا ببعض اختبارات على الحيوانات الحية أظهروا بها أنهم ينزعهم من هذه الحيوانات قطاعاً مخصوصاً من المادة المخية تفقد قوة الإدراك للتأثيرات النظرية أو السمعية مثلاً بل أثبتوا بالامتحان أن دماغ الكلب ترتفع الحرارة في جزء من أجزائه بالنسبة للنوع من التأثيرات المتصلة إليه من إحدى الحواس .

وإذا سألنا الماديين كيف تتحول هذه الحركات الإهتزازية بعد وصولها إلى مراكزها النسبية من الدماغ إلى أفكار ذهنية فهمية ؟ فيجيبوننا أن هذه الإهتزازات حينما تبلغ القلالي الحسية من الدماغ يحدث فيها من رد الفعل ما يحدث في خلايا النخاع الشوكي . فغير خاف على أحد ما يتم في حادث رد الفعل هذا وهو أن محركات الأعصاب الحية تنقل إلى القلالي الدقيقة من النخاع الشوكي تهيجاً ، ينعكس إلى القلالي الغليظة فتهتز له الأعصاب المحركة المناسبة لها وعلى هذه الصورة يرد الإهتزاز إلى نقطة مصدره تحت هيئة تأثير محرك . هذا ما يحدث في ضفدعة قطع رأسها ومع هذا فتتشنج رجلها لدى مسها بحامض مهبج .

فالامر نفسه يحدث في المؤثرات الطارئة على القلالي الحسية من الدماغ أى أن القلية القشرية عندما يبلغها الإهتزاز الخارجى تنقبه حاسيتها الذاتية وتفرغ القوة الكاملة فيها ثم تمتد الحركة إلى ما جاورها من القلالي وتواظ القوات المضمرة فيها حتى تبلغ القلالي الغليظة . وهذه تمقلها الى الطبقة الرمادية

ذات الاغاديد من الدماغ التي تقوى الاهتزازات وتدفعها إلى الأعصاب تحت هيئة تأثير أو بالأحرى أمر محرك أو ردود أفعال .

إننا نسلم مع ناكري النفس بكيفية مجرى الحس هذا المعبر عنه بالاهتزاز العصبي وبلوغه إلى الدماغ ثم إرتداده من هناك تحت هيئة أمر محرك . ولكن فأت خصوم الروح حادث خطير جرى ما بين هذا البلوغ والإرتداد وهو حادث الإدراك الذهني أى دراية الشخصية الإنسانية بما يحدث من الأمور الخارجية وتأويل معانيها لأن تلك الاهتزازات والتهيجات العصبية ما هي إلا حركات مادية تولد حركات أخرى . ولكنها لاتحدث بنفسها إدراكا ولا وعيا نفسانيا وما نتيجتها سوى أن تنتبه القوة العاقلة لإدراك مصدر هذا التنبيه وعلمته وغايته . وبدون ذلك لا يكون الإهتزاز أو الحركة الخارجية أدنى مفعول في قوة الفهم .

أن القلية العصبية المركبة من كميات متناسبة من الكوليسترين والماء والفوسفور وحامض الكربوك ... الخ . . ليست بذاتها قوة مدركة . والحركة الإهتزازية هي بذاتها حركة مادية محضة فكيف أن إهتزاز هذه القلية العصبية وإنتصابها يولد إدراكا ؟ هذا ما عجز الماديون عن تبيانها أما الفلاسفة الروحانيون فيعلموننا بوجود شخصية عاقلة فينا تدعى نفسه تنتبه بهذا الإهتزاز إلى ما طرأ من الحوادث الخارجية وعند ما يتم إنتباهها هذا يحدث الإدراك . ويؤيد ذلك بأجلى بيان حادث الذهول مثلا عندما نكون مستغرقين داخل حجرتنا في عمل من الأعمال وقد نشغل عن سماع دقات الساعة بل عن صوت ناقوسها أيضا . ومع هذا فإن الإهتزازات الصوتية أثرت في عصب سمعنا وبصرنا وبلغت حتى الدماغ الباطنة بدون أن تنتبه لها بل وقد يمر علينا صديق لنا أو قريب عزيز علينا ولا تنتبه لمروره وماذا كان إلا لسكون نفسنا مشغلة بأفكار أخرى ولم تنتبه ولا أثرت فيها إهتزازات القلالي الدماغية فلم يحصل الإدراك السمعي أو البصري .

وبالاختصار أن المادة كانت موجودة في مخنا ولكن لم يكن لها بنفسها

إختيار ولا تميز من تلقاء نفسها ، والنتيجة أن المادة الدماغية هي آلة لتيبيان
إحساسات النفس العاقلة وأفكارها فلا تعقل يصدر بواسطتها من التعبيرات
الفكرية أو التأثيرات العصبية كما أن آلة الساعة مثلا لا تدرك حركة الأوقات
التي تشير إليها وكما لا تدرك قراطيس الكتابة الأفكار المسيطرة عليها . ومن
زعم أن الدماغ يدرك التفكير فهو كمن يزعم أن الساعة تدرك حركة الوقت
والقراطيس معنى الكتابة . وقد قرر علماء الفيزيولوجيا إجمالا أن كل حركة
تصدر من الانسان أو الحيوان يصحبها إحتراق جزئي في المادة العضلية وكل
فعل من الإرادة أو الحس يأتي عنه تعب في الأعصاب وكل عمل فكري
ينتج عنه اتلاف في الدماغ بدرجة أنه لا يمكن لذرة واحدة من المادة أن
تصلح مرتين للحياة ، فعندما يبدو من الانسان أو الحيوان عمل عضلي أو عقلي
فالجزء من المادة التي صرفت لصدور هذا العمل تتلاشى تماما وإذا تكرر
العمل فمادة جديدة تصلح لصدوره ثانية وهلم جرا . وهذا الاتلاف في خلايا
المادة الحية يحدث لمنااسبة قوة الظهورات الحيوية فكلما اشتد ظهور الحياة
إزداد تلف المادة الحية ، إنما هذا الإستهلاك الدائم يصحبه تعويض متصل من
المادة المتجددة الداخلة في الدم بواسطة الهواء والمواد الغذائية وهذان العاملان
أى عامل الاتلاف وعامل التجديد مرتبطان ببعضهما في الخلايا الحية إرتباطا
لا ينفصم ادرجة أنه يمكن القول بأن الاتلاف شرط ضرورى للتعويض ،
وهذا العمل الثانى أى العمل التجديدى هو عمل باطنى سوى لظهور له في
الخارج في حين أن عوامل الاتلاف تبدو ظاهرة للعيان فتدعوها ظواهر الحياة
وما هى إلا بوادى الموت لأن ظهورها لا يتم إلا باتلاف جزء من أنسجتنا
العضوية . فينتج مما تقدم أن وسط تنازع هذين العاملين الاستهلاك والتجديد
يتجدد جسمنا مرارا عديدة في مدة الحياة ويتم هذا التجدد على ما ارتأى
الفيزيولوجى (موليشرت) في كل ثلاثين يوما . أما (فلورنس) فيزعم أن
ذلك لا يتم إلا في كل سبع سنوات . وقد قام هذا العلامة بامتحانات على
الأرانب أثبت فيها تجدد عظامها ذرة فذرة في مدة محدودة . على أن نأكرى النفس

يزعمون أن قوة الذاكرة ، عبارة عن إهتزازات فسفورية تختزن في القلية العصبية من الدماغ ، بعد وصول التأثيرات الخارجية إليها . فان صح ذلك وتقرر أن كل ما فينا من العظام والأنسجة العضلية والخلايا العصبية تتلاشى في مدة معلومة اقتضى لقوة الذاكرة أن تتناقص فينا بالتدريج إلى أن تتلاشى تماما في مدة أقصاها سبع سنوات وعلى هذا فاضطر في كل سبع سنوات لتجديد كل ما تعملنا سابقا . والحال أننا نشعر بأن الأمر ليس كذلك وأن تيار المادة المتجددة في اتصال لا يحدث أدنى تغيير في ذاكرتنا وأن أمورنا وقعت معنا أيام الصبا تخطر على بالنا في زمن الهرم وهذا لا ينفي أن قوة التيار تضعف بضعف قوة الجهاز وهذا لا يطعن في قوة التيار نفسه كالمسلك الكهربي مثلاً إذا ضعف ضعف قوة التآلق الكهربي بالضرورة ولكن هذا ليس معناه أن التيار الكهربي بان نفسه قد ضعف وبالإجمال إن كل ما فينا من قوة معنوية يؤيد ثبات شخصيتنا وعدم تغييرها برغم تغيير كل ذرات كياننا المادي . وهذا دليل قاطع على وجود قوة روحية فينا تدعى نفسا يقيها جوها البسيط من التحولات والتقلبات الطارئة على المادة الهولية المركبة وفيها ينطبع ذكر الحوادث الماضية والعلوم التي اكتسبناها باجتهاد العقل والفكر . وما عدا ذلك فان العناية الالهية نهتتنا في هذا العصر بواسطة الأبحاث النفسية إلى ما يؤيد لنا وجود النفس بنوع حسي مثل الأبحاث المغناطيسية الحيوانية ، وبها نشاهد انفصال الروح عن الجسد وقيامها بأعمال مدهشة تنبئ عن صحة وجودها الذاتي وصدور أعمالها الفكرية بمعزل عن الحواس ، وهذا العلم علم الأبنوتزم اليوم في عداد العلوم الطبيعية هو وعلم النفس عموماً .

الإنسان

إذا نظرنا إلى الإنسان نجده مركبا من ظاهر مشهود وباطن معقول . أما الظاهر المشهود فهو الجسم بأعضائه التي تكون وظائفه الحيوية وكل عضو منها يكون جهازا عاما تظهر فيه الحياة وتسير فتجعله قابلا للتغذية والنمو والتناسل باستهلاك الخلايا الحية وتجدها أطوارا أطوارا وهكذا دواليك وكل عضو يؤدي وظيفة لها غاية طبعها في سلم التطور الحيوي كالجهاز العظمي الذي هو عماد البدن المشتمل على مائتين وثمانية وأربعين قطعة . والجهاز الدوري الذي يوزع الدم على الجسم للتغذية . والجهاز التنفسي الذي يأخذ الهواء من المحيط الجوي لإصلاح الدم ثم يرده . والجهاز الهضمي الذي يهضم الأطعمة . والجهاز البولي الذي يفرز البول من السكلى . وجهاز الحركة الذي بواسطته ينقل الإنسان من مكان إلى مكان . والجهاز التناسلي الذي به يتجدد أشخاص النوع . والجهاز العصبي الذي يكون الاحساس والإدراك وهذه الأعضاء مركبة من العناصر التي هي في تحليل وتركيب على الدوام . وعند مفارقة الروح لها يذهب كل عنصر إلى أصله السكلى وهو المعبر عنه بالموت والهلاك (كل شيء هالك إلا وجهه) . وأما الباطن المعقول فهو النفس الناطقة أو الروح التي هي لطيفة ريانة ليست مركبة ولا بسيطة ولا متحيزة . بل إنها تشرق على الأجسام إشراق تديير ، ومتى قبض ذلك الاشراق عند إنقضاء الأجل حصل ما يسمى بالموت الحيواني . وتلك اللطيفة الإلهية لها قوى متنوعة فمنها ما هو إدراكي حسي كقوة السمع والبصر والشم والذوق واللمس والחס المشترك في مقدم الدماغ والخيال الذي يليه إلى خلف والفكر وهو الإدراك العقلي في وسط الدماغ والوهم في مؤخر الدماغ والحفظ يليه إلى الخلف وهذه القوى كلها خاصة بالناحية المخوية ومنها ما هو لخدمة البدن وهو القوة الهاضمة والماصة والمغذية والمفرزة والماسكة والمحركة والمولدة . فهذه سبعة . ثم منها الشهوة والغضب

والجرمة والنخجل والخوف والعقل ، فالشهوة لجلب المنافع وإستمرار الحياة والغضب لدفع المضار والجرمة للسيطرة والنخجل للشحور بما يذرى والخوف للفرار .

الروح

والروح هى اللطيفة الالهية الباعثة على الحياة فى الجسد بأمر من الله وبأمر آخر تترك الجسد راحلة إلى عالمها الالهى . فالأرواح خالدة بعد فناء الأجسام أما فناء الأجسام فيحدث ، فتحللها إلى عناصرها وهذا لا يقتضى طبعا فناء الروح بفناء الجسد لما تقدم من أن الروح نور إلهى مشرق على جسد الانسان عند تكوينه فيحييه كما يشرق الضوء الكهربانى فى غرفة لينيرها والضوء الكهربانى لا يضىء إلا بجهاز هو المصباح الكهربانى فإذا كسر المصباح تظلم الغرفة وليس هذا معناه أن التيار الكهربانى نفسه قد تلاشى وإنما تقبض عن أن يشع فى المصباح وهذا مثال لإشراق الروح على الجسد لتحييه فإن فى الجسد تنقبض عنه الروح وليكنها لا تنفى لفنائها . وأما الأرواح فلا تركيب فيها حتى تحلل بل هى بسيطة وخالدة أبدا فى نعيم ان كان صاحبها خيرا ، وفى جحيم إن كان صاحبها شريرا .

(مطالب الروح)

ومطالبها هى أرزاقها المعنوية وهى تغذيتها بالعلوم ثم بالاعتقاد الحق والعبادة المقربة إلى الله والفضيلة الشخصية والأهلية المدنية . أما الاعتقاد الحق فهو الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبقضائه وقدره ، وأما العبادة المقربة فهى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت عند الاستطاعة بالصحة والمال والأمان . وأما الفضيلة الشخصية فهى معرفة الفضائل والتخلق بها ومعرفة الرذائل والبعد عنها ، والفضائل مثل العلم والعفة والشجاعة والعدل الحلم

والصبر والكرم والصدق والأمانة والتواضع وحب الخير للناس . والرزائل
أضدادها من الجهل والشره والجبن والجور والسفه والعجز والبخل والكذب
والخيانة والكبر وحب الشر للناس ، وتلك هي الفضائل الاجتماعية ويضاف
إليها الفضائل العائلية الخاصة مثل الحقوق الواجبة للوالدين والأولاد والأخوة
والأخوات والزوجة والخدم والعمل بها . وأما الأهلية المدنية فهي معرفة
الحقوق الواجبة للأقارب والجيران وأهل بلده خصوصاً والناس عموماً
والعمل بها فتي عرف الإنسان كل ذلك وأداه على وجه الاعتدال كان سعيداً
في الدنيا والآخرة .

الخلق

وينبغي على الفضائل المتقدمة وأضدادها من الرذائل قانون إلهي غير مكتوب إلا في الضمائر والقلوب وهو القانون الخلقى . والخلق هو الإيزان والتوافق الذى يؤلف بين غرائزنا ومواهبنا العلمية بغية إتباع الخير الأعلى ثم التسامى بالآنية الشخصية وغرائزها إتباعا لسير الترقى يوما فيوم بحيث يكون المرء فى يومه خيرا من أمسه وفى غده أرقى من يومه . فإن كبا الإنسان فى بعض الاحايين فيجب أن يعقب كبوته النهوض على الفور دون تساؤل أو تردد أو أى إلتفات إلى الوراء أو إلى ذكر ما حدث من خطأ للوقوف معه وإنما يجب حصر التفكير كله فى النهوض والإصلاح .

والفضيلة على التحقيق ليست هى اللذة ولا السعادة ، وما السعادة أو اللذة إلا حالات قد تتبع الفضيلة فى سيرها باعتبار أنها من نتائجها وإنما الفضيلة هى التشبه المختار بكل خلال الخير وتحكيم قانون الأخلاق العام فى السلوك الشخصى ومن اللازم أن تسكن الفضيلة قيمة قائمة بذاتها وأن ينقاد الإنسان فى تصرفه لمجرد الواجب لا للمنفعة ولا للذة ولا للسعادة .

وتوازن السلوك الشخص لا يتحقق إلا باتهام النفس فى رغباتها والإخلاص فى النصيح لها والصراحة معها ، ولا نجاح الإنسان فى الحياة إلا بتحقيق ذاته وتحقيق الذات هو سيطرة الإنسان على سائر ميوله وقواه والتحرر من أهوائه التى قد تخرجه عن توازنه أو تشتت إجتماع مواهبه أو توجع نيران غرائزه . فينبى فى جملة شخصيات وتقاليد وعادات لا تناسبه فيعيش وكأنه غير ما هو فى نفسه قياسا على حياة غيره لا على ما يجب لنفسه أو عليها . وتحقق الفضيلة ويتقوم الخلق بتدريب النفس على طاعة أوامر الله وإجتناب نواهيه وذلك بحقائق الإسلام تطبيقا وعملا ثم بحقائق الإيمان تفكيرا ومعتقدا ثم بأحوال الأحسان خشية ومراقبة وهذا لا يتم فى كاله إلا بسلوك طريق الله وهو التصوف

منازل النفس وطرورها

في سلوكها الطريق إلى الله

ومقاماتها سبع :

- (الأول) مقام ظلمات الأغيار وتسمى النفس فيه بالامارة .
- (الثاني) مقام الأنوار وتسمى النفس فيه لوامة .
- (الثالث) مقام الأسرار وتسمى النفس فيه ملهمة .
- (الرابع) مقام التوازن . وتسمى النفس فيه مطمئنة .
- (الخامس) مقام الوصال وتسمى النفس فيه راضية .
- (السادس) مقام تجليات الأفعال الإلهية وتسمى النفس فيه مرضية .
- (السابع) مقام تجليات الأسماء والصفات الإلهية وتسمى النفس فيه كاملة .

وتلك درجات للنفس تعتبر فيها النفوس سبع باعتبار ترقبها من درجة إلى درجة بحسب أوصافها وإلا فهي واحدة باعتبار أصلها الإلهي . الأولى النفس الأمارة بالسوء وهي لأنامر صاحبها بخير قط ، فإذا جاهدتها صاحبها وخالفها في شهواتها حتى أذعن لإتباع الحق وسكنت تحت الأمر التكليفي الإلهي تيقظت وليكنها كثيرا ما تغلب صاحبها بحكم غرائز الجسد في أكثر أحوالها ثم ترجع على نفسها باللوم على ما وقع منها حينئذ تسمى لوامة وهي الثانية ، فإذا أخذت في المجاهدة والكبد حتى مالت إلى عالم القدس واستنارت بحيث ألهمت فجورها وتقواها سميت ملهمة وهي الثالثة وعلامتها أن يعرف صاحبها دسائسها الخفية ودسائس خدينها الشيطان من الرياء والعجب وغير ذلك فإن ألزمت المجاهدة حتى زالت عنها حجب الشهوات وتبدلت صفاتها المذمومة بالمحمودة وتخلقت بأخلاق الله

تعالى الجماليه من الرأفة والرحمة واللفظ الكرم والود سميت مطمئنة وهى
الرابعة ، وهذا المقام هو مبدأ الوصول إلى الله تعالى لسكنها لا تخلو من دسائس
خفية جدا للشيطان كالشرك الخفى وحب الرياسة إلا أنه خلفاء تلك الدسائس
ودقتها لا يدركها إلا أهل السلوك إلى الله أولئك الذين نور الله بصائرهم بنور الإيمان
والاخلاص فيجربى فى النفس الصلاح كما يجربى الماء فى العود ، وتتجلى بالصفات
الكريمة كالكرم والحلم والتوكل والزهد والورع والشكر والصبر والتسليم
والرضا بالقضاء مع إنكشاف بعض الأسرار وإنخراق بعض العوائد وظهور
الكرامات وربما ظن صاحبها عند عدم اليقظة أنه الإمام الأعظم وأن مقامه هذا
المقام الأفخم لأن الحجب هنا نورانية بعد أن كانت ظلمانية . وذلك من جملة
الدسائس النفسية إن الشيطان ليحربى من ابن آدم مجربى الدم فى عروقه فاذا
أدركته العناية الإلهية وإستند إلى شيخ كامل يبصره بالطريق ولازم المجاهدة
حتى تتمكن من نفسه الصفات المحمودة دون المذمومة وينقطع منه عرق الرياء
والفخر وقد صارت نفسه مطمئنة حقاً واستوى عنده المدح والذم دخلت نفسه
فى مقام الفناء ورضيت بكل ما يقع فى الكون من أقدار سميت راضية وهى
الخامسة . وسكن رؤية الفناء والإخلاص ربما أوقعت فى النفس شيئاً من
العجب ورؤية النفس فى رجوع القهقري ، فيجب أن يستعين بالله من ذلك مع
مداومة الذكر والاتجاه إلى الله تعالى وملاحظة أنه لا يتم له الخلاص إلا بمدد
من شيخه فاذا فنى عن رؤية النفس وعن الفناء وخلص من رؤية الاخلاص
تجلى على نفسه ربها بالرضى الكامل فصارت مرضية وعفى عن كل ماضى منها
وتبدلت سمئاتها حسنات ؛ فاذا انفتحت لقلب السالك أبواب الاذواق
والتجليات وصارت نفسه غريقة فى بحار التوحيد وآنستها بلابل الامرار
بالتغريد حدث الشهود فصارت نفسه كاملة لأنها بعناية الله مرعية وبفضله مقربة
وتلك هى الدرجة السابعة إلا أن صاحب المهمة العلية لا يرضى بالوقوف عند
هذه المقامات وان كانت سنية بل يسير من الفناء إلى البقاء ويطلب وصل
الوصل بتمام اللقيا فتناديه حقائق الأكران : إنما نحن فتنة فلا تكفر - وأن إلى

ربك المنتهى . فاذا سار إلى منازل الأبطال وخلف الدنيا بقلبه ورأى ظهره ناداه ربه بأحسن مقال : (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي) وحينئذ يدخلها ربها في عدد أهل الإحسان ويخلع عليها حلال الرضوان ويدخلها جنات الشهود ويجلسها في مقعد صدق عند مليك مقتدر . وفي هذا المقام تكون قد أتمت طور المجاهدة والمكابدة لأن صفات الكمال صارت لها طبعاً وسجية ، ولذا سميت النفس في هذا المقام بالكاملة .

الخلاف المتوهم بين الدين والعلم والفلسفة

قدمنا أن الخلاف المتوهم بين الدين والعلم أو بين الدين والفلسفة خلاف وهمي ، وإيضاحا لذلك نقول : أن الفرق بين الدين والعلم والفلسفة فرق اعتباري منهجي في تصور النظرة للوجود التي تختلف بحسب كفايات الإنسان .

وكفايات الإنسان عندى ثلاث وإن جعلها علم المعرفة الحديث كفايتين وقصرها على الإدراكين العقلي والحسي . وتلك الكفايات هي : كفاية الحس وكفاية العقل وكفاية الوجدان أو البصيرة . وبعبارة أخرى : الخبرة الحسية والخبرة العقلية والخبرة الذاتية أو البصيرية أو قل الشعورية . فالخبرة الحسية موضوعها العلم بمعناه الحديث والخبرة العقلية موضوعها الفلسفة في عصورها الثلاثة : القديمة والوسطى والحديثة ، والخبرة الوجدانية أو البصيرة الذاتية موضوعها الدين أو التصوف في معناه الخاص بالروح والقلب .

فالناظر من منهج العلم أو الفلسفة إذا نظر للدين من زاويته الخاصة رأى فريقا بعيدا أوقريبا في أوجه النظر .

وإن نظر الباحث للوجود من سائر زواياه بواسطة الدين والعلم والفلسفة والتصوف تقاربت عنده وجهات النظر بل توحدت كلها في ميدان المعرفة العامة .

ولذلك فإنه حين يبدأ العلم بالبحث عن أسباب الأشياء الكونية وأصلها وغاياتها يتجه إلى الفلسفة . وحين ينتهي من خبرته الواقعية في الظواهر الحسية تبدأ الفلسفة بموضوعها وهو الخبرة العقلية المنطقية لتربط نتائج البحوث العلمية بوشائجها العقلية التي توحد بينها فتكون حلقات المعرفة العامة باحثة عن العلة الأولى المتوحدة في الوجود وذلك لا يكون إلا بتوحيد

وجهات النظر العلمي والفلسفي والديني .

فوسائل الدين ووسائل العلم ووسائل الفلسفة متوحددة في نتائجها فعلا وإن تغاير المنهج ، فلا يوجد بينهما تناقض قط لا في المبدأ ولا في الغاية وليبان ذلك نقول أن دوائر المعرفة تنحصر في العلم بطبائع الأشياء والعلم بالدين والعلم بالفلسفة والعلم بالتصوف . ولذلك يتوحددها إسم المعرفة العامة وينتهي أمر الجميع إلى اليقينية الوجودية أو إلى عالم المعتقد وهو مراد الكلمة الإيمان أو عالم مافوق العقل والحس بيد أنه متصل تمام الاتصال بمنطق العقل والحس .

وإن الحقيقة الواقعة بالفعل هي أنه يلزم عن وحدة ذات الله وحدة أفعاله ، وهي نبع الوجود ومصدره ومدد الكائنات الممكنة المحدثه اللازمة عن تلك الأفعال الإلهية مهما تنوعت مظاهرها وعلائقها ويكون اللازم دائما تابعا للزوم ضرورة إيجادا وحالا وصيرورة لأنه ناتج عن وجوده كالإنسان وصورته في المرأة مثلا ، فقد يسميان شخصين وإنما هما شخص واحد وطيفه فقط ، كالشمس وظلها وكالماء وما ينتج عنه من ثلج مثلا ؛ ويستفاد من جميع ذلك أن كل ما نراه ونحسه من الكائنات مجرد ظواهر متحولة لحقيقة واحدة يحتويها الوجود الإلهي المطلق في شموله ولا تحتويها الظواهر في تعددها وتغايرها تلك التي ليس وجودها إلا وجود اعتباريا غير مستقل ولا مستقر ولا قيام لها بنفسها وإنما وجودها مستعار من وجود مبدعها الواحد الأحد وكيانها مستمد من كينونته وكل ما هذا شأنه في وجوده وحركته ومصيره لا يكون وجوده إلا وجودا سلبيا فقط أو صدى لوجود غيره ويكون ذلك الغير هو علته ومبدعه وهو الله سبحانه وتعالى .

ولو فكرت مثلا في تسلسل الكائنات وعللها القريبة والبعيدة لرأيت بجلاء ينفى كل شك كيف أنها تسلسلت عن فعل الله وتسلسل الأثر عن المؤثر ويقوم البعض الآخر مقام العلة القريبة وهكذا دواليك حتى تصل في النهاية إلى علتها الأولى وخالقها الأعظم وسببها الأول المتفرد بالخلق والإبداع والسلطان

والإحاطة والاحدية والازالية والابدية جميعا .

وبهذا وذلك من الحق تتوحد حقيقة المادة وحقيقة الفكر في إطلاقهما ويرتدان إلى أصلهما كظهيرين أو كمنشطين متقابلين متجاوبين لحقيقة واحدة خفيه هي خصائص الخالق المبدع، وهي تعمل مستترة عن الأبصار ولا يرى منها إلا آثار فعلها، وتلك العلة المتوحدة المحجبة بأستار الكائنات الإمكانية والمظاهر الكونية إن هي إلا مجرد نشاط صفات الله كما قدمنا .

وهكذا يكون الوجود في مجموعه بما يتضمن من مادة وقوة وحياة وفكر وحدة شاملة كاملة بدأها الله بنشاط خصائصه إبداعا وتكويناً وطبعها بطابع وحدته لأنه واحد وهو الخالق المبدع . ثم أنها تتطور إليه عودة ونهاية طالبة للكمال الإلهي (لمن الملك اليوم لله الواحد القهار)

التصوّف

أما وقد تبين لك كيف أن كل ما في الوجود الكوني من سمائه لأرضه
لكائناته المتعددة وأجزائه المتنوعة من نظام وحكمة وإقدار وأسباب ومسببات
وعلائق كلها تدل على العبودية الصحيحة لله عز وجل .

وكل ما ذكرنا هو الموضوع الحقيقي للتصوف من ذكر وفكر وعبادة
بعد النظر في خلق السموات والأرض والآنفس ومنهجه يدور حول معتقد
صحيح ونظر سليم وتوحيد للحقيقة دون توهم ، ثم النظر في الحلال والحرام
وما يجب وما يمتنع من الأفعال والأقوال جميعا ، وبعبارة أخرى أن التصوف
وهو التوجه الصادق لله والنظر في أفعاله الباهرة الباعثة على التعرف إلى ذاته وصفاته ،
ثم شكره وخشيته وعبادته عبادة نقية صحيحة ناشئة عن وعي سليم ومعتقد مبصر
مضاهية لقول الله تعالى : (إن في خلق السموات والأرض واختلاف
الليل والنهار لآيات لأولى الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى
جنبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا
سبحانك فقنا عذاب النار) وتلك آية من آيات الكتاب العزيز لا يكفى في
تفسيرها أو تطبيق مضمونها مجرد العبادة السطحية وإنما المدار فيها على النظر
في صنع الله وما أبدع .

فإن النظر في خلق السموات والأرض والإكثار من ذكر الله تعالى
وارتياد موارد التقوى والتبذل إلى الله بحسن الطاعة واجتناب موارد المعصية
كل هذه الخلال من صلب التصوف وأصوله . فإذا كان هذا هكذا وهو الحق
كان التصوف روح الاسلام وليابه لأن الدين في معناه الصحيح لا يخرج عن
معتقد سليم وطاعة بإخلاص وتعامل بإحسان وقسطاس مستقيم .

والمعتقد السليم لا يصح إلا بالنظر الذاتي في الكائنات وفي الآنفس حتى

تبيين للذهن والشعور آيات الله واضحات مسلمات للنظر القلبي والفكري معا
وحينئذ تبني عليها قواعد الايمان الصحيح المتين والاسلام الخالص .

والطاعة لا تكون عملا خالصا لوجه الله حتى توثلها النية الصالحة والنية
الصالحة لا تكون صالحة حقيقة حتى يراد بها وجه المعبود خالصة دون
شائبة من رياء أو نفاق أو شرك . وذلك ما يتميز به أهل التصوف الحق في
عقائدهم وعباداتهم وتعاملهم مع الناس لأن الصوفي الصادق يمضي أيام حياته
بين عاملين مختلفين ، إن غاب عن شهوده لأحدهما لن يأمن العاقبة على نفسه
ولا على مصيره عند الله « هما الخوف والرجاء » الخوف من قهر الله وسلطانه
والرجاء في رحمته وغفرانه وهما بالنسبة لاستقامة مسلك النفس وسلامة
اتجاهها فهو دائما بين خوف وطمع : خوف من عدل الله وطمع في رحمة الله .

أما للفقه في الدين عند الصوفي وهو أساس علمه وعمله فهو الفقه في منهج
الصحيح ، والفقه الصحيح هو الفهم المستوجب لأحكام الله في كتابه وسنة
رسوله ثم تطبيق ذلك الفهم على العمل . ومن أقوالهم المشهورة في ذلك « عمل
بغير علم لا يكون وعلم بغير عمل جنون » فالقوم لا يعتمدون في باب العلم والعمل
على مجرد حفظ قواعد الفقه والتصوف أصولا أو فروعا دون فهم صحيح لدلالاتها
والاخلاص في تطبيقها ودون التقدير لمقاصد الشارح وغايته فيها كما يفعل بعض
فقهاء الرسوم وصوفية الظواهر الذين يعملون ولا يعملون بما يعملون وإذا عملوا
لا يفقهون دقائق ما يعملون لدرجة قد تخرج العمل عن اسم الاخلاص إلى الرياء
والعياذ بالله أو غير الرياء من عدم استيفاء القصد وتوجيه النية المحسنة وفي
الحديث « رب حامل فقه وليس بفقيه » .

والتصوف الاسلامي الصحيح هو الهدف الأول للقرآن وهو حياة السنة
وتمام النعمة الواردة في قوله عز وجل « وأتممت عليكم نعمتي » وهو كما قدمنا
درجة الاحسان التي تأتي بعد الاسلام والايمان ترقيا كما ورد في الحديث عن
جبريل حيث سأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن الاحسان فقال (بأن تعبد

الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) أما من حيث أن التصوف الاسلامي أول أهداف القرآن فن وجهين :

الاول: أن ثلثي آيات القرآن تقر بها حث على التصوف الصحيح وامتداح أهله من حيث كان التصوف هو علم الصدق مع الله والاخلاص لله واليقين بالله كما جاء في سائر الآيات التي تذكر المحسنين والصادقين والخجتهين والموقنين والصابرين والراضين وعباد الرحمن الذين يقول الله فيهم للشيطان (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان) ويقول الشيطان نفسه استثناء لهم في خطاب لربه (إلا عبادك منهم المخلصين) وفي قوله تعالى (يحبهم ويحبونه) وقوله (أولئك حزب الله) وفي ذكر المتقين عند قوله (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) وفي قوله (الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم) مضافا إلى ذلك كله الآيات التي تحث على النظر إلى خلق السموات والأرض وفي النفس وفي الآفاق الخ .

وأما من حيث أن التصوف روح السنة فعلوم أن للرسول صلى الله عليه وسلم أقوالا وأفعالا هي الطريقة (طريقة الاستقامة) وبعبارة أخرى سلوك الصراط المستقيم . وله أحوال مع الله هي سبيل الحقيقة ولذلك تقول الآية التي يذكر فيها الجهاد - جهاد النفس في الله (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) أى بمجموع السبل الموصلة إلى الله من علم وعمل وحال . ومعلوم أيضا أن الشريعة كلها أقواله عليه الصلاة والسلام . وأن الحقيقة أحواله وأن الطريقة أفعاله وتقوم على أقواله شريعته المطهرة وعلى أحواله المتسامية صلته بالله ، ويقوم على أفعاله الكريمة الطريقة الموصلة إلى الله وهي النتيجة المحتومة لأفعاله ﷺ وهي المثل الأعلى للإسلام والايمان وأوج الاحسان ويكون التصوف دون ريب أقرب المراجع إلى الله عز وجل ومنهج الصلة به .

ومن كتاب الله يرتكز التصوف الحق على ثلاث آيات أما الأولى : فقوله تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) . وأما الثانية فقوله تعالى (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق) وأما الثالثة فهي قوله تعالى أرسله ﷺ (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك

عنهم تريد زينة الحياة الدنيا) إلى قوله تعالى (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) أما الأولى ففيها الهداية (الوسائل الموصلة أو مجموع الطرق إلى الله) وهي خاصة بالذين جاهدوا في الله أنفسهم. والجهاد لله ليس قاصرا طبعاً على جهاد الأعداء في الدين وإنما الأمر كما جاء في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم «قد رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر» قيل وما الجهاد الأكبر يا رسول الله؟ فقال: «جهاد النفس» ورأينا أن الجهاد مطلقاً يعم سائر أعداء الله من النفس الأمارة والشيطان وغير ذلك، وأكمل عز وجل الآية المباركة بقوله (وان الله لمع المحسنين).

وتلك المعية لا تكون إلا لقوم يحبهم الله ويحبونه وبالتالي لا تكون إلا للمحسنين من أهل التصوف الصحيح استثناء من المسلمين عامة والمؤمنين خاصة على قاعدة حديث جبريل المبين فيه الإسلام والإيمان والإحسان.

وأما الآية الثانية ففي قوله تعالى: (ألم يأن للذين آمنوا) يخاطب المؤمنين، والمؤمنون صفوة المسلمين قائلًا (ألم يأن) أي ألم يأت الأوان ولم يحن الحين ويجيء الوقت وبأذن التوفيق الإلهي للذين آمنوا أن يكونوا من المحسنين فتخشع قلوبهم لذكر الله، وخصص هذا الذكر تعظيماً لفضله على سائر العبادات حتى على الصلاة لأنها على فضلها بعض الذكر وليس الذكر على شموله بعض الصلاة، وهذا ظاهر في قوله تعالى (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) ثم قال (ولذكر الله أكبر) أي أكبر نهياً وأعظم درجة من حيث أنه ذكر عموماً باللسان وبالقلب أو بالروح (وما نزل من الحق) معناه ما نزل من عند الله في الكتاب من الفكر والذكر والمعتقد والعبادات والمعاملات وبعبارة أخرى كل ما جاء به الرسول من عند الله. وسائر ما في كتاب الله باطناً معنوياً، أو ظاهراً تعبدياً، أو أمراً تعاملياً أو خلقاً مكتسبياً.

وفي الآية تذكير وتخصيص وتقدير معناه إفزاع هذه القلوب إلى الله وإلى حبه وتقديسه جملة وتفصيلاً وهذا مقام لا يخاطب فيه إلا أهل التصوف الحق وهم أهل درجة الاحسان وأصحاب المعية مع الحق في قواه تعالى

(إن عبادى) وقول الشيطان له (إلا عبادك) كما تقدم؛ فإيه النسبة هاهنا وأيضاً الكاف الضميرية تعودان مباشرة إلى جناب الحق عز وجل .

وفوق هذا — وذلك ليعلم المسلمون والمؤمنون والمحسنون جميعاً أن رسولهم محمداً صلى الله عليه وسلم أمر بأن يتعبد فى غار حراء قبل الرسالة ذاكرًا متبتلاً إلى أن هبط عليه جبريل بالوحي . وبعد الوحي والرسالة أمره الله تعالى فى قوله (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدن وجهه) الآية السالفة أى دون شوب من المطالب الدنيوية أو الآخروية . ولما هبط عليه جبريل بالوحي وأنزل عليه القرآن هبطت معه السعادة والسرّات المستقيمة وهو الإسم الآخر لطريق الله وبعبارة أخرى للتصوف الإسلامى القويم الذى يسع جميع البشر .

وخلاصة الرأى فى هذا المقام أن التصوف يهدف إلى تكوين الشخصية المتدبنة الرشيدة مستعيناً بالعقل المدرك والفؤاد الدكى والفطرة السليمة . ويستمد هديه من معينين يفيضان وعياً ورشداً وحكمة هما ذاخر الآيات القرآنية وصحيح الأحاديث النبوية . وسديله أنه يرسم خطوط الفهم الواعى حول الوجود الإلهى الأسمى وحقيقة وجودنا نحن . فيربط بين الوجود الإمكانى (الانسان) وبين الموجد الأكبر (الله) وبعبارة أخرى بين الوجود الامكانى والوجود الوجودى ربطاً قائماً على الكشف للحقيقة العليا ثم انه من جهة أخرى هو العليم المنظم المنسق للمعتقد الواضح الجلى والتدريب على أسلوب التعبد الصحيح بعد فض الاغلفة عن بصائرنا بالسلوك وبجاهدة النفس لدرك خصائص المعبود حتى يستقيم أمر وجود الانسان مع الغاية التى خلق من أجلها كما ذكر العزيز العليم فى كتابه الكريم عند قوله (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون) ومعنى يعبدون فى الآية يعرفون وقد احترم التصوف الصحيح العقل فخاطبه من طريق القلب ومجد الفكر فتجاوب معه بالروح ، لأن آفاه من عالم ما فوق العقل . والتصوف الصحيح يرفض التخبط والطيش وينفر من التزين بشباب الصلاح الكاذب

والاشتغال بتحلية المظاهر التي تشوه صفاء الباطني وتذهب ببهائه في عين الله وأعين الصالحين من البشر كما أنه يحارب الشوائب التي تنحرف بالمعتقدات إلى مستوى الخرافات وكل ما ألفه للناس من ضجيج المواكب التي تعمر بالهرج والمرج وتصحب بالطبل والزمر وكلها أرا حيف باطلة يجب أن تنزه التصوف الحق عما فيها من بدع وترهات وما دمننا قد وقفنا على المصدر الذي يستمد منه التصوف الحق كيانه وهو كتاب الله وسنة رسوله فلا لبس إذن ولا اشتباه بين ما هو حق مقرر منه وما هو باطل زائف . وميزان ذلك فقه الكتاب والسنة .

ولا بد للتصوف الصادق من إمكانيات تتوافر فيه ليصبح مؤدلا لأن يكون صوفيا عارفا ، لأن الصوفي الصادق رجل يبحث عن أضواء حقيقة الآلية المنجالية خلف ظواهر الكائنات الفانية فإن لم يتزود بما يدنيه من تلك الحقيقة ويقر به إلهام الاعتصام بالكتاب والسنة . فلا مشاحة في أن يضربه الشيطان بضلال بصيرته عندما تختلط عليه المراتب والمشاهد لدى حفا نطقها العليا .

وإذن فلا بد أن يتزود من العلم والمعرفة بالمقدار الكافي لأن يتفهم الشريعة في مقاصدها ومعانيها مضافا إلى ذلك النظر الثاقب في كل ما حوله من شيء سماوي أو أرضي استجابة لقوله تعالى (قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة ان الله على كل شيء قدير) . ويتبع هذا النظر ضرورة : التفهم والتعرف لأكبر الحقائق الوجودية النسبية ، وهما المدخل إلى المعرفة الحقيقية المطلوبة لاكتشف كما جاء في كتاب الله عز وجل من قوله (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) .

وليس التصوف كما يظنه البعض ممن لا يعلمون مجرد التجرد عن أسباب الحياة والتفرغ للتبتل والتعبد ، ثم انه ايضا غير مقيد بمظهر من مظاهر التقشف والتزهّد الفارغ لأن زهد الصوفي في قلبه وليس فيما تملكه يده أو الزهد في زينة الله التي أخرجها لعباده والطيبات من الرزق وكذلك عبادة الصوفي بعد تقديم عبادة الجوارح تكون بالذكر والفكر لأن التصوف في نفسه وفي موضوعه روح من

العلم والتذكر والتفكير وهي روح جميلة مضيئة شفافة تستمد وجودها من الصفاء الروحي ولا تحتاج إلى لفائف أو أغلفة تتجلى بها أو تنعكس بأضواءها الكاذبة عليها ، لأنه نور من الحق للعبد ينشر أضواءه على العقل والروح والوجدان ، فينسب العبد في خضم هذا الوجود الكوني كما يشاء له الله وليس كما يشاء هو لنفسه أو تشاء له خزعبلاته وأهواؤه . وتلك عجالة سريعة تلتقي بميصا من النور على اتجاه التصوف الحق الذي سنتكلم عنه في موضعه من كتابنا هذا .

أصل التسمية :

والتصوف منسوب في تسميته لأهل الصفة أو للصفاء أو للباس الصوف وهو بالصوف الصق وأوضح من جهة الوزن والاشتقاق . والصوفي على التحقيق رجل جسمه في الأرض يزاول أسبابها ويلبس أطوارها وأما قلبه ففى السماء عند الله لا يلوى على شيء من توافه الأرض وما فى طبائع المارقين عن الحق من أهملها .

وصف الصوفي

والصوفي أو بعبارة أخرى السالك طريق الله أو المقتحم ميدان التصوف هو كائن إنساني ذو ذوق ووجدان وحب لله وحنين إلى المعرفة ، فهو دائم الفكر كثير الذكر دائم العبرة غدير الحلم محب للعلم كاره للجدل قليل المنازعة سهل المراجعة همته محصورة في البحث عن الحق ولو ظهر على لسان غيره من الخلق . وهو وراء ذلك أوسع الناس صدرا وأقبلهم لهم عذرا وألينهم للحق قيادا وأصعبهم على الباطل مراسا وأعزهم نفسا وأعفهم شخصا وأكثرهم ودا وأعظمهم حبا وأدومهم صبرا وأوفاهم عهدا وأكثرهم أدبا ولطفا ، إذا ضحك تبسم وإذا غضب لا يتجهم وإن تجهم فهو رقوف بمن يعاديه وصول لمن يواليه لا يخوض قط فيما لا يعنيه ولا يدعى أبدا ما ليس فيه ، ورع عن الشبهات ومبغض للمحرمات وحافظ للأوقات ولا سيما مواقيت العبادات . كثير عطاءه قليل أذاه مكرم للغريب وراحم لليتيم سلس القياد سهل العريكة إلا في حق ينشره أو ينصره وباطل يدفعه أو شارد عن الصواب يرده عن شره . حياؤه في وجهه وخوفه من الله رابض في قلبه مع الطمع في عفوه والرجاء لرحمته ، حافظ للأمانات بعيد عن الخيانات ، طيبه الحياء ودأبه الوفاء غير حاسد ولا غادر ولا عياب ولا مغتاب ، دائم الحركة عفيف المكسبة صادق في طريقه معين لأخيه وعطوف على رفيقه ، راغب في الخيرات مقبل للعثرات تمتنع عن الاعتراضات على الخائف سريع الوثبات إذا حصص الحق واحتاج إلى النصر والصدق ، فإن لم تكن يا هذا من القوم فتشبه بهم ودرب نفسك على أوصافهم قبل بركة حبهم ، هذا إذا لم تفز بصحبتهم والشرب من مشربهم أكرمنا الله وإياك وجعل الرحمة مبدأك والمغفرة منتهاك ؛ والقوم على التحقيق :

عبيد واسكن الملوك عبيد وعبيد أضحي له الكون خادما

وقد قدمنا أن مصدر التصوف الإسلامى بمعناه الحق هو القرآن والسنة المطهرة وذكر الصوفية فى القرآن نجده فى كل آية تذكر الفكر أو الذكر أو الإستقامة أو الذاكرين أو المستغفرين أو العابدين أو الموقنين أو المختين أو المتبتئين أو عباد الله المخلصين أو أولى الألباب ، وكل آية تصف الخوف أو الرجاء أو البشرى أو الاستقامة أو الإيمان أو المعرفة أو الصبر أو الرضا أو التوكل أو الحب أو التوحيد الحق أو أولياء الله أو عباد الرحمن ، فهى آية تصف الغنى وعلومهم ومواجيدهم وذلك فى أكثر آى القرآن .

والتصوف الإسلامى يبين حقيقة حديث جبريل عليه السلام الذى سأل فيه النبى صلى الله عليه وسلم عن الإسلام والإيمان والإحسان أو قل الشريعة والطريقة والحقيقة ، حيث قال الرسول عليه السلام فى الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه الخ . فالعارف بكل هذا شيخ والمحب له مريد والممارس سالك . ونحن إذ نقول أن مصدر التصوف الإسلامى هو القرآن وسنة خير الأنام لا يغيب عنا ما أدخل على التصوف الإسلامى بعد الصدر الأول والمائة الثانية من تراث الأمم الغابرة والديانات المختلفة وما حملته معتقوا الإسلام غير الخالص إن تشوبها للدين وإن خوفا من السيف وإن حبا لمجرد الإفساد . ويفهم من كلامنا هذا أن التصوف اسم عام من حيث أنه روح الشريعة ومنار الحقيقة ؛ فينبغى أن يكون لكل شريعة تصوفها ولكل أمة محققوها . فإذا كان قد خرب ماء التصوف الإسلامى الهافى بغيره من شوب لملل أو لنحل أخرى فهذا حقيقى للأسف ، ولكنه لا يمنع أن يكون التصوف الإسلامى محتفظا مع ذلك بشخصيته الفذة التى لا يعمرها سوى لا إله إلا الله ولا معبود بحق سواه ولا يحجب ذلك الدخيل سنا وجهه الجميل وأسامه الأصيل ومسلكه القويم . فلا يصح لامرئ مسلم أن يدعى سنة الرسول بمجرد حفظه لأقواله دون أن يحشى ثمرة العمل بلك الأقوال لقوله عليه الصلاة والسلام (أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه .

أو عليه فلا يذنبى أن يدعى كمال اتباع سنة الرسول إلا من طبق الأقوال على

الافعال حتى تظهر ثمرة أعماله على أحواله النفسية ومعتقداته الشخصية من خاق وطبع كريم ويقين بالله متين ورضا وحب وتسليم ، وذلك هو طريق التصوف الحق . فلا يكون الرجل صوفيا حقا حتى يمارس أقوال الرسول وشريعته علما وعملا وفهما واجتهادا ، وإلا فمرأين تأتبه صفات الرجال بغير علم وأعمال وأحوال وهو عن السير يحجل في عقال؟ وهنا يصدق الصوفية في قولهم المشهورة وقاعدتهم المعتبرة المروية عن الإمام مالك رضى الله عنه : « من تفقه ولم يتصوف فقد تفسق ومن تصوف ولم يتفقه فقد تزندق ومن تفقه وتصوف فقد نحتق » ، فرب منسب للطريق وليس بسالك ورب مدعى للتحقيق وليس بحقق ومن نظر إلى أدياء السنة المحمدية لمجرد حفظ أقوال الرسول أو العلم بها كذبه أن ضمن سنة الرسول ﷺ أعمالا بجانب أقواله . ومن عمل دون إخلاص ونية محقة للعمل وحالة مرضية كذبه أن لرسول الله أحوالا وصفاء وأخلاقا وآدابا نفسية وأحوالا وراء ذلك قلبية ربانية من يرئها بحق سعى صوفيا أو رجلا ربانيا أو قل عبدا لله صادقا وعلى التحقيق أن ليس في كثير من أدياء السنة وسالكى الطريقة ومدعى الحقيقة وسط عادل إلا من رحم ربي وقربه إليه بعلم واضح وعمل صراح ولذا تراهم تقيضين وعلى طرفين مختلفين . هذا يعيب على تقيضه طريقتيه وذلك يذكر على الآخر سنته ، ومن رحم الله ممن عرفوا الحقيقة ونذوقوها بنجوة من هؤلاء وهؤلاء . بل هم منهم على تكران للطرفين وجفوة ويقولون مع القرآن : (لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) وقوله (قل كل يعمل على شاكلته ربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا) .

وواضح جد الواضح لكل ذى لب أن مصدرين للتصوف الحق لثالث لهما : القرآن وسنة النبي كما تقدم ثم القدوة الصالحة بكل صحابي أو تابعي أو مجتهد في دين الله أو تقي مخلص .

فإن رغبت أن تعرف من أول صوفى في الإسلام فاعلم أنه رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ .

وثانى الصوفية في الاسلام أبو بكر الصديق ، أما ترى إيمانه وصدقه

وإخلاصه فتحكم معي بأنه من عباد الله الصديقين الذين قال الله فيهم للشيطان
(إن عبادى ليس لك عليهم سلطان).

وثالث الصوفية عمر بن الخطاب الولي المحدث الذى كشف الله عن
بصيرته فرأى سارية وأمره وهو يخطب في المسجد للجمعة بمسكة ، وسارية
يقود الجيش في بلاد بعيدة بينها وبين عمر آلاف الاميال، ألم يقل له وهو على
منبره بمسجد الرسول .

دياسارية الجبل : ليعتصم به وسارية آتئذ في بلاد الفرس فاعتصم بالجبل
وانتصر !! ألم تعلم شأن أبى ذر العفارى أو حذيفة أو عثمان أو على أو أبى
عبيدة ، أو عبد الله بن عمرو أو عبد الله بن عمر وكلهم على قدم في طريق
الله وثيق .

ألم تعلم أن رأس الطريق في التصوف الإسلامى هو على بن أبى طالب الذى
أخذ بيعة الطريق وأسراره عن رسول الله (بيعة الرضوان) ومن بعده الحسن
والحسين وهكذا كبرا عن كبر إلى وقتنا الحاضر . وفي الوسط أمثال أنس والحسن
البصرى والاشعري وابن سيرين والجنيد والشبلى وبشر الخافى وابن أدهم
وكذلك جابر بن عبد الله وأبى حنيفة ومالك والشافعى في علمه وورعه وابن
حنبل في زهده وتعبدته وغيرهم كثير من السادة الأخيار وعلماء الشريعة الأبرار
ألم تعلم أن الرسول قد أخذ على أصحابه العهد ببيعة الرضوان فأرسل
بصد ذلك قرآن في قوله تعالى (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله
فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه) . الخ . ألم تعلم أن أهل
الصفة وهم أول طلائع الصوفية الإسلاميين كانوا من أعظم أصحاب الرسول
وأكثرهم تقى وورعا ثم هم بعد ذلك أول فدائيي الإسلام ومنهم المرابطون
في الثغور لحماية بقية المسلمين ولم يكونوا من العاطلين أو الممخرقين أو المشعوذين
ومتهم العباد والزهاد الذين نزل الذكر في حقهم وأمعنت كتب السنة في
الثناء عليهم .

وأخيرا يجب أن تعلم أن كل مسلم يجب أن يضع نصب عينيه أن يرقى

من محيط الإسلام إلى درجة الإيمان ، ومن الإيمان إلى آفاق الإحسان حيث
يعبد الله كأنه يراه . ألا ترى قول الله تعالى (وقالت الأعراب آمنا قل لم
تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم) وقول الله تعالى
(وكم من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها غافلون وما يؤمن
أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) والمراد هنا الشرك الأصغر . . وأخيرا ألم
تر إلى قول الله تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبيلنا وإن الله لمع المحسنين)
وفي مجموع الإسلام والإيمان والاحسان يظهر معنى اسم التصوف الاسلامي
الصحيح مزهرا مشرقا يأخذ بالأبصار والقلوب والألباب قائما بنفسه مرتكزا
على الكتاب والسنة لاشية فيه ولا شائبة ولا مرأ ولا جدل ؛ فدع أهل
ظاهر السنة وفقهاء الأوراق وكذلك أهل الشارات والبيارق والدقوف
والمزامير من أدياء التصوف ، دع كل أولئك يخوضون فيما لا يعلمون ، نعم
دعهم وخض أنت في حديث غيره قائلا مع الكتاب العزيز (ادع إلى سبيل
ربك بالحكمة والموعظة الحسنة . إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى
السمع وهو شهيد)

ذكر الله

يقول الله تعالى : ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ،

آية من كتاب الله ان قل لفظها فقد ملأ الدنيا معناها ومقصدها كأي قانون آخر من قوانين الوجود . ومعنى هذا أن ضنك المعيشة - بجميع أنواعه وألوانه - يكون نتيجة حتمية للغفلة والأعراض عن ذكر الله أو تذكره ثم عدم شكره والتمرف إليه والغيبة عما نعم على المخلوقين من نعم جسام ؛ هذا هو المعنى الصحيح للآية الكريمة . فإن كان الذكر هو الدواء الناجع للبرء من علة الغفلة والنسيان فيأله من دواء عظيم سببا وإن وجهته لله رب العالمين وخاق الوجود ومن له مقاليد السموات والأرض ؛ فنعم الرب ونعم الشافي . وانظر إلى قوله تعالى في صدر الآية التي ذكرنا عجزها ؛ فلما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا يضل ولا يشقى ، وعقب عليها بقوله (ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا) وهو العليم بسر خلقه وشؤون عباده فيما ينفعهم وما يضرهم .

فكلام الله دائما وكما جرت العادة منطقي واقعى عملي يعجز جبابرة العقول بسمو منطفه ومطابقته للواقع التجريبي ونفاذه في القلوب دين استئذان .

ومسألة نفع ذكر الله في حياة المرء في موضوعنا واضحة جليلة لا شك فيها إذا أردنا أن نبهجها ونطبقها على حياتنا المعيشية الاجتماعية بكل اخلاص وبلا تزمت أو عنق ، وإليك بيان ذلك : فأنت تعلم أن الإنسان هو الكائن الوحيد المعقد التركيب المتباين الأهواء والمشارب وصاحب المنطق العقلي المثبت والمشكك في وقت واحد وصاحب الفضيلة والرذيلة والصلاح والاطلاح في وقت واحد أيضا . فبينما الانسان يشارك الملائكة في سمواتهم العلية بروحه الإلهي إذ هو لا يفترق عن أدنى الحيوانات في غرائزها الحيوانية بجمسه البشري ؛ وإذا قال ربك للملائكة إني خاق بشرا من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ، ولا تنس أنه خلقه من طين ثم سواه ونفخ فيه من روحه الكريم .

فأى مخلوق هذا الذى اجتمعت فى تكوينه وبذيته الطينة الغريزية مع الروحية الإلهية . خلقة الله وهو العليم بدقائق صنعه وتركيبه المتباين الغايات والوزعات ولم تشأ حكمة الله أن تتركه مهملًا فى هذا الوجود بلا هاد أو دليل .

بل إنه حين خلقه هداه إلى الدين والإيمان وأنزل إليه الكتب وبعث الرسل ولا سيما كتابه القرآن، وبعث إليه أكمل الرسل محمدًا مرشدًا وهاديًا إلى الصراط المستقيم ليبين له قوانين الحياة الدنيوية والآخروية ثم قال له : هذا دليلك وهاديك أيها الإنسان المجبول من الطين وهو كتاب الله وسنة رسوله إذا نفذت تعاليمه بكل دقة وألزمت نفسك مسابقة نهجه المستقيم بأمانة وإخلاص سددت فى الدنيا وفزت بالنعيم الخالد فى الآخرة وإذا لم تلزم نفسك بتلك التعاليم الإلهية شقيت وضللت السبيل وأظلمت الدنيا فى عينيك فضنك عيشك هنا وكنت فى الآخرة من الخاسرين . ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلًا ، والمقصود هنا هو عمى البصيرة لا البصر وأفضل جلاء للبصيرة هو الذكر باللسان أو بالجنان . ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ، يعنى أن ذكر الله هو النور ليعين البصيرة فى الدنيا والآخرة . وليس المقصود بالذكر مجرد الذكر باللسان وإنما المراد الأعظم منه الفكر والعبرة والذكرى ، ثم الذكر بالقلب وباللسان معًا وكلنا يعلم أن قلة الإنسان فى الحياة هو فكره أو بصيرته مهتديا كان أو ضالا . والفكر فى أصله انبعاث قوة من قوى الروح ؛ ثم ان الفكر والبصيرة يقويان بالذكر ويضعفان بالغفلة عن الذكر حتى ينطامسا ولا يعودان يصران نور الحق ، فهمم للإنسان بمثابة المصباحين الأماميين للسيارة إذا امدد بالسيال الكهر باني أشرق وانبج ضوءهما ، وإذا انقطع عنهما ذلك السيال ضف بل انطامس نورهما ، فنشرح الله صدره للإسلام والإيمان والذكر فهو على نور من ربه . ومن كان على عكس ذلك فقد بين الله حاله . ومن يعيش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانًا فهو له قرين ، فلدينا الآن رجلان : ١ - رجل على صلة بالله بواسطة ذكره أو تذكره فهو على نور من ربه بواسطة الذكر والفكر

والعمل وهو داخل في زمرة من قال الله لهم « فاذكروني أذكركم »
وياسعادة من ذكره ربه .

٢ - والثاني رجل قسا قلبه وانطمست بصيرته ونسى الله فأنساه نفسه
وقيض له شيطانا يؤزره فهو له قرين مقسد ، فدخل في زمرة من « نسوا الله
فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون » ،

الأول هاديه وقائده هو الله . والثاني قائده وقربنه في الحياة هو الشيطان .
ومن هنا يمكننا أن نتمسك طرف الجبل الذي يؤدي بنا إلى السعادة والهدى
وطمأنينة القلب وسط معيشة الناس المضطربة ، وأيضا طرف الجبل الذي
يؤدي بنا إلى ضنك المعيشة وشقاء الحياة وسوء المصير . فما هو نوع الذكر
الذي يذهب الضنك الحادث عن هموم العيش ومغالبة الدنيا ياترى ؟ ...
وهنا مربط الفرس كما يقولون ، فذلك الذكر هو الذكر الخالص في خلوة السريرة
بينك وبين الله سواء كنت في حالة نفسية مرضية أم على عكس ذلك ، بل أنك
في حالة الضعف والانحدار أحوج ما تكون إلى ذكر الله .

وكان الله حكيمًا عليهما حينما أطلق الذكر ولم يقيده بحال خاص أو بوقت
دون غيره حتى لا يتعطل الإنسان بتعارض الذكر مع عمله أو وقته أو غريزته .
فاذكر الله في طاعتك ومعصيتك وغناك وفقرك وسرك وجهرك ، واذكره في
هذه الحالات كلها باخلاص وأمانة تضمن لنفسك في الحياة كل راحة وسعادة
وهنا وفي الآخرة كل مغفرة واجتباء لأنك إذا ذكرته في طاعتك سيزيدك
نورا على نور .

وإذا ذكرته في معصيتك فسوف تقل حدة هذه المعصية شيئا فشيئا حتى
تزول نهائيا فتكون من المهتمدين . وإذا ذكرته في غناك فستحرق الطريق الحلال في
جمع مالك وأوجه صرفه وستؤدي حق الله فيه زكاة وصدقة واحسانا وستعطف
على أخيك المضطر من بني البشر فيحبك الناس ويحبك الله وتحظى بسعادة قلبية
لا تقدر بمال أو بجاه . وإذا ذكرته في فقرك فسوف يفتح الذكر أمامك باب الأمل

ويمنع عنك شيطان اليأس أو الجشع والطمع ويلهمك الرضا بحالك أيا كانت
حتى ينفرج همك . وإذا ذكرته في سرّك وجهرك فسوف تكون من عباد الله
المخلصين لاسبيل للشيطان عليك

ولذا جعلت الصلاة المفروضة تمرينا اجباريا على الاتصال بالله
وذكره حتى يصبح هذا الاتصال عادة لازمة للانسان ويظل ذكر الله اكبر
وبعد فإن كل ذلك الذي ذكرناه من التصوف أو قل هو التصوف الخالص
نفسه ، وإنى أرى فوق ذلك أن حاجة الانسان إلى ذكر الله لا تقل عن حاجته
إلى الماء والغذاء بل أشد وإنها لازمة لروحه لزوم الهواء لجسده .

وكذلك أيضا لا يمكنك أن تعيش مطمئن النفس مستريح القلب مبسوط
العيش دون أن تذكر الله ذكرا كثيرا وتسبحه بكرة وأصيلا ، واعلم أن الله في
أوامره عليم حكيم وأنه بصير بالعباد .

ثم اعلم علمك الله من علمه الباطن
إن العلم بالشريعة طريق للعمل بالطاعة ، والعمل بالطاعة طريق للإيمان
الكامل ، والإيمان الكامل مؤد إلى ذروة الاحسان ، والاحسان سبيل المعرفة ،
والمعرفة الحقّة مؤدية للاستشفاف للحقيقة وهو الكشف ، والكشف طريق
إلى الفناء في الله ، والفناء في الله بقاء مع الله في الدنيا وفي الآخرة .

رأى الإمام الغزالي في التصوف وفي الصوفية

يقول الامام الغزالي في كتابه (المنقذ من الضلال) بعد أن فرغ من علوم الشريعة بكتاب «الاربعين» وعلوم الفلسفة القديمة بكتاب «مقاصد الفلاسفة» والنهات حتى قال في (المنقذ من الضلال) يصف التصوف والصوفية . . . «ثم إنى لما فرغت من هذه العلوم أقبلت بهمى على طريق الصوفية، وعلمت أن طريقهم إما يتم بعلم وعمل. وكان حاصل علمهم قطع عتبات النفس والتنزه عن أخلاقها المذمومة وصفاتها الخبيثة حتى يتوصل بذلك إلى تخلية القلب عن غير الله تعالى، وتخليته بذكر الله وكان حينئذ العلم يسر على من العمل، فابتدأت بتحصيل علمهم من مطالعة كتبهم مثل «قوت القلوب»، لأبى طالب المكي رحمه الله، وكتب الحارث المحاسبى».

و «المتفرقات» المأثورة عن الجنيد والشبلى وأبى يزيد البسطامى وغير ذلك من كلام مشايخهم، حتى اطلعت على كنه مقاصدهم العلمية وحصلت على ما يمكن أن يحصل من طريقته بالتعليم والسماع فظهر لى أن أخص خواصهم لا يمكن الوصول اليه بالتعليم بل بالذوق والحال وتبدل الصفات، فكم من الفرق بين أن يعلم حد الصحة وحد الشبع من لم يكن صحيحا وشبعانا، وبين أن يعرف حد السكر وأنه عبارة عن حالة تحصل من استيلاء أبخرة تنصاعد من المعدة على معادن الفكر وبين أن يكون سكرانا بل السكران لا يعرف حد السكر وعلمه وهو سكران لأنه واقع في حال السكر (ذوقا ووجدانا) والصاحي يعرف حد السكر وأركانه وما معه من السكر شيء، والطبيب في حالة المرض يعرف حد الصحة وأسبابها وأدويتها وهو فاقد للصحة، فكذلك فرق بين أن تعرف حقيقة الزهد وشروطه وأسبابه وبين أن يكون حالك الزهد وعزوف النفس عن الدنيا؛ فعلمت يقينا أنهم أرباب أحوال لا أصحاب أقوال وأن

ما يمكن تحصيله بطريق العلم فقد حصلته ولم يبق إلا مالا سبيل إليه بالسمع والتعليم بل بالذوق والسلوك. وكان قد حصل معي من العلوم التي مارسها والمسالك التي سلكتها في التفتيش عن صنف العلوم الشرعية والعقلية إيمان يقيني بالله تعالى وبالنبوة واليوم الآخر .

فهذه الفصول الثلاثة عن الإيمان كانت رسخت في نفسي لا بدال معين مجرد بل بأسباب وقرائن وتجارب لا تدخل تحت الحصر تفصيلها . وكان قد ظهر عندي أنه لا مطمع لي في سعادة الآخرة إلا بالنقوى وكف النفس عن الهوى وأن رأس ذلك كله قطع علائق القلب من الدنيا بالتجاني عن دار الغرور والانابة إلى دار الخلود والامبال بكنهه الهمة على الله تعالى . إلى أن قال .

فآزت العزلة حرصا على الخاوة وتصنيعة القلب بالذكر وكانت حوادث الزمان ومهمات العبال ضرورات المعاش تغير من وجه المراد وتشوش صفوة "خاوة"، وكان لا يصفو الحال إلا في أوقات متفرقة لكني مع ذلك لا أقطع طمعي منها فتدفعني عنها العوائق وأعود إليها . ودمت على ذلك مقدار عشر سنين وانكشف لي أثناء هذه الخلوات أمور لا يمكن إحصاؤها واستقصاؤها ، والقدر الذي أذكره ليستفيع به هو أني علمت يقينا أن الصوفية هم السالكون الطريق إلى الله تعالى خاصة وأن سيرتهم أحسن السير وطريقهم أصوب الطرق وأخلافهم أزكى الأخلاق ، بل لو جمع عقل العقلاء وحكمة الحكماء وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء ليغيروا شيئا من سيرهم وأخلافهم ويبدلوه بما هو خير منه لم يجدوا إليه سبيلا ، وأن جميع حركاتهم وسكناتهم في ظاهرهم وباطنهم مقبسة من نور مشكاة النبوة وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به ، وأيقنت بحق أنهم الفرقة الناجية . وماذا يقول القائلون في طريقة الطهارة أو شروطها وتطهير القلب بالكلية عما سوى الله تعالى عما دهاها ، ومفتاحها الجاري منها مجرى التحريم في الصلاة استغراق القلب بالكلية في ذكر الله ، وآخرها الفناء بالكلية في الله ، وهذا آخرها بالإضافة إلى ما يكاد يدخل تحت الاختيار والكسب من أوائها ، وهي على التحقيق أول الطريقة وما قبل ذلك

كالدهليز للسالك إليه . ومن أول الطريقة تبتدىء المكاشفات والمشاهدات حتى
أنهم فى يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الانبياء ويسمعون منهم أصواتا
ويقتبسون منهم فوائد وعلمها ، ثم يترقى الحال من مشاهدة الصور والأمثال إلى
درجات يضيق عنها السطاق ولا يحاول معبر أن يعبر عنها إلا اشتمل لفظه على
خطأ صريح لا يمكن الاحتراز عنه .

وعلى الجملة يقتضى الأمر إلى قرب يكاد يتخيل معه طائفة الحلول وطائفة
الاتحاد وكل ذلك خطأ . بل الذى لا يسته تلك الحالة لا ينبغي أن يزيد على
أن يقول :

وكان ما كان مما لست أذكره فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر

أريهم في المعرفة

سئل أبو تراب عن صفة العارف فقال هو الذي لا يكدره شيء ويصفو به كل شيء . . . قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه ؛ سبحانه من لم يجعل للخلاق طريقا إلى معرفته إلا بالعجز عن درك كنهه ذاته . . . ومثل الشبلي متى يكون العارف بمشهد من الحق ؟ قال إذا بدا الشاهد وفنيت الشواهد وذهبت الحواس واضمحلت الاحساس ولم يبق إلا شعور الذات بالذات . وقال أيضا : من علامات العارف أن يرى نفسه في قبضة العزة تجرى عليه تصاريف القدرة ، ومن علامة المعرفة المحبة لأن من عرف شيئا أحبه ومن أحب شيئا أكثر من ذكره . . . وسئل أبو يزيد البسطامي عن صفة العارف فقال : إن لون الماء من لون انائه (كناية عن أن العارف تظهر عليه لمع صفات الحق التي تحقق بعرفانها) . وسئل الجنيد ما حاجة العارفين إلى الله تعالى قال : حاجتهم إليه كلامته ورعايته لهم . وسئل محمد بن الفضل ما حاجة العارفين لما أهاب المعرفة قال : حاجتهم إلى الخصلة التي كملت بها المحاسن كلها وبفقدتها قبحت المقابح كلها وهي الاستقامة . وسئل يحيى ابن معاذ عن صفة العارف فقال : العارف داخل في الخلق بائن عنهم .

وقال أبو بكر الواسطي رحمه الله : لما تعرف الحق إلى خاصته بذاته وحقته جوامع نفوسهم عنهم فلم يروا وحشة بشواهد الحق فيهم لما غاب عنهم من شواهد حظوظ أنفسهم

رأهم في صفة العارف :

قال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله : ما دام العبد يتعرف فيقال له لا تختبر ولا تسكن مع اختيارك حتى تعرف ، فإذا عرف وصار عارفا يقال له إن شئت اختر وإن شئت لا تختبر لأنك إن اخترت فباختياره وفي ترك الاختيار توكل

عليه . وقال ذو النون المصري رحمه الله : علامة العارف ثلاث : لا يطفىء نور معرفته نور ورعه ، ولا يعتقد باطنا من العلم ينفيه ظاهر من الشرع ولا تحمله كثرة نعم الله تعالى عنده على هتك محارم الله .

وقيل لأبي الحسين النورى رضى الله تعالى عنه . بم عرفت الله ؟ قل بالله قيل فما بال العقل ؟ قال إن العقل فى نفسه عاجز لا يوصل إلا إلى بابه إن صدق فى رؤيته ، وأنى للعقل أن يعرف الله إلا بالله .
ثم أنشد يقول :

إذا رام عاشقها نظرة ولم يستطعها فمن لطفها
أعارته طرفاً رآها به فكان البصير لها طرفها

وسئل النورى عن أول فرض افترضه الله تعالى على عباده فقال : المعرفة لقوله تعالى (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) وقال ابن عباس رضى الله عنهما : ليعرفون . وسئل بعضهم ما المعرفة ؟ فقال تحقق القلب بآثبات وحدانيته وبكمال صفاته وأسمائه فانه المتفرد بالعظمة والقدرة والسلطان ، الحى الدائم الذى ليس كمثل شئ وأن ليس له شبيهة .

والمعرفة على ثلاث أوجه : معرفة إقرار ، ومعرفة إيقان ، ومعرفة مشاهدة ، فمعرفة الإقرار درجة الاسلام ، ومعرفة الإيقان درجة الإيمان ، وفى معرفة المشاهدة التحلى بنور البصيرة لأنها درجة الإحسان .

وعن الحسن الدامغانى عن أبى بكر الزهر بازى قال : المعرفة اسم معناه وجود تعظيم فى القلب يمنعك عن التشبيه والتعطيل .

وأنشد يقول :

أومت لمعناك أنباء العبارات
وصرحت بك آيات الاشارات

تنزلت كلمات الحسن منك على لوح الوجود بأقلام السموات
وأنت في الكل معنى الكل يا أملي وهم غيوبك يا غيب الشهادات
فما غيرك من عين ولا أئر أنت القيام وقيام السموات
لك الوجود وإن الغير في عدم لك التحرر عن كل الاضافات
الله أكبر هذا السر قد عجزت عن فهم معناه ألباب التباسات

شجرة البحث

١ - إن الله هو النبع السامي لكل شيء وليس شيء من الأشياء
جميعها هو الله .

٢ - إن الوجود وحدة مطلقة ظاهرها الكائنات المتعددة وباطنها الحقائق
المتوحددة المقومة للكل ولها بين بطونها وظهورها أوجه عدة . فوجه هو
الحوادث ووجه هو القوة ووجه هو الحياة ووجه هو الإدراك ووجه هو
الارادة والكل سلسلة واحدة مترابطة الحلقات متألفة النسب متوحددة النتائج،
وهذه السلسلة الوجودية لا تذهب طبعاً في تسلسلها إلى غير نهاية وإنما تنهى
إلى نفس العلة الأولى التي صدرت عنها وبدأت منها وهي نشاط صفات واجب
الوجود ومبدعه الأعلى، ولذا ترى أن أخص خصائص الكون الغزوع للترقي
فيباطنه ينزع طالباً للظهور وظواهره تتحول طالبة للاستبطان والخفاء. فالكائنات
كلها تمثل على التحقيق دائرة واحدة مركزها فعال في محيطها ومحيطها آيل
إلى مركزها .

٣ - تلك الحجة العلية هي غرض الدين وأمنية الفلسفة وموضع دهشة
العلم وهي نفسها غاية الإنسان الكامل من الوجود . وهي بالذات موضوع
بحث التصوف الحق .

٤ - فإذا أوصلك يقينك العلي أو الفلسفي أو الديني أو الصوفي إلى

عالم الانطلاق الروحي الذي لا يقيدده حجابك الجسدى ولا يتغلب على سطوع نوره ظلام كيالك الأرضى فقد فتحت لعين بصيرتك نوافذ الأزل موصولة بفجاج الأبد فرأيت ثمة كيف أن الكثرة تغيب فى الوحدة ، ورأيت أيضا كيف أن الوحدة فى عينها تغيب فى الكثرة ، ورأيت أيضا كيف أن الوحدة تبعد الكثرة وتقومها ثم تستولى عليها فيتلاشى ما حقه الفناء ويبقى ما حقه الدوام والبقاء ، ورأيت ثمة نعيما وأى نعيم ومقاما كريما عند رب رحيم .

هـ -- فأياك إن عرفت أن تتخطى فى عرفانك لله دائرة الذات والأسماء والصفات طالبا لما وراء قدس الذات ودائرة الأسماء والصفات من كنهه أو هويته فليس للعقل من تلك الحقيقة المطلقة حظ سوى النظر فى حكمتها وتديرها وسائر لطائفها المعنوية والفكرية فيما أبدعت من مخلوقاتنا . وكذلك البصيرة والذوق لا يعرفان منها سوى معرفة صوفية قلبية تدور حول دائرة أسمائها وصفاتها القائمة بسر ذاتها الذى لا يعرفه غيرها فالزم ذلك وإلا فكيف يحيط الجزء بالكل .

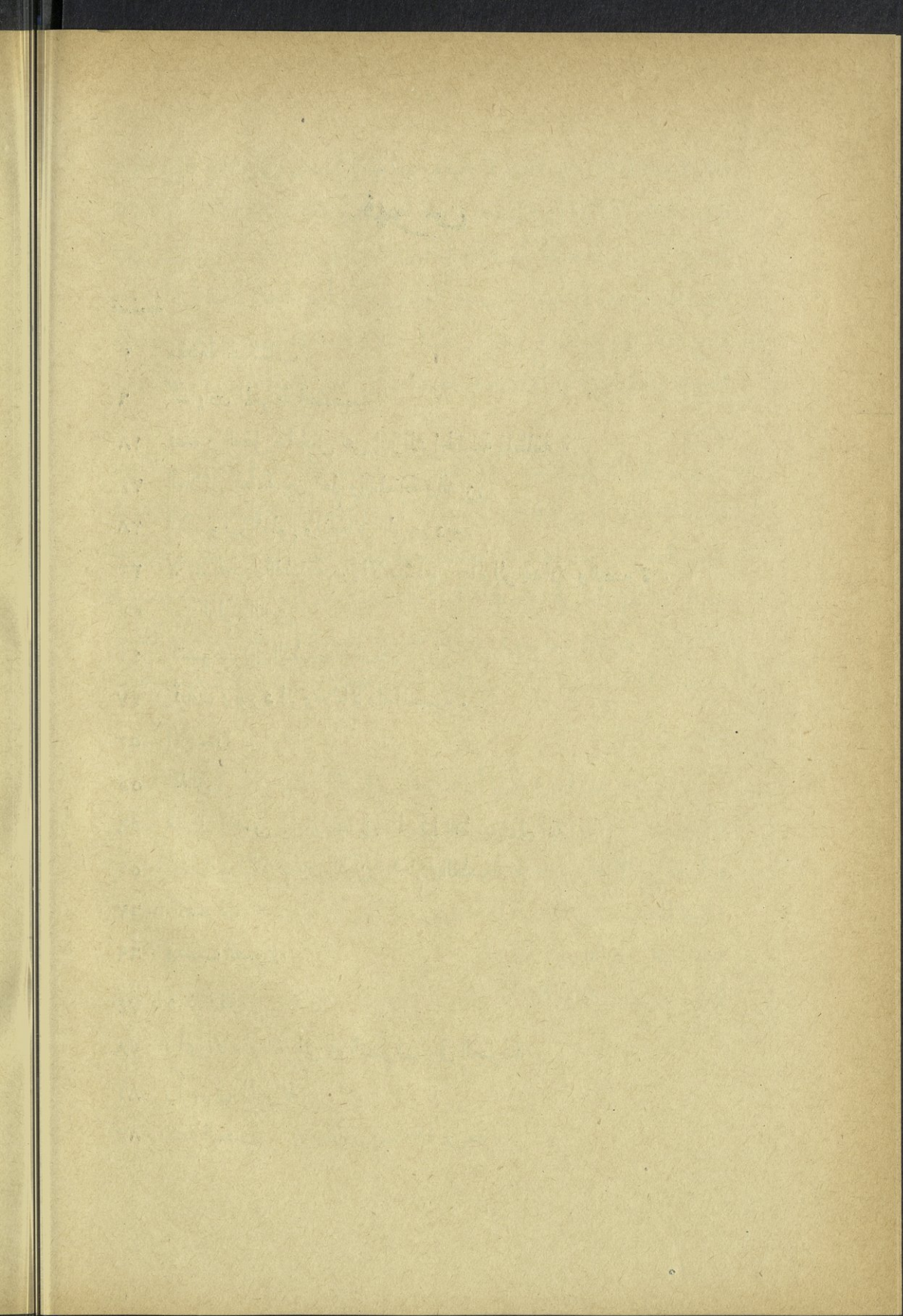
و أما الخواص فمحرم عليها أن تطأ جناب ذلك الرحاب وليس فى مجال الشهود الأعظم وراء ذلك إلا أن يشهد الصوفى المحقق أن لائمة فى الوجودين الإمكانى والوجودى إلا ذات أحدية مفردة مطلقة لها الخلق ولها الأمر ومنها الحكم وإليها المصير . فدع ما وراء الذات من كنه السر إن كنت عارفا حقا ومؤمنا صدقا وقل مع الصديق الأعظم .

العجز عن درك الإدراك إدراك والبحث عن سر ذات الله إشراك

فهرس

صفحة

مقدمة الكتاب	٣
كفايات المعرفة الصحيحة .	٦
قصور العقل والحس عن إدراك الحقيقة المطلقة .	١٨
العلائق العامة بين العلم والفلسفة والدين .	٢٤
الأسلوب العلمى والحقائق الوجودية .	٢٨
لا بد للعلم والفلسفة من الاستئناس بعالم الوجدان والبصيرة .	٣٢
بين العلم والدين .	٣٦
التصوف بين الفلسفة والدين .	٤١
إثبات وجود الروح بالأدلة الحسية .	٤٧
الانسان .	٥٢
الخلق .	٥٥
منازل النفس وتطورها فى سلوكها الطريق إلى الله	٥٦
الخلاف المتوهم بين الدين والعلم والفلسفة	٥٩
التصوف	٦٢
وصف الصوفى	٦٩
ذكر الله	٧٤
رأى الامام الغزالى فى التصوف وفى الصوفية	٧٨
رأىهم فى المعرفة	٨١
تتمة البحث	٨٣



كتاب الشريعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله الذي جعل الشريعة المطهرة نبراساً مضيئاً وسراجاً منيراً يوضح
لسالك طريق الحياة منجياتها من مهلكاتها ، وجعل ذلك حبلاً متصلاً بينه وبين
عبده وميثاقاً مقررًا لمن أراد الزلفة لقربه ووده فهي الباب الأعظم لحمل
الرب الأكرم ومدرجة نعيمه ومنجاة من عقابه .

والصلاة والسلام على من جاء بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين
كله ولو كره الكافرون وعلى أنبياء الله ورسله وأخوانه من الهداة الداعين إلى
صراط رب العالمين وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين .

وبعد فان الدين والملة والشريعة واحد في المعنى لأنها من حيث أننا ندين أي
نخضع لها تسمى ديناً ، ومن حيث أنها تملئ على الرسول تسمى ملة ، ومن حيث
أنها تقصد لانتفاء النفوس من مهلكاتها تسمى شريعة ، وهي خمسة أقسام وكل
قسم منها خمسة أقسام أو خمس مناطق : اعتقادات وهي أن تؤمن بالله وملائكته
وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره من الله . وعبادات وهي
خمس : الصلاة والصوم والزكاة والحج والجهاد . ومعاملات وهي خمس :
ومحاكمات ومناكحات ومخاصمات وأمانات وعقوبات . وحدود وهي
أيضاً خمسة : حد الرجم على المحسن وحد القذف وحد السرقة وحد الردة
وحد الخيانة . والكفارات وهي خمس : كفارة الظهار وكفارة اليمين
وكفارة قتل الخطأ وكفارة الصيام وكفارة الحج . انتهى . وهذه هي
قواعد الدين الثابتة . قال جعفر الصادق أني صحبت أربعمائة صوفي وعالم
وسألتهم عن أربعة مسائل فلم يجبني أحد منهم عن ذلك فاعتصمت لذلك ونمت

فرايت النبي صلى الله عليه وسلم فسألني عن حالتي واهتمامي فقلت له يا سيدي
يا رسول الله انني صحبت أربعمائة صوفي من أهل الطريق وسألتهم عن أربع
مسائل فلم يجبني واحد منهم عن ذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم : سل ما تريد
من المسائل فقلت : الأولى ما حقيقة التوحيد ؟ الثانية ما حد العقل ؟ الثالثة
ما حد التصوف ؟ الرابعة ما حقيقة الفقر ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « أما
حقيقة التوحيد فهي أن كل ما خطر ببالك فهو هالك والله بخلاف ذلك .
وأما حد العقل فهو ترك فتنة الدنيا وترك التفكير في تسكييف ذات
الله تعالى .

وأما حد التصوف فهو ترك الدعاوى وكتان المعاني ومراقبة المولى
واستكمال شعب الايمان والتحلي بالتقوى .
وأما حقيقة الفقر : فهي أن لا تملك شيئاً ولا يملكك شيء . وأن تكون
راض عن الله تعالى في الحالين الغنى والفقر .

الفرق بين

الإسلام والإيمان والإحسان

إن الفرق بين الإسلام والإيمان والإحسان هو نفس الفرق بين الشريعة والطريقة والحقيقة. فالإسلام بداية الطريق إلى الله والإيمان وسطه والإحسان ذراه؛ وبذا يكون الطريق الحق والتصوف الصحيح مبنى على الإسلام والإيمان والإحسان وفي جملة ذلك قول الله تعالى: (إن الذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين).

وفي الحديث عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال: (بيننا نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال يا محمد أخبرني عن الإسلام؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً، قال صدقت. قال فعبئنا له يسأله ويصدقه. قال فأخبرني عن الإيمان قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره، قال صدقت. قال فأخبرني عن الإحسان قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، قال صدقت قال فأخبرني عن الساعة؟ قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل. قال فأخبرني عن أمارتها؟ قال: أن تلد الأمة رببتها. الخ

واعلم عليك الله من مكمنون عليه أن الأعمال تدخل في مسمى الإسلام ومسمى الإيمان أيضاً. فيدخل في أعمال الإسلام العبادة وإخلاص الدين

لله تعالى والنصح له ولعباده وسلامة القلب لهم من الغش والحسد والحقد
وتوابع ذلك من أنواع الأذى، ويدخل في مسمى الإيمان وجل القلوب من
ذكر الله وخشوعها عند عبادته أو سماع ذكره وتلاوة كتابه، ويزيد الإيمان
بذلك حتى يصل إلى اليقين، ومن اليقين تحقيق التوكل على الله عز وجل وخوف
الله سرا وعلانية والرضا بالله رباً وبالاسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم
رسولاً واستشعار قرب الله من العبد ودوام استحضار هيئته وإيثار محبة الله
ورسوله على محبة ما سواهما ثم الحب في الله والبغض فيه وأن تكون جميع
الحركات والسكنات لوجهه، وسماحة النفوس له بالطاعة المالية والبسنية
والاستبشار بعمل الحسنات والفرح بها والتأسف لعمل السيئات والحزن
عليها، وإيثار المؤمنين لرسول الله صلى الله عليه وسلم على أنفسهم وأموالهم
وكثرة التواضع وحسن الخلق وأن يحب المرء لآخوانه المسلمين المؤمنين ما يحبه لنفسه
ومواساتهم، خصوصاً الجيران واليتيم وابن السبيل ومعاضدة المؤمنين ومناصرتهم
والحزن لحزنهم. فأما ما ورد في دخول العمل في معنى الاسلام من النصوص ففي مسند
الامام أحمد والفسافي عن معاوية بن خديج قال: قلت يا رسول الله بالذي بعثك بالحق
ما الذي بعثك الله به قال: الاسلام قلت وما الاسلام؟ قال: أن تسلم قلبك لله تعالى
وأن توجه وجهك لله وأن تصلي الصلاة المكتوبة وتؤدي الزكاة المفروضة.

أما دخوله في الإيمان ففي مثل قوله تعالى (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله
وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً . وقوله) (ألم يأن للذين آمنوا
أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق) . . وقوله (وعلى الله فليتوكل
المؤمنون) وقوله (وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين) وقوله (فلا وربك
لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم) وفي الصحيحين عن أنس عن النبي ﷺ
قال (ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب
إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يرجع إلى الكفر
بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار) وفي رواية مسلم وجد بهن
حلاوة طعم الإيمان، وأما الإحسان فقد جاء ذكره في القرآن في مواضع

تارة مقرونا بالايمن وتارة مقرونا بالاسلام وتارة مقرونا بالتقوى أو بالعمل الصالح . فالمقرون بالايمن كقوله تعالى (وليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعلوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين) وكقوله تعالى (إن الذين آمنوا وعلوا الصالحات إنا لانضيع أجر من أحسن عملا) والمقرون بالإسلام كقوله تعالى (بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه) وكقوله تعالى (ومن أسلم وجهه لله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى) والمقرون بالتقوى كقوله تعالى (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) وقد ثبت في صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم تفسير الزيادة في قوله وزيادة : إن الزيادة هي النظر إلى وجه الله تعالى في الجنة وهذا ما يناسب لجملة جزاء لأهل الإحسان ، لأن الإحسان هو أن يعبد المؤمن ربه في الدنيا على وجه الحضور والمراقبة كأنه يراه بقلبه وينظر إليه في حال عبادته بعين بصيرته ، فكان جزاء ذلك النظر إلى وجه الله عيانا في الآخرة .

والنتيجة أن الإحسان هو مقام المقربين والصديقين ونهاية الطريق للمساكين إلى حضرة رب العالمين وحسبك تعريفه في حديث الرسول ﷺ بأن الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه أى كأنك تشهده حقا قائما على رعاية كل شيء وبه يقوم وجود كل شيء وإليه ينتهى كل شيء ، وهو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم . وأكمل الرسول حديثه فقال فإن لم تكن تراه فإنه يراك لأنه قائم على كل نفس يرى سرها وعلنها فراقبه واخشاه وتبتل إليه

والمراقبة أعظم مقامات التقوى وقد علمت أن درجة الإحسان تحوى مقام الشهود الذى يتحقق بالتقوى المشمولة بالخوف والرجاء اللذين هما للإنسان في سلوكه إلى الله كجناحي الطائر للطائر لا غنى لأحدهما عن الآخر وفقنا الله وإياك لما يحبه ويرضاه .

هذا ويقول أبو طالب المكي في قوت القلوب كلاما يصح أن يكون عقيدة لكل مسلم فيصف الذات العلية بما يليق بمقامها وكلامها . فيقول :

والله جل جلاله وعظم شأنه هو ذات منفرد بنفسه متوحد بأوصافه لا يتزوج ولا يزدوج إلى شيء بائن عن جميع خلقه لا يحل الأجسام ولا تحمله الأعراض ليس في ذاته مدواه ولا في سواه من ذاته شيء ، ليس في الخالق إلا الخلق ولا في الذات إلا الخالق ، فتبارك الله أحسن الخالقين . وأنه تعالى ذو أسماء وصفات وقدرة وعظمة وكلام ومشية وأفعال غير مخلوقة ولا محدثة بل لم يزل قائما موجودا بجميع أسمائه وصفاته وكلامه وأنواره وإرادته ، وأنه ذو الملك والمملكة والعزة والجبروت له الخلق والأمر والسلطان والقهر ليحكم بأمره في خلقه ومملكته بما شاء كيف شاء لا معقب لحكمه ولا لمشيئة فلا يشاء عبد شيئا دون مشيئته تعالى ، إن شاء الله أمرا كان ولا يكون إلا ما يشاء ولا حول لعبد عن معصية إلا برحمته ولا قوة لعبد على طاعة إلا بمحبته . وهو واحد في جميع ذلك لا شريك له ولا معين في شيء من ذلك ولا يلزمه حتم نفاذ الوعيد بل المشيئة له في العفو والخذ ، ولا يجب عليه في الأحكام ما يجري علينا فهو حكيم عادل في حكمه ، وعفوه وعدله هما صفتاه لا تشبه حكمته بحكمة خلقه ولا يقاس عدله بعبد عبادته ولا يلزمه من الأحكام ما يلزمهم ولا يعود عليه من الأسماء والصفات المذمومة ما يعود عليهم وقد جاوز إدراك كنه ذاته العقول وفات الأفهام والأوهام والظنون ، هو كما وصف نفسه وفوق ما وصفه خلقه ، ونصفه بما ثبتت به الرواية وصحت عن رسول الله ﷺ وأنه ليس كمثله شيء مع إثبات الأسماء والصفات ونفي التشيل والتشبيه وأنه سبحانه وتعالى لم يزل موجودا بصفاته كلها ولم تزل صفاته قائمة به كذلك ولا يزال بلا نهاية ولا غاية ولا تكيف ولا تشبيه ولا تنقية بل بتوحيد هو متوحد به وتقر به هو منفرد به لا يجري عليه القياس ولا يمثل بالناس ولا ينعت بجنس ولا يلبس بحس ولا يجانس شيئا قط ولا يزدوج إلى شيء وأن ما سوى أسمائه وصفاته وأنواره وكلامه من الملك والمملكة حدث

كله وهو مظهر من مظاهره كان بعد أن لم يكن، ولم يكن المحدث بحال قديما ولا ولا
بل كان بأوقات محدثة وأزمان مؤقتة والله تعالى هو الأزلى الذى لم تزل
الابدى الذى لم يحل، القيوم بقيومية هي صفته الدائم بديومية هي نعمته أول
بلا أول وآخر دون آخر له كينونة هي حقيقة، أحد صمد لم يلد ولم يولد
ومعنى ذلك (لم يتولد هو من شيء ولم يتولد منه شيء) ومثل ذلك لم يخلق
من ذاته شيء كما لم تخلق ذاته من شيء، سبحانه وتعالى عما يقول الملحدون
من ذلك علوا كبيرا .

ويجب عليك ضمن ذلك أن تشهد أن محمدا رسول الله ﷺ خاتم الأنبياء
ولا نبي بعده، وكتابه خاتم الكتب ولا كتاب بعده وهو مهيمن على كل كتاب
ومصدق لما سلف من الكتب قبله، وأن شريعته ناسخة للشرائع إلا ما أقره
كتابه ووافقه . وكتابه شاهد على الكتب وحاكم عليها، وهو الذى بشر به
عيسى عليه السلام أمته وهو الذى أخبر به موسى عليه السلام شعبه وهو
المذكور فى التوراة والإنجيل وسائر كتب الله عز وجل المنزلة وهو الذى
أخذ الله له ميثاق النبيين أن يؤمنوا به وينصروه لو أدركوه فأقروا بذلك
وشهد الله تعالى على شهادتهم وأخذ عليهم ميثاقه أن ينصروه ويعزروه .

واعلم أن طاعة الرسول ومحبة فريضة واجبة على السكافة كما فرضت
عليهم طاعة الله تعالى واتباع أمره واجتناب نهيه لقوله تعالى :
« من يطع الرسول فقد أطاع الله وقوله : « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني
يحبيكم الله ويغفر لكم ذنوبكم » وقال الرسول صلى الله عليه وسلم « لا يؤمن
عبد حتى أكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين » وقال صلى الله
عليه وسلم « لو أدركنى موسى وعيسى ما وسعهما إلا اتباعى » ومن علامة
محبة صلى الله عليه وسلم اتباع شريعته ظاهرا وباطنا ، ومن اتباع ظاهرها
أداء الفرائض واجتناب المحارم والتخلق بأخلاقه والتأدب بشيئله وآدابه ﷺ
والإتقاء لآثاره والزهد فى الدنيا والإعراض عن أبنائها ومجانبة أهل الغفلة
والهوى ، والترك للتفاخر والتكاثر من الدنيا والإقبال على أعمال الآخرة

والتقرب من أهلها والحب للفقراء وللتعجب إليهم وتقريبهم وكثرة مجالستهم .
وأما متابعتها في باطن شريعته وهي أحواله صلى الله عليه وسلم فهي مقامات
اليقين ومشاهدات علوم الإيمان مثل الخوف والرجاء والرضا والشكر والحياء
والتسليم والتوكل ، والأحوال مثل الشوق والمحبة والأنس بالله وإفراغ القلب
له واستغراق السرفيه ووجود الطمأنينة بذكره وهذه معاملات الخصوص
من أهل طريق الله وعلم ذلك هو علم التصوف .

شريعة الإسلام

الشريعة في اللغة جادة الطريق أو شرعة الماء ومعناها الدين ماشرعه الله
في كتبه وعلى لسان رسوله . والمقصود هنا شريعة الإسلام ومعنى الإسلام
في اللغة يدل على السلم والسلام والتسليم . وشرعا التسليم بما جاء به النبي صلى
الله عليه وسلم من عند الله من النوحيد والآوامر الشرعية والنواهي والأحكام
التي يصلح بها أمر الدنيا والآخرة . وفي عرف الشرع الإسلام هو الانقياد لما جاء
به النبي صلى الله عليه وسلم من عند الله وعلم من الدين بالضرورة . والمراد
من الانقياد الاقرار باللسان بجميع ما جاء به النبي من عند الله ثم طمأنينة
القلب إلى ذلك ، وهو يشمل ثبوت الوجدانية لله وعدم مماثلته لشيء من خلقه
والإيمان بالرسول وخاتمهم طبعاً سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ثم العمل
بأحكام الدين والانتها عن نواهيه والإذعان الفردي والجماعي لكل ما ذكر
من أحكام الدين الإسلامي الخفيف . والدين لغة : كلمة تطلق على كل ما ندين
به ونزعن له ، ومن الإذعان الطاعة لله والعبادة . والإيمان بالحساب في يوم الجزاء .
وإجمالاً فإن الدين هو كل ما يدين له الإنسان ويؤمن به ويسلم له بالقول
والفعل والعقيدة في كل الحقائق التي جاءت في كتاب الله وسنة رسول الله .
وسمى ديناً لأننا ندين له أي نلتزم ، ويسمى أيضاً ملة لأنه أملى من الله على الرسول
صلى الله عليه وسلم بواسطة جبريل عليه السلام . ويسمى أيضاً شرعاً .

والدين في جملة وضع إلهي سائغ لذوى العقول السليمة وداع إلى ما هو خير لهم وبعبارة أخرى هو شريعة الأوامر والأحكام التي وضعها الله للناس لتبعهم باتباعها إلى خيرهم الذاتي .

وأمر الدين أربعة : حسن القصد ، وصحة العقد ، والوفاء بالعهد ، واجتناب الحسد . ومعنى حسن القصد أداء العبادة بالنية والاخلاص فيها ، ومعنى صحة العقد والنطق بالشهادتين خالصتين بالقلب واللسان : لا إله إلا الله محمد رسول الله . والوفاء بالعهد معناه الإيمان بما فرضه الله علينا لا نريد به إلا وجهه خالصا . واجتناب الحسد معناه اجتناب المحرمات والصدق في ذلك وما أناكم الرسول فنخذه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب . وأحكام الدين خمسة : واجب ومندوب ومكروه وحرام ومباح . فالواجب ما يثاب المرء المسلم على فعله ويعاقب على تركه ، والمندوب ما يثاب الإنسان على تركه ولا يعاقب على فعله . والحرام ما يعاقب الإنسان على فعله ويثاب على تركه . والمباح هو الأمر الذي لا يثاب الإنسان أو يعاقب على فعله أو تركه .

وأما الإيمان فهو الاقرار باللسان والاعتقاد بالقلب والعمل بأركان الدين ، وحقيقته الاعتقاد الجازم بوحداية الله تعالى اعتقادا جازما يباشر القلب والروح بأن الله واحد في الذات وفي الصفات وفي الأفعال ، ويتبع ذلك الاعتقاد بما جاء به جميع الرسل من عند الله تعالى وبتمفس الأنبياء والرسل والملائكة واليوم الآخر والقضاء والقدر ، والإيمان يزيد بالأعمال وينقص بالاهمال ، فالإيمان الكامل يصحبه مع الاقرار الاعتقاد والعمل لأنه إقرار باللسان وعقد بالجنان (السريرة) وعمل بالأركان وبذا يكون الإيمان كاملا لأن الإيمان على الحقيقة هو ثمرة العمل بأحكام الاسلام ومتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم فيها ظاهرا وباطنا ، فمن شهد واعتقد اعتقادا جازما بقلبه فهو مسلم مؤمن ومن لم يشهد ولم يعتقد فهو كافر مالم يكن من أهل كتاب سماوى أمره بالتوحيد

والإسلام والإيمان وإن كانا متلازمين فبينهما عموم وخصوص في الحقيقة .
وكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمن على التحقيق ، ودليل ذلك في قوله تعالى :
« وقالت الأعراب آمنا . قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان
في قلوبكم ، واعلم أن الإيمان على خمسة أوجه . . . فإيمان مطبوع وإيمان
معصوم وإيمان مقبول وإيمان موقوف وإيمان مردود .

فالإيمان المطبوع هو إيمان الملائكة ، والمعصوم إيمان الرسل والأنبياء
والمقبول إيمان المؤمنين ، والموقوف إيمان المبتدعين ، والمردود إيمان
المنافقين .

وهو أيضا على ثلاثة أقسام (١) تقليدي (٢) واستدلالي (٣) وتحقيقي
فالإيمان الحقيقي هو أن ينطوى قلبك على وحدانية الله وتفريد أحديته
وتصديق كلامه فيما يجب الإيمان به شرعا تصديقا شهوديا بحيث لو خالفك أهل
الأرض جميعا فيما انطوى عليه قلبك من إيمان فلا تجد في نفسك شكاً أو ريباً
أو تردداً ، وذلك الإيمان يحصل عند ظهور أنوار الربوبية على قلوب أهل
العبودية .

والإيمان الاستدلالي هو أن تستدل بالمصنوع على الصانع وبالأثر على
المؤثر معتقدا أن الأثر بلا مؤثر محال ، والأمر كما يقول الإعرابي (أن الأثر
يدل على المسير والبعرة تدل على البعير) وأنت ترى في الوجود كما يقول ذلك
الحكيم سماء ذات أبراج وبحارا ذات أمواج وأرضا ذات فجاج ألا يدل
كل ذلك على اللطيف الخبير ؟ ومن استدل بالله على الله وجد في نفسه الحجة
القاطعة المؤيدة بالبراهين العقلية والنقلية والوجدانية على تلك الوجدانية .

والإيمان التقليدي هو أن يعتقد الإنسان بوحداية الله وبسائر ما يجب
في باب الإيمان به تعالى تقليدا لوالديه واعترافا بقول علماء أمته من غير
حجة ولا برهان عنده ، وهذا الإيمان لا يعتمد عليه كثيرا وهو قريب
الزلزل وسريع الزعزع بتشكيك مشكك أو بمخالطة متزندق ، وربما تغير

بأدنى شبهة أو عند هبوب وسواس الشيطان أو في رقة اختلال العقل بسكرات الموت ، فيخاف على صاحب هذا الايمان من أن يسلب من قلبه ولا تجري آثاره على لسانه لا سيما إذا لم يحصنه بحصون التقوى ولم يستكمل ثمراته وشعبه وفوق ذلك فهو موقوف على القبول وعدمه ، ونعوذ بالله العظيم من سوء الخاتمة .

وأفضل الايمان اطلاقا ايمان المقرين . ألا ترى إلى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما فضلكم أبو بكر بصلاة أو صيام وإنما فضلكم بشيء وقر في صدره) وذلك نور الايمان الموصل للاحسان وهو درجة الابرار والصدقين الذين غلبت على أفتدتهم أنوار الايمان فانطبعت بذلك بواطنهم وصارت بصائرهم تشهد الاشياء كلها صادرة من عين القدرة الازلية فظهرت عليهم ثمرات ذلك فكانوا محسنين ودخلوا في عداد المقرين ، فهم لا يقبلون على شيء تمام الافيال مما سوى الله ولا يخافون ولا يرجون غيره لأنهم رأوا أن الخلق لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا ولا يملكون لانفسهم أو لغيرهم موتا ولا حياة ولا نشورا ، فهم لا يحبون غيره فلا محسن اليهم على الحقيقة سواء .

ويقول في هذا المقام الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه في دعائه (وهب لنا حقيقة الايمان بك حتى لا نخاف غيرك ولا نرجو غيرك ولا نحب غيرك ولا نعبد شيئا سواك) وأولئك القوم لا يعترضون شيئا من أفعال الله وأحكامه فيما علموه عنه لأنه الحكيم الخبير ، ورأوا أن الآخرة محل القرار فسعوا لها سعيا . ويقول سيدي أبي الحسن الشاذلي في ذلك (إنا لننظر إلى الله بعين الايقان والايمان فأغنانا ذلك عن إقامة الدليل والبرهان ففستدل بالخالق على الخلق وهل في الوجود شيء سوى الملك الحق ، فلا نرى لغير الله وجودا على التحقيق وإن كان ولا بد فنراهم كالهباء في الهواء ولان افتقدت حقائقهم لن تجد شيئا) فاعلم رحمك الله أن الايمان أفضل النعم على الاطلاق وإذا

علمت أن الله تعالى أكرمك وحبيب اليك الايمان وزينه في قلبك وكره اليك
الكفر والفسوق والعصيان فضلا منه ونعمة بلا استحقاق لاحد عليه في ذلك
وهذا أعظم النعم الباطنة والظاهرة ، فقدر هديك الله تلك النعمة قدرها وقم
بواجب شكرها فانها أس السلامة والكرامة . أما السلامة فيها تكون
النجاة بعون الله من أهوال القبر والقيامة والميزان والصراط والبار ومن الطرد
والبعد والغضب ، وأما الكرامة فيها تنال النعيم في القبر من اتساعه وتجد الانيس
الصالح فيه ويفتح لك الباب منه إلى الجنة لدخول روحك اليها وفضلا عن
نعيم الجنة من الخور والقصور وأنواع الملابس والمناكل والمشارب تتمتع
بالنظر إلى وجه الله الكريم . وقد سمع المصطفى صلى الله عليه وسلم
من يقول الحمد لله على نعمة الايمان فقل (إنك لتحمد الله على نعمة عظيمة)
وقبل : لا كلمة أحب إلى الله تعالى وأعظم عنده شكرا من قول العبد : الحمد
لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله :

التعريف بالله

من كتابه

« الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، المصباح في زجاجة ، الزجاج كمثلها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ، نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ، ويضرب الله الأمثال للناس ، والله بكل شيء عليم ،
الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وأنا كم من كل ما سألتهموه وأن تعدوا نعمه الله لا تحصوها إن الإنسان لظلم كفاً . »

« الله الذي خلق سبع سموات طباقاً ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمـر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً . .
« الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر ، يفصل الآيات لعلكم باقراء ربكم توقنون ، وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين ، يغشى الليل النهار إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون . وفي الأرض قطع متجاورات وكنات من أعناب وزرع ونخيل صفوان وغير صفوان يسقى من ماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون . »

هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة ، هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر

سبحان الله عما يشركون ، هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى
يسبح له ما فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم .

وهو الله فى السموات والارض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون .
ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنمشون من آياته أن
خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن
فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ، ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف
الليال والنهار والسموات والأرض ان فى ذلك لآيات للعالمين ؛ ومن آياته منامكم بالليل والنهار
وابتغائكم من فضله ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون ، ومن آياته يريكم البرق
خوفا وطما وينزل من السماء ماء فيحيى به الارض بعد موتها ان فى ذلك لآيات
لقوم يعقلون ، ومن آياته أن تقوم السماء والارض بأمره ، ثم إذا دعاكم
دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون .

ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم الذى أحسن كل شئ خلقه وبدأ
خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه
من روحه .

ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شئ فاعبدوه وهو على كل شئ
وكيل .

ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى .

أفى الله شك فاطر السموات والارض .

قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى : الله خير أما يشركون ؟
أمن خلق السموات والارض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق
ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها ، وجعل خلاها أنهارا وجعل لها
رواسى وجعل بين البحرين حاجزا إله مع الله ؟ بل أكثرهم لا يعلمون . أمن
يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء وجعلكم خلفاء الارض ، إله مع
الله ؟ قليلا ما تذكرون . أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر . ومن يرسل
الرياح بشرا بين يدي رحمته . إله مع الله ؟ تعالى الله عما يشركون . أمن يبدأ

الخائق ثم يعبد ، ومن يرزقكم من السماء والارض ، أإله مع الله ؟ قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله وما يشعرون أى يعثون .

ذاكم الله ربكم خاق كل شىء لا إله إلا هو فأنى تؤفكون .

فتدبر رحمك الله هذه الآيات التى تدل فى مجموعها على توحيد الله وتنزيهه عن النظير والشريك والمعين وأنه هو الواحد الحق الخالق المبدع المصور المبدى المعيد وأن كل شىء كائن عن قدرته ومغمور باحسانه ولطفه ورحمته وأنه وحده الفعال لما يريد وأنه على كل شىء شهيد وأن له الاسماء الحسنى والصفات العليا والارادة النافذة والفاعلية المهيمنة والقدرة البالغة وأن لا إله إلا هو الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد .

ثم اعلم أن أسماء الله لا تحصى ولا تستقصى ولا يمكن المعلوم انما منها شرعا تسعة وتسعون اسما - قال النبی صلى الله عليه وسلم (أن من أحصاها دخل الجنة) ونشرحها لك إجمالاً فيما يأتى : فأولها (١) الله وهو الاسم الأعظم المركزى الذى يدور عليه محيط سائر الاسماء والصفات وهو علم على الذات الالهية لا يشاركه فيه غيره ولا يتسم به سواه . ومعلوم أن ذات الله ليست كالذوات فهى قديمة أزلية أبدية منزهة عن المشابهة والمشاركة والمماثلة والكمية والكيفية والصورة والجسمانية والتركيب والجزئية والجوهرية والعرضية ، وهى منزهة أيضا عن الجهات والحدود والمشاركة والصحبة والمعونة والوالدة والمولود لهذا كان أكرم الاسماء وأشرف الصفات واشمل الأفعال والله وراء كل ذلك أكبر وأعظم ولله الحمد .

الله أكبر لا مثيل يشبهه هو الكبير وهذا الوصف مظهره ويقول بعضهم باشتقاق هذا الاسم من الولد - شدة الحب - والآله - شدة العلو - ونحن لا نقول بشىء من ذلك سوى أنه علم مفرد على ذات توحيد والإسم (الله) مركب من أربعة حروف هى كل الخير وفيها يكمن السر فالالف تدل على البدء والمنتهى وفيها سر الواحدية واللام فيها دلالة الملك

والهاء فيها الدلالة على سر الهوية التي لا تقتحم والذاتية التي تعلو على كل فهم ،
والآلف كثيرا ما كانت عند أهل المعرفة إشارة على اسم الذات المجرد واللام
الأولى إشارة إلى التملك بالتمكن فتكون كما قال سبحانه قل لمن الأرض ومن فيها
ان كنتم تعلمون . سيقولون (لله) واللام الثانية للتمكن في الملكوت ، له
ملك السموات والأرض واليه ترجعون . والهاء إشارة إلى هوية الذات التي
لا بدركها عقل ولا يصل إليها وهم . والهوية المشار إليها عند الخاصة بالهاء وعند
العامية (هو) لها المركزية العظمى في نشاط الكائنات وصيورتها ، وكذلك
سر كينونة البطون في الظهور والظهور في البطون .

(هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم)

والاسم في مجموعه وحروفه أول الأسماء وآخرها (أنظر الى قوله في
أولها) هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما في
السموات والأرض وهو العزيز الحكيم) فاذا انتهيت إلى آخر الأسماء بقولك
(الشكور) (الصبور) كان الضمير المقصود هو الله

فان قبل ما معنى الاسم (الله) قيل هو أول الأسماء لأنه صدرها وهو
آخرها وأن اليه عودتها وهو علم على الألوهية ، والألوهية هي القدرة على اختراع
الاعيان الوجودية (وهو الرب) بمعنى القيوم على ما خلق وأبدع واخترع
وهو أيضا مستمد من اسمه (الرحمن) المهيمن برحمته و (الرحيم) المتلطف
بفضله ، والأسمان مبنيان على السعة والمبالغة (٢) فالرحمن : الراحم ولو بطريق
القهر أو التربية أو العقوبة (٣) والرحيم فيها معنى التحنان واللفظ الخفي
وفي الرحمة من جهة الاسمين معنى الاعطاء والتسكرم والنعمة (٤) الملك
الذي له الملك ، والملك مبالغة في التملك وهو القدرة على الإيجاد ، أي هو الذي
يستغنى في ذاته وصفاته عن كل موجود ويحتاج اليه كل مخلوق .

(٥) القدوس : المنزه عن النقائص ، واشتقاقه من القدوس وهو (الطاهر)

(٦) السلام ذو السلامة من الآفات والعيوب ويكون بمعنى من سلم المؤمنون
من عقوبته .

(٧) المؤمن المصدق لو عده ويكون بمعنى مؤمن المؤمنين ومصدق المرسلين
يخلق المعجزة لهم ثم يصدقهم (٨) «المهيمن» الشاهد، ويعود إلى معنى كونه
عالما بالمعلومات رائيا للمراتب أو الرقيب على كل شيء الحافظ له (٩) «العزيم»
الغالب الذي لا يغلب أو الممتنع من أن يوصل اليه بمسافة أو يقصد بأفة
ويكون بمعنى من لا مثيل له وبمعنى المعز لأوليائه والمؤمنين من عباده (١٠)
«الجبار» الذي لا تناله الأيدي والمصلح لأموال خلقه والذي لا يجري في
ملكه ملكوته مالا يريد أو هو القاهر الذي جبر الخلق على ما أراد (١١)
«المتكبر» المستحق لصفات العلو المنزه عن النقائص وهو العظيم المتعالي عن
صفات الخلق (١٢) «الخالق» الموجد للخلق وما في معناه من إخراج
الكائن من العدمية إلى الوجودية (١٣) «الباريء» المبدع (١٤)
«المصور» يحدث الصور والخزعات والمرتب لدقائق الكائنات (١٥)
«الغفار» ستار المعاصي (١٦) «النهار» القاهر مبالغة في القهر، أي الذي
حمل الخلق على ما ينفعهم وإن كرهوه (١٧) «الوهاب» الكثير العطاء .
(١٨) «الرازق» الممكن للمخلوقات من الانتفاع بكرمه المسخر لهم
الاقتران وهو الذي خلق الارزاق وأوصلها إلى أهلها وسهل لهم أسباب
التمتع بها (١٩) «الفتاح» المسهل للأمور الفاتح خزائن رحمته لصنوف
عباده (٢٠) «العليم» الموصوف بالعلم وهو نعت مبالغة أي العالم الذي لا تخفى
عليه خافية ولا تعزب عن علمه قاصية ولا دانية وهو الذي علمهم من لدنه
(٢١) القابض : قابض الرزق عمن يشاء ويكون بمعنى متقبل الصدقات (٢٢)
الباسط : موسع النعم على قوم كما شاء سبحانه (٢٣) الخافض : واضع الرتب
الذي يضع قدر من عصاه (٢٤) الرافع : رافع الدرجات يرفع درجات من
أطاعه (٢٥) المعز : معطي العز لمن يشاء بالنعم الدينية والدينية والمعز
لأوليائه بالكرامة (٢٦) المزل : ملق الزل والاهانة على من أراد من خلقه
بسبب معصيته (٢٧) البصير : الذي يرى المراتب برؤيته سبحانه وتعالى الخاصة
المنزه عن الحاسة (٢٨) الحكيم : القاضى بالعدل على عباده وبين عبادة والنخب

عن أحوال عبادته بما شاء فلا مرد لقضائه ولا معقب لحكمه (٣٠) العدل :
الذى له أن يفعل ما يفعل غير مستوجب للذم والنقض فيما يصنعه لان العدل
من أسمائه (٣١) اللطيف : العالم بخفايا الاشياء ووقائعها ويكون بمعنى المتلطف
وهو المحسن الى عبادته (٣٢) الخبير : المخبر المعروف بواطن الامور والاشياء
من الخبرة وهو المليم بالخفايا الباطنة (٣٣) الحليم : من له الحلم والحلم تأخير .
العقوبة أو التغاضي عنها (٣٤) العظيم : المستحق حقاً لأوصاف العظمة والقوة
والقدرة بما لا يصل اليه غيره (٣٥) العلى : المستحق لأوصاف العلو الى حيث
لا رتبة الا وهي منحة عنه

(٣٦) الكبير : ذو الكبرياء والعظمة والتقديس (٣٧) الغفور : الكثير
المستر للذلة وفي معناه العفو .

(٣٨) الشكور . الذى يعطى الثواب الجزيل على العمل القليل .

(٣٩) الحفيظ : الحافظ الحارس . (٤٠) المقيت : لمقتدر أو مانع القوت
فى معنى الرازق (٤١) الحسيب . العالم المحاسب لخلقهم فيجازى كل أحد بما عمل
(٤٢) الجليل . من له كمال الجلال والقدرة (٤٣) الكريم . المنزه عن الدنائة
و يكون بمعنى المحسن بما لا يجب عليه أو المتجاوز عن حق وجب له والمعطى
من غير منه

(٤٤) الرقيب . الدائم المبصر بواطن الامور فلا يخفى عليه شيء .

(٤٥) المجيب الذى يعطى من سأل ويحيب دعوة الداعى اذا دعاه

(٤٦) الواسع . الغنى وبمعنى الذى يعلم السرائر فيسترها ، لا يحد غناه

ولا تنفذ عطاياه ولا ينقضى عليه

(٤٧) الحكيم . المحكم لأفعاله أو المحكم علمه أيضا أو بمعنى المصيب فى

أفعاله الذى لا يفعل فعلاً عبثاً (٤٨) الودود . الذى يواد عبادته وهو الكثير

المودة لمن أطاعه والمحب لعباده النوايين الارابيين ، والمحبة من الله تتصف

بالإرادة لا بالعشق

(٤٩) المجيد العظيم الكبير والمجد فى اللغة الشرف والمجيد المستحق لكمال

صفات المجد والعظمة والعلو . (٥٠) الباعث : الذى يبعث العباد للجزاء .
أو الذى يبعث الخراطير من القلوب .

(٥١) الشهيد : بمعنى العالم الرائق والشاهد الحاضر بعلمه فلا يغيب عنه
شئ . (٥٢) الحق : الموجود حقا وهو ذو الحق أيضا وبحق الحقائق والثابت
وجوده أزلا وأبدا فلا يقبل الانتفاء أو الزوال بحال . (٥٣) الوكيل : المتولى
لما فوض إليه من مهام العباد المتكفل بصالحهم

(٥٤) القوى : القادر الكامل فى القوة فلا يعجز بحال من الاحوال .
(٥٥) المتين : الشديد الذى لا يضعف عن فعل ما يريد ، من المتانة وهى

استمرار القوة (٥٦) الولي : الناصر لعباده ومتوليهم بالاحسان اليهم
(٥٧) الحميد . المستحق للحمد وهو بمعنى العبادة والشكر (٥٨) المحصى
العالم بدقيق المعلومات وعظيمها (٥٩) المبدى . المنشئ . المخترع (٦٠) المعيد
الموجد لما أفاءه والذى يعيد الخلق أحياء بعد موتهم (٦١) المحي . خالق
الحياة فى الاحياء بإيجاد الارواح فيهم .

(٦٢) المميت خالق الموت بعد الحياة بنزع الارواح منهم (٦٣) الحى
الذى له حياة سرمدية باقية أزلا وأبدا .

(٦٤) القيوم ، المستغنى عن غيره للعالم بأمور خلقه القائم بتدبيرهم
(٦٥) الواحد ، الغنى .

(٦٦) الماجد ، المجيد المنفرد بالمجد والشرف والعلو .

(٦٧) الواحد ، الذى لا قسم له فى ذاته ولا شبيه ولا شريك فى وجوده
أى المنفرد فى الذات والصفات .

(٦٨) الاحد ، بمعنى الواحد المتوحد فى القدم بذاته .

(٦٩) الصمد ، الذى يقصد فى الخوائج والثابت المستمر الوجود أو
الذى لا جوف له .

(٧٠) القادر ، من له القدرة . (٧١) المقدر ، من له الاقتدار والفرق
بين القدرة والاقتدار أن القدرة تكون قدرة فى حالة كمور الاقتدار والاقتدار

يكون إذا ظهرت القدرة بالفعل . (٧٢) « المقدم ، الذى يخلق الأشياء فى أوقاتها . (٧٣) « المؤخر ، الذى يرتب الوجود على ما أراد وعلم ، فما أراد أن يتقدم قدمه وما أراد أن يتأخر أخره .

(٧٤) « الأول ، الذى لا ابتداء لوجوده أو هو القديم بلا ابتداء .

(٧٥) « الآخر ، الذى لا انتهاء لوجوده أو هو الباقى بلا انتهاء .

(٧٦) « الظاهر ، القادر الواضح بالأدلة الدالة به عليه .

(٧٧) « الباطن ، الموجود الذى لا تدركه الحواس فى الدنيا أو هو حقيقة

الحقائق المستبطنة . (٧٨) « الوالى ، بمعنى الولى والمملك أى المالك للأشياء المتولى لها المتصرف بالمشيئة فيها .

(٧٩) « المتعال ، البالى فى العلو المنزه عن النقائص .

(٨٠) « البار ، المحسن .

(٨١) « التواب ، قابل التوبة ورازقها والعفو عن السيئات ومآحقها .

(٨٢) « المنتقم ، المنتصر على أعدائه وهو المجازى لهم بالعذاب على

معاصيهم ويكون بمعنى المهلك لهم .

(٨٣) « العفو ، صاحب العفو وهو ترك المجازاة على الذنب مع القدرة عليها

(٨٤) « الرؤوف ، بمعنى الرحمن الشديد الرحمة والرأفة بعباده .

(٨٥) « مالك الملك ، بمعنى الملك الذى يتصرف فى ملكه كيف يشاء .

(٨٦) « ذو الجلال والإكرام ، ذو الرفعة والتقدير . والجلال العظمة ،

والإكرام الإحسان للمسلمين المؤمنين بالأنعام عليهم منه سبحانه وتعالى .

(٨٧) « المقسط ، العادل فى ملكه فلا يجور فى أحكامه .

(٨٨) « الجامع ، حاشر الخلق للثواب والعقاب فيجمع بين الظالم والمظلوم

(٨٩) « الغنى ، هو الذى لا يحتاج إلى شىء ويحتاج إليه كل شىء ، المتمكن

من تنفيذ إرادته فى مراداته ، ويكون بمعنى انتفاء الحاجة .

(٩٠) « المعنى ، معطى الغنى لمن شاء من خلقه باطا وظاهرا .

(٩١) « المانع ، الذى يمنع العطاء عن قوم والبلاء عن آخرين .

(٩٢) « الضار ، موصل الضر إلى من أراد .

(٩٣) « النور ، الهادي لمن يشاء من خلقه والمظهر لسلطان وجوده باخراجه من ظلمة العدم إلى نور الوجود .

(٩٤) « الهادي ، بمعنى المعروف الدال عليه به ، ويكون ذلك بإيجاد الإيمان في القلوب إحساناً وعطاءً فهو يهدي من يشاء من خلقه إلى ما يشاء وما يريد .

(٩٥) « البديع ، بمعنى المبدع المخترع ويكون بمعنى الذي لا مثل له فهو الموجد للأشياء على غير مثال يحذو على منواله .

(٩٦) « الباقي ، الذي دام وجوده فلا آخر له .

(٩٧) « الوارث ، الدائم بعد فناء العباد والاملاك .

(٩٨) « الرشيد ، المرشد وهو بمعنى الدال الذي أرشد الخلق إلى مصالحهم وهداهم ودلهم عليها .

(٩٩) « الصبور ، الذي لا يعجل بالعقوبة لمن عصاه . هذا واعلم أننا قد شرحنا لك أسماء الله وكذا صفاته بما أمكن لأن أسماء الله وكذا صفاته كلها توقيفية ، ومعنى هذا أننا معشر المسلمين وقفنا عليها كما هي في مصادرنا من كتاب الله وسنة رسوله وإجماع المسلمين عليها من حيث تلقوها كما هي . فلا مجال للعقل في التأويل والتعليل إلا بأنها أسماء الله عز وجل وصفاته ، والأسماء عموماً لا تعمل ، فإن كان منها ما يماثل أسماءنا ، ومن الصفات ما يماثل صفاتنا فتكون أسماءه هي الأصل وأسمائنا وصفاتنا هي الفرع ، استمداداً من الله لنعوتنا الكاملة أو تشبيهاً منا بأسماء الله وصفاته وهو شيء مأمور به ، وإلا فبأي نعت كامل نتشبهه يا ترى سوى بأسماء الله وصفاته وصفات رسوله ﷺ ؟

وطبعاً هذا عدا الأسماء التي تشعر بالكبرياء والجبروت وما مائل ذلك فلا يجوز لنا التشبه بها . وما أنت ترى - أكرمك الله بمعرفته - أن أسماء الله

الحسنى بحسب ما شرحناه لك منها ، وإن كان شرحا بسيطا غير أنك ترى فيه بعين البصيرة سر فاعلية الأسماء الإلهية في الأفعال الوجودية بحيث نفهم أن كل كائن استمد كيانه وجوده من معاني تلك الأسماء والصفات ذات الفاعلية المطلقة الباهرة وهي صفات الله المستمدة قوامها من أسمائه ذات الفاعلية البارزة والقوى الخارقة ، وهي مصدر الأفعال الإلهية في الكائنات الوجودية التي هي في مجموعها - أسبابها ومسبباتها - مجرد آثار لفعل الله الذي تنزهت ذاته وترفعت أسماؤه وعظمت صفاته . وقد أشهد بعض الصوفية الذين تذوقوا هذه المعاني وتحققوا عظمة تلك الصفات والأسماء بما يدل على ما هنالك من عزة الألوهية وعظمة الأسماء العلية فقال :

هوت المشاعر والمدادك عن معارج كبرياتك
ياحى يا قيوم قد بهر العقول سنا ضيائك
متحجب فى غيبك الـ أسمى منيع فى علائك
وظهرت بالآثار والـ أفعال باد فى جلالك
عجبا خفاءك فى ظهو رك ؟ أم ظمورك فى خفائك
ما الـ يكون إلا ظلمة قبس الأشعة من ضيائك
وجميع ما فى الـ كون فان مستمد من عطائك
ما فى العوالم ذرة فى جنب أرضك أو سمالك
إلا ووجهتها إالىك بالافتقار إلى غنائك

أو فانظر بصرك الله إلى قول الله عز وجل (وهو معكم أينما كنتم) مع قوله تعالى (فله العزة جميعا إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه)
والآن وقد فرغنا من شرح أسماء الله : فاعلم أن لله صفات يجب اعتقادها والإيمان بها والجزم بمدلولاتها جز ما لا يعتوره شك ولا يخالطه شرك . وهي

عشرون وتنقسم إلى نفسية وسلبية ومعنوية وأول صفاته سبحانه وتعالى

(١) الوجود - وهو صفة نفسية وضده العدم .

(٢) القدم ؛ وضده الحدوث (٣) البقاء . وضده الفناء . . . (٤)

مخالفته تعالى للحوادث ، وضدها مماثلته لها .

(٥) قيامه تعالى بنفسه ، وضده احتياجه إلى محل أو مقوم .

(٦) الوجدانية وضدها التعدد ، وهي السلبية (٧) القدرة - وضدها

العجز (٨) الإرادة - وضدها الكراهة (٩) العلم - وضده الجهل (١٠) الحياة
وضدها الموت .

(١١) السمع - وضده الصمم (١٢) البصر - وضده العمى (١٣) الكلام

وضده البكم وهي صفات المعاني - ومن هذه الصفات المعنوية كونه تعالى
قادرا ومريدا عالما وحيا وسميعا وبصيرا ومنكلا وكلها عشرون صفة يجب
اعتقادها في حق الله وهي نعت لذاته كما تقدم .

فالوجود هو الحالة الواجبة لذات الله من حيث أنه أول موجود وكل
ما سواه لولاه معدوم ومفقود ، والقدم معناه عدم الأولوية من حيث أنه
سبحانه وتعالى أزلي الوجود . والبقاء عدم الآخرة من حيث أنه سبحانه
وتعالى أبدى لا آخر له ، ومخالفته تعالى للحوادث معناها عدم مماثلته لكل حادث
مخلوق دق أو جل ، وكل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك ، وقيامه تعالى بنفسه
معناه عدم احتياجه لسواه فلا مساعد له ولا وزير ولا مشير ، والوجدانية
معناها عدم التعدد لله تعالى في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، والقدرة صفة
قديمة أزلية قائمة بذات الله تعالى يتأق بها إيجاد المخلوقات وإعدامها ، والإرادة
صفة قديمة قائمة بذات الله تعالى وتخصص المخلوقات بالحالات والصفات
والسكيات التي توجد بها ، والعلم صفة قديمة قائمة بذات الله تعالى يعلم بها جميع
الاشياء سواء كانت موجودة أو معدومة أو واجبة أو مستحيلة أو جائزة ،
والحياة صفة أزلية قائمة بذات الله ومنها كانت حياة الكل ، والسمع صفة قديمة

قائمة بذات الله تعالى بها يسمع كل صوت سواء كان سرا أو علانية ؛ والبصر هو صفة قديمة قائمة بذات الله تعالى يرى بها جميع الموجودات على السواء والكلام هو صفة قديمة لانه تعالى منزّه عن الحروف والاصوات واللهجات ونحو ذلك مما يتعلق بالالفاظ التي تشابه كلاما والفاظنا ، وهذه الصفة (الكلام) إذا تعلقت بالامر تسمى أمرا وإذا تعلقت بالنهي تسمى نهيا أو تعاقبت بالوعد تسمى وعدا وإذا تعلقت بالوعيد تسمى وعيدا

ودليل وجوده سبحانه وتعالى وجود مصنوعاته التي اشتملت عليها السموات والأرض (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المستخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون)

(ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنظرون) . (يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون) (الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم تعلقون) .

وتلك كلها أدلة فطرية لا يسع العقل السليم إلا التسليم بها والإذعان لمدلولها فهي تساوى الدليل الحسي المشاهد بالبصر والمسموع بالأذن والملموس باللمس ، كما لو رأيت ساعة لضبط الوقت تجري بتدبير محكم يعين الثواني والدقائق والساعات وهي من حديد ونحاس وزجاج فلا يسعك إلا الإقرار بوجود مدبر وراها أحكم صنعها وسوى وجودها .

فلو قرأت سطور الكائنات أو فهمت مدلولها لأرشدك كل حرف منها إلى أن الله سبحانه وتعالى هو الموجد الأزلي الخالق الباري المصور ولو نظرت في خلق السموات واتساعها وارتفاعها وما حوته من شمس

وأقمار ونجوم والارض ، وما حوته من أشجار وأغصان وأوراق وأزهار
وأثمار وأحياء ، والبحار وما فيها من صنوف الأسماك والحيوان و. مختلفات
المخلوقات ، والفضاء وما حواه من الهواء ورقته ولطفه وقبضه وبسطه والسحاب
وتسخره وما يحمله من ماء ساقه الله لإحياء خليقته وإرواء أرضه ليخرج
منها زينة للناس وطعاما ومنافع كثيرة ، وكلها قائمة بالتدبير والنظام الدالان على
إنقان الصنعة وسمو الحكمة ، بل لو تأمل الإنسان في نفسه وفي خلقه وما
انطوى عليه من حركة وسكون وسمع وبصر وكلام وعلم وجمل وإيمان وكفر
ولذة وألم وسرور وحزن . وفكر وعقل وتدبير واختيار ، لعلم أن لا بد له من
صانع موجود قديم يستمد منه وجوده وحياته وفكره وعقله ، وأنه هو في
نفسه حادث متحول متقلب يوجد ويفنى ويعدم ويبلى ، ولا بد أن يكون موجد
قديم لا يطرأ عليه العدم ولا يصل إليه الفناء تسبيح له السموات السبع
والأرض ومن فيهن وهو بكل شيء عليم .

والقدم والبقاء ، المراد بالقدم هنا القدم الذاتي وهو عدم الأولية ، فغنى
كون الله قديما أن لا أول لوجوده ، وإن شئت قل أن القدم هو سلب العدم
السابق للوجود أو عدم البدء ، والقدم في حق الله غير القدم في حق الحادث كما
إذا قلت هذا كتاب قديم أو بناء قديم فالمراد به هو القدم الزماني وهو طول
المدة ، والقدم بهذا المعنى محال على الله لأن وجوده عز وجل لا يتقيد بزمان
ولا مكان لحديث الزمان والمكان ، فلا يتقيد بواحد منهما إلا حادث مثلهما .
و ضد القدم كما لا يخفى هو الحدوث ، والحدوث يطلق على معنيين حقيقي
ومجازي . فالحقيقي هو الوجود بعد العدم ، والمجازي هو التجدد بعد البلى .
والبرهان على ثبوت القدم لله تعالى هو أنه إذا لم يكن صانع العالم قديما كان
حادثا وإذا كان حادثا كان مساويا لغيره من الحوادث . والواقع أنه ليس بحادث
فيمتدح من ذلك أنه إذا لم يكن حادثا فهو قديم وأيضا إذا كان حادثا افتقر إلى
محدث والواقع أنه ليس مفتقرا إلى محدث ، وإذا افتقر إلى محدث افتقر
محدثه إلى محدث أيضا وهكذا . وهو محال ولذا كان سبحانه قائما بنفسه
ومخالفا للحوادث .

توضيح وتصيير بالتصديق

ثم أن في قوله تعالى (لا تدركه الأبصار) وهو يدرك الأبصار إشارة إلى أن ذات الله لا ترى في الدنيا إلا بعين القلب والبصيرة وهو الموجود الذى يعلم حقيقة سائر الذوات ولا يعلم أحد كنه ذاته ، وهو يدرك جميع الخواطر القلبية والمشاهد المرئية ولا تدركه أبصار خلقه ولا أنظارهم العقلية وإن عرفته قلوب عباده بمحض نوره وهدى بصائرهم القلبية ومشاعرهم الذوقية .

فالواجب علينا إذن معشر المسلمين تنزيه ذات الله عن الاختصاص بالجهات المكانية لقوله تعالى (وسع كرسيه السموات والأرض) .

ومعنى أن يسع كرسيه السموات والأرض أنها سعة إحاطة وسلطان وليست سعة زمان أو مكان ، وتدل الآية على أن الله فوق الأحياز المكانية والافات الزمانية . وأما قوله : (الرحمن على العرش استوى) فلا يفهم منه أن الاستواء بمعنى الاستقرار ، وإلا تحير في مكان ، ولكنه بمعنى القهر والاستيلاء والسلطان .

وتكون رؤية الله تعالى في الدنيا بالعين المجردة محال لما سبق ، وذلك لا يمنع أن يرى سبحانه بأعين البصائر والقلوب لعباده الموقنين ولذلك يقول قائلهم :

ولما أرانى الشوق أنك حاضرى والفيت موجود بغير مكان

فخطبت معهودا بغير تكلم وعانيت مشهودا بغير كيان

والمعية الإلهية وإن كانت دائمة الاستمرار مع المؤمنين والمحسنين من عباده وأحبابه ، غير أنها تتعالى في ذاتها عن أن تكون محدودة بالمكان أو الزمان أو الكم أو الكيف على طريق الحصر ، في معيه « بالعلم ، والاقتدار

لا سيما وأن علم الله - وهو قديم - غير مسبوق بزمان ولا ملحق بمكان ولا يعزب عنه شيء جل أو دق غاب أو حضر خفى أو ظهر في الأرضين السفلى أو في السموات العللى إلا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ؟ ، وفي قوله تعالى (وهو بكل شيء عليم) إشارة إلى ذلك ودلالة على ما هنالك ، حيث كان يعلم الأشياء قبل خلقها ومنها الزمان والمكان . فهو يعلم نتائج عمله في الكائنات والمقدورات المقدره تقديرا ؛ وذلك قبل خلقها وبعده .

فيجب أن تتيقن معنى أنه هو العليم الحكيم واللطيف الخبير ، وفي قول الله (وهو على كل شيء قدير) دليل على القدرة ، وفي رؤية مقتضيات القدرة في خلقه وإبداعه ما يجعلك تتيقن إن كنت بصيرا بأن قدرة الله لا يحدها كم ولا يحصرها كيف . والقادر العالم لا بد أن يكون حيا ضرورة والحياة لله سبحانه صفة قديمة قائمة بذاته ويستمد من أضواء تلك الحياة كل حي من مخلوقاته .

هو الحي لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين . والعالم الحي القادر لا بد أن يكون مريدا لمعلق مقدوره « بالإرادة ، في إبرازه مخلوقه وتديبره وهدايته إلى غايته ، فهو سبحانه المبدى المعيد الفعال لما يريد ، انه هو يبدى ويعيد وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد ، والاله الذى له (العلم والقدرة) والحياة ، و « الإرادة ، لا بد أن يكون وجوده سابقا على وجود مقدوراته ومعلوماته ومراداته ، ويكون موجودا قبل ديب الحياة في سائر الأحياء من المخلوقات ، ولا بد أن يكون حاضرا معها بعلمه وسمعه وبصره بعد خلقها : (إننى معكما أسمع وأرى) ويجب أن يكون باقيا بعد فناها (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) وإذن فله دون خلقه (الوجود) و (القدم) و (البقاء) (أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما ؟) وفي هذا دليل وجوده قبل مخلوقاته وفي قوله (لا إله إلا هو خالق كل شيء وفي قوله (وهو السميع البصير) دليل على الإيجاد السابق وعلى سمعه القديم

وبصر دون حاسة تشبه مخلوقاته. وأما القدم ففي مثل قوله: هو الأول والبقاء،
في قوله (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام).

يتولون ابن الله ؟ أين عجائبه وذا الكون سفر واضح هو كانه
يشكون والإيمان ملء قلوبهم ويدون ما تلك القلوب تسكبه
فأى امرىء فى الاق برسل طرفه إذا ما بدت أقماره وكواكبه
وأى امرىء ما سبغ الله مرة إذا راقب الأزهار وهى تراقبه
أليس يكون الله فى عرش مجده وهذى حواشيه وتلك مواكبه
عجائب ربى فى الانام كثيرة ولكن جهل المرء لاشك غالبه

...

واعلم اجمالا أن صفات الله خصائص معنوية قديمة قائمة بذات الله
ولست بزوائد كائنة مع الذات ، وحتى صفة الكلام - وهى أبرزها ظهورا
فى عالم الحس - ليست بصوت كأصواتنا ولا لفظ كألفاظنا ولا حرف
كحروفنا (ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو
يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء) وما الكلام المدون فى المصحف أو
المنطوق بالالفاظ إلا ظروف وأوعية لحقيقة الكلام هى هو بالذات وحتى
كلامك ليس هو الالفاظ المتموجة فى الهواء بالأصوات ، والمرسومة كتابة
بالحروف إنما هى كلها ظروف له ، وأما كلامك فى نفسه فن وراء ذلك كله

إن الكلام لى الفؤاد وانما جعل اللسان على الفؤاد ليلا

وكذلك السامع يعى معانى كلامك بذهنه لا بظلمة أذنه السامعة .

وقد سقنا إليك هذا التعلم يقينا أن الالفاظ - التى قيلت على لسان
الرسول أو كتبت فى المصحف ما هى إلا قوالب لما يريد الله أن يبلغنا إياه
من كلامه القديم .

وإذا علمت أن الله أسماء سنية وصفات عليية منزهة عما تتصف به الجوارح فاعلم أن له أفدالا اقتداريه لا يماثلها فعل موجود غيره ، وقد علمت قدرة الله وعظمت قوته عن المثل والشبيه والشريك . واعلم أنه فضلا عما وهبه الله لآدم حرية نسبية فلا يقع في ملك ربك إلا ما يشاء ولا ينفذ فيه إلا ما يريد ولا يخرج كائن قط بفعله واقتداره عن فعل الله واقتداره ، ولا تشذ ذرة في الملك أو في الملائكة عن إرادته ولا يحدث حادث قل أو جل إلا عن أمره ومشئته . والله خلقكم وما تعملون ، . وهذا لا يمنع طبعاً أن تكون لنا إرادات نسبية تكتشفها وتشملها إرادة الله الكليية . وإذا علمت هذا فاعلم أيضاً أن الله مغاير بالضرورة في خصائصه وأسمائه وصفاته وأفعاله لخصائص وصفات عباده ، واجمالياً فإن الله موجود الآن وفي الأبد على ما عليه كان في القدم ويبقى كذلك في الأزل وأن « ليس كنهه شيء وهو السميع البصير » . فالبقاء له وصف والعدم عنه ممنوع والقدرة له نعت والعجز عنه مدفوع والزوال عنه مرفوع . والله در الشاعر الحكيم حيث قال :

هاج للقلب من هواه انكار	وليال	كانهن	نهار
وجبال شوامخ راسيات	وعيون	مياهن	غزار
ونجوم تلوح في جنح الليـ	ل مشرقا	ت في كل	يوم تدار
وشمس مضيئة للبرايا	في النهار	وفي الدجى	أقمار
ورباح نهب من كل فج	وبروق	وراماها	أمطار
ان شأن الإله شأن عظيم	جل ربا	وجل	الآثار
والذي قد ذكرت دل على الله	ه نفوسا	لها هدى	واعتبار

ثم اعلم - علمك الله من علمه القديم - أننا لو تصفحنا الوجود من أكبر أجزائه إلى أصغر ذراته طردا وعكسا لا نرى في نهايه الفحص إلا إرادة عليا تصرف وحدات الكائنات وتوجهها نحو غايات مؤتلفة ، يدرکها العقل ويحكم بتوحد مصدرها الفسکر، وقوة عاملة تصل صيرورة المبادئ بالغايات بواسطة قوانين محكمة سببتها تلك الارادة الالهية المطلقة . وكذلك لله حياة شاملة

اختصاصها تدريج الكائنات وتطويرها من البسيط الى المعقد ومن الأدنى الى الأرقى ومن المدرك بالحواس الى المدرك بالعقل ، وذلك بما تبعته حياة الله في الكائن من حياة نسبية نزاعة للتجدد والتكيف والترقي ؛ وتلك الحياة وهي نفسها حياة الله التي نفخها من روحه في الكائنات هي العامل المهم فيما يتمتع به الموجودات من روح عام شامل ، فأرواحنا في الواقع فيض من نوره الحيوى الدقيق المطابق بعثه من لدنه لاهياء كل حي . وما علمنا في حقيقة إلا تأثر ادراكنا بما يفاض عليه من صور الحياة الالهية ومعلوماتها وإلهاماتها والتي كانت سابقة على تفكيرنا ولا حقة به . وأما أثر الارادة والقدرة الالهيتين في نظام الوجود فأمر بارز بروز الشمس في رابعة النهار ، ومحاولة فهمهما ميسورة عن طريق الحواس أو العقل أو الوجدان أو الكل معا . تلك الحياة الالهية العاة الباعثة على الترقى والارادة الربانية المنظمة والقوة الاقتدارية المسيرة والقوانين الطبيعية الضابطة لكيان الكائنات الوجودية ، وذلك النور الذرى المؤسس للمادة وعناصرها جميعا لا يمكن أن تعزى جميعها إلا لبداع أفيض عليها من كائن أعلا هو الله المتوحد في ذاته ووصفه وفعله . . وهو أعلى من سائر الذوات التي تلم بها أفكارنا وأنزه ، فهو موجود بذاته وقادر بذاته ومريد بذاته وفعال بمطلق بارادته .

هو أول .	هو آخر	هو باطن	هو ظاهر
هو واحد	هو مالك	هو عالم	هو قادر
هو خالق	هو رازق	هو عادل	هو أمر
هو حاكم	هو صادق	هو مخبر	هو ذاكر
هو محسن	هو متفضل	هو راحم	هو غافر

وما الكيان الوجودى - هذا الكيان الذى تراه وتحسه - إلا بروز آثار هذه الصفات الالهية من السكون الذاتى الى الظهور الفعلى أو من الفعل الذاتى الى الفعل الخارجى أو قل هو بزوغ نشاط الصفات الالهية من مجال القوة الى مجال الفعل . فالحياة والعلم والارادة والقدرة هذه كلها صفات الله الالهية

وهي صفات المعاني الذاتية التي تفرع عنها باقي صفات الله المتعددة وبها ظهرت بالتبعية صفات الكمائنات الحية وغير الحية من أرضية وسماوية . فصفات الله قديمة أزلية حاضرة باقية دائمة . وصفاتنا نحن والكمائنات حادثة طارئة ثم متحولة أو فانية .

وقبل تاريخ الكواكب والأفلاك والسدم وتاريخ شمسنا التي نحن تابعون لها ، كان الله ولا شيء معه حيا موجودا عالما مريدا قادرا وكانت ذاته المقدسة متصفة بالسكالم المطلق والحرية الإرادية المطلقة ، ثم يبقى الله بعد الخلق وأسماؤه وصفاته بقاء سرمديا وإن في كل شيء . فكل موجود متمكن الوجودية لا بد أن يكون حيا وذا نشاط وإلا كان معدوما . وعلم الله هو علمه بذاته وبمحيط مخلوقاته . والموجود الحي العالم لا بد أن يكون مريدا كما تقدم ، فهو يعلم بذاته أنه حي بذاته وأنه مريد بذاته وأنه قادر بذاته ، وكل ذلك ليس بشيء خارج عن ذاته . وأول أثر للحي العالم هو ظهور الحياة والعلم في مظهر الإرادة ، فالله حي عالم مريد قادر بالفعل ، وهذا يقتضي إرادة الإيجاد قبل حدوث الإيجاد بالضرورة وبسبب علاقة تلازمية هي ميل الصفة لإحداث الأثر وتعلق الأثر بالصفة كأصل له .

وأركان الإرادة هي الوجود والحياة والعلم والقدرة . وكل إرادة لا تتوفر فيها هذه الأركان تكون نائمة ، فالحي العالم المريد قادر بالضرورة العقلية لتوفر شروط القدرة سيما وأن هذه الصفات تتطلب البروز إلى الخارج دائما كبروز فاعلية الحياة وبروز معلوم العلم ، ونتائج الإرادة وفاعلية القدرة إن كانت كامنة في الذات نسميها « قدرة » ، فإذا برزت إلى الخارج نسميها « قوة » ، لأن القوة ضرورة وهي نتاج القدرة ، لها كم نشيط يقاس مدى نشاطه ؛ وأما القدرة فلا كم لها وهي متعلقة بالإرادة . ولما كان الله حيا عالما قادرا مريدا كان حكيما ، لأن الحي العالم القادر المريد كامل وكل كامل حكيم ضرورة . والحكيم هو من يضع الشيء في موضعه ويقدره بمقاديره . « وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم » .

واعلم أن أركان الحكمة ثلاثة : (١) الفكرة . (٢) القوة . (٣) الفعل .
والحكيم يبرز آثار حكمته الى الخارج بتقدير أوان إبرازها ، ولا يتم فعله
إلا إن كان كامل الحكمة تام الاقتدار مقدرًا لمقادير مصنوعاته وأوقات
بروزها ، ووصف رب العالمين كذلك بالفعل . وإذن فلتعلم أن الله جلّت
قدرته - وهو الحي القادر - كامل الوجود كامل الحياة كامل القدرة والارادة
والحكمة بما لا يمكن لسواه بلوغ مداه . فعن قدرته وإرادته نشأ الفعل
والنظام وعن حياته وإدراكه نشأت الحياة ونشأ العقل ونشأ التطور ، وما الترقى
في الوجود إلا نشاط تلك الحياة الإلهية المطلقة ، وما المعرفة العقلية إلا نشاط
ذلك الإدراك الإلهي العام ، وما السكل الكوني إلا كائنًا محدثًا مستمدًا من
نشاط صفات الكائن الأول (الله) . لحياة الكمائنات أثر واضح وحادثة
كبرى تدل على حياة الباري المصور أو قل هي شعاعة مستمدة من حياته
ومن نورذاته الأقدس ، فلاجل أن يعرفنا الله حياته العليا بعلمه الاسمي خلق
حياتنا نحن وجميع الكائنات أي أمد الوجود بنور الحياة بعد ما أمدته بنور
آخر هو النور الذرى الذى كون منه كل شىء ظاهر يحس (الله نور السموات
والارض) فإذا قال الله عز وجل لنا فى كتابه المنزلة على السنة أنبيائه المرسلين
أو على السنة خلفائهم العلماء بالله من أهل الولاية والدرابة ، ان الله حى وعالم
وقدير وسميع ومتكلم وبصير ومريد ، فما الذى يمنعنا أن نصدق الله فى الوقت
الذى إذا قال لنا العلم المحدث ، إن الارض تدور حول نفسها وحول الشمس
صدقنا ذلك العلم كشىء يقينى مع عدم احساسنا بتلك الحركة ؟ بل صدقناه فى
أبعد من هذا حيث يقول العلم : أن هناك اشعاعات خفية وأطيافا لا نشهدها
بالعين ، عجبنا وأى عجب ألا يساوى تعليم الله فى أذهان بعض الناس تعاليم
العلم . ولا شك أن كل علمنا وحكمتنا انما هو فيض من فضله ، وأن الله
ضرورة أحكم عالم وأعلم حكيم ؛ فقبل أن نخبرنا بحجانه فى كلامه جعل الحياة
هى التى تتكلم علما وتطبيقا وتجربة مدللة أوضح الدلالة على حياة مبدعها ، تلك
الحياة الأزلية السرمدية .

ولنضرب لك مثلاً في ذلك فاعتبر به . . إذا كان أحد الناس غنياً ومنحك من المال ما جعلك أنت أيضاً غنياً ، ثم بعد ذلك قال لك يا فلان « أنا الغنى ومن غناى كان غناك ، أيمكنك في هذه الحالة أن تنكر غناه وأنه أعم من غناك وأعظم ، أو ترى نفسك في حاجة لأن تطلب منه الدليل على هذا الغنى ؟ فإذا فرض وسألته الدليل قال لك « غناك الذى هو منى أكبر دليل على غناى الذى لم يكن منك وهو الدليل أيضاً على جحودك لنعمتى وقد لمسها وتلبست بها ، وكذلك قبل أن يكلمنا الله عن علمه بث علم في كل أنحاء الوجود . فإذا فرض أن تساءلت عقولنا عن دليل علم الله صح أن يقول لنا « من أين أخذتم علومكم ؟ فإذا قلنا من الطبيعة . . درسناها وتلقينا عن نظامها وأفعالها قال الله بلسان الحال : والواقع إن الطبيعة على التحقيق اسم على غير مسمى وقد أسميتها وأسميتها طبيعة بمعنى مطبوعة على وزن فعيلة بمعنى مفعولة وهذا بمقتضى اللغة التى تسكلمون بها .

ألا ترون أنها صديقتى بمعنى أنها مصنوعة ، لأن حقيقة كلمة حقيقة مثلاً وضعت علماً على محيط يحوى مجموعة من الأشجار فلو ذهبت كل شجرة من الحقيقة إلى الأخرى حتى تنتهى فلا معنى حينئذ لهذا المسمى . وإذن فقولوا أنتم من ذا الذى أوجد الطبيعة المطبوعة ومن ذا الذى طبعها؟ وهنا يسقط كل جدل (ولئن سألناهم من ذا الذى خلق السموات والأرض ليقولوا الله) وأيضاً فلا معنى للقول بالصدفة أو بالضرورة لأن الصدفة لفظ استعراه من اللغة لـخفى وراءه كل شيء نجمله ولا شيء في الوجود إلا له سبب سابق معلوم أو مجهول والضرورة في نفسها تدل على فاعلية الفاعل الذى اضطر كائناته إلى التنظيم والسير إلى الأمام « والله يعلم وأنتم لا تعلمون ، ... وحينئذ لا يمكننا أن نشك في علمه وقد لمسنا ذلك في واقع الكائنات ثم تدبرناه بعقولنا وعلمنا أن علمه هو أصل علومنا الكونية « وفوق كل ذى علم عليم ، . ولم يقل الله لنا في خطابه أنه قادر حتى أرانا آثار قدرته في كل الكائنات . فلما درسنا أنواع

القوة في الطبيعة وفي أنفسنا علمنا أن الله قادر لا محالة . فكل أنواع القوى الخفية التي تعمل في الوجود هي دليل على قدرة الله وهي من فيض فضله على عباده . ولما كان لا بد لهذه الصفات الإلهية من أثر في الخارج يدل عليها أراد الله بروز هذا الكون - خلقا وابداعا - كما بينا ، وهنا كان تأثير الإرادة وكان من آثارها كل النظم والقوانين التي تدير الكائنات بمقتضاها فتنظمها وتوجهها نحو الكمال . فاذا وضعنا يدينا على الآثار العملية لهذه الصفات وعرفنا بقولنا أنها حالات موضوعية لذات مركزية عليها هي مبدأ الوجود - وبعبارة أخرى هي ذات الله - يمكننا بطريقة عقلية سهلة أن نعرف أصل الكائنات فنعرف أن لا بد لكل عالم من علم ولكل مريد من إرادة ولكل قادر من قدرة وأن وجود العالم والعلم والمريد والإرادة والقادر والقدرة يقتضي ذلك كله وجود المعلومات والمرادات والمقدورات ثم بروزها كضرورات - للفعل - وهي متلازمة آخذ بعضها برقاب بعض - وأما بالنسبة للمكون فلا ضرورة تدفعه من حيث أنه هو الذي أراد ونفذ ما أراد بمحض مشيئته وأمضى ما تقتضيه صفاته من بروز الأفعال بحرية كاملة .

فإن سألت ما هي معلومات الله ؟ قلنا هي كل ما يعلم من الكائنات المشيئية والغيبية . وإن قلت ما هي مرادات الله ؟ قلنا هي كل ما يقع في الكائنات من أفعال ومقاصد . فإن قلت ما سبب الشر في العالم قلنا لو علمت إنه الناحية السلبية للخير كظل الشمس للشمس لفهمت ، والخير بالشر يعرف وإلا ما تميز خير من شر في الوجود . ثم إن حقيقة الشر هي الناحية السلبية للترقي ، وترقي الكائنات مراد الله . والعلم يساعد على ترقى الإنسان ، والجهل يساعد على تخلفه . واذن فالجهل أبو الشر والجهل والشر صنوان وهما سلبيان ، وعلم الله وإرادة الله وقدرة الله كلها صفات إيجابية فعالة تسوق الكائنات وتبعثها على الترقى لتحقيق مراد الخالق ... ثم اعلم أنه لا شيء يصلح للخير إلا وهو صالح للشر ولا شيء يصلح للشر إلا وهو صالح للخير من وجه آخر ، فليس في العالم شر حقيقي ولكنه خير من حيث مراد الله في الخلق والترقي

وليس في العالم شر جارئ إذ كل ما يجري بأمر البارئ
فالخيرية والشرية في الإنسان مجرد ملابسة للأشياء من وجهها أو من غير
وجهها وكل ميسر لما خلق له . وقلنا أن الجهل منبع الشر فشرية الإنسان ناشئة
عن جهله لا محالة ، وخيريته ناشئة عن معرفته ، فيكون الخير والشر في أنفسهم
أمورا نسبية راجعة إلى ملابسات الإنسان واستعماله لأشياء الكائنات ، فإن
كانت عن طريق التشريع من الله فهي خير وإن كانت عن مخالفة لنواميس
التشريع فهي شر ، ولذلك كانت الأعمال بالنيات . وفي علم الحقوق وعلم
الأخلاق العبرة بالسريرة والقصد في العمل بصرف النظر عن العمل نفسه من
حيث ظواهره وإنما الحكم لظروفه وملابساته والقصد فيه .

ولنرجع إلى مانحن بصدده من تبيين صفات الله فنقول ملخصين . لما كان
لا بد للاله الحي من أثر لحياته وجدت حياتنا نحن وجميع الكائنات ، ولما كان
لا بد للاله المريد من مراد - متوحد أو متعدد - ظهر هذا النظام الشامل
الجامع البديع الذي ترادف في سائر الكائنات الطبيعية والذي تحفقه قدرة الله
والمراد الإلهي المتوحد بالفعل وإن كان متعددًا بالنسب والاضافات
والحالات والكيفيات فهو متوحد في مصدره . هذه الصفات الأربع
الجليلة ، والقدرة . والعلم . والارادة . هي أساس الصفات الإلهية ولذا
سموها صفات المعاني وهي منبع بقيه الصفات كالسمع والبصر والكلام والقيام
بالنفس والمخالفة للحوادث إلى آخر صفات الله .

وهذه الصفات الأربع تعمل في الوجود متحدة ومتعاونة بعضها مع بعض في
إبراز السمات بابرار القوانين والنظم الطبيعية . ولذلك نرى القوانين مؤلفة
ومتوحدة في التضامن على اظهار المحدثات وطبعًا لا يمكن أن تعمل الحياة بدون القدرة
أو العلم أو الارادة وكذلك أخوانها ولنعلم أن الارادة نشاط والقدرة قوة والحياة
مركز عمدة ومحرك الذات نقطة مركزية والعلم وعي الذات وكل ذلك هو موضوع
علم الله . (والله بكل شيء عليم) واذن فأنل معنى أيها الحبيب ذلك النبأ العظيم
وهو قول السميع العليم في كتابه القديم (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم)

حتى يتبين لهم أنه الحق) واستمع بعد ذلك إلى قول الشاعر اللبيب .

صاح حتى الوجود بالإفصاح وأرهف الفهم من جميع النواحي
وأدر خمرة التأمل حتى تفقد الحس بين روح وراح
واستحث من كنوز معنك نورا واجعل القشر حصاة الأشباح
عالم مدهش وكون بديع أنت فيه كذرة في الرياح
وحيث ترمى بناظريك تلاقى عالما معجزا بعيد النواحي
رائد الفكر دونه في كلال وقوى الذهن دونه في طلاح
أيها الفضاء أين مكاني منك ؟ في هذى الفياق الفساح
ما يمين وما يسار وما فوق وما تحت بين هذى المناحي ؟
ثم ما هذه المرائي وما تلك الحجالى بحسنها الوضاح ؟
ثم ما هذه القبور تهادى لجنان مرفرفات الجناح
عالم الحس دون هذا بلاشـك ولاكن لدى القلوب الصراح
عالم الحس من لوازمه القيد وذا عالم طليق السراح
لذة كله وروح وراح وسرور يكال بالأقداح
حكمة حينما تجول ونور حينما تنتهى وبهجة في البطاح

الرسالة العامة

ونريد بالرسالة العامة بعثة الرسل لتبليغ شيء من العقائد والأحكام عن الله خالق الإنسان وواهبه ما لا غنى له عنه كما وهب غيره من الكائنات من توفية حاجاتها وبقاء وجودها على القدر الذي حدد لها في رتبة نوعها من الوجود .

والكلام في هذا البحث من وجهين . الأول : وهو أيسرهما وهو الاعتقاد ببعثة الرسل عموما لأنه ركن من أركان الإيمان فيجب على كل مسلم ومسلمة أن يعتقد أن الله أرسل رسلا من البشر مبشرين بنوابه ومنذرين بعقابه .

وقد قاموا بتبليغ أمهم ما أمرهم الله بتبليغه من توحيد وتنزيه لذاته وتبيين لسلطانه القاهر على عباده . ثم تفصيل ما أنزل من حكمه مما يتعلق بالعبادات والمعاملات فيطالبهم بها . وما يتعلق أيضا بالأخلاق وكريم الفعال وتحريم أضادها .

ومن المعتقد الصحيح وجوب تصديقهم في أنهم يبلغون ذلك عن الله . ووجوب الافتداء بهم في سيرهم والالتزام بما أمروا به والكف عما نهوا عنه .

وأن تعتقد أن منهم من أنزل الله عليه كتابا تشتمل على ما أراد الله أن يبلغوه من الخير عنه لأمرهم ، وحدودا وأحكاما أمر بالوقوف عندها . وأن هذه الكتب التي أنزلت عليهم حق .

وأن تؤمن بأنهم مؤيدون من العناية الإلهية بما لا يعمد للعقول ولا للاستطاعة البشرية من العصمة والمعجزة . وأن هذا الأمر الفائق المعروف للبشر هو المعجزة الدالة على صدق النبي في دعواه . فتي ادعى الرسول النبوة واستدل عليها بالمعجزة وجب التصديق برسائله .

والنبي في اللغة العربية وصف من النبأ وهو الخبر المفيد لماله شأن مهم .
وبصح فيه معنى الفاعل والمفعول لأنه منبى عن الله ومنبأ منه . والنبي بالتشديد
أكثر استعمالا ، وأبدلت الهمزة فيه ياء .

وعندنا النبي من أوحى الله إليه وحيا . فإن أمره بتبليغه كان رسولا وإلا
فهو نبي ، فكل رسول نبي وما كل نبي رسول . واعلم أن قوله تعالى : (ما كان
بمحمد أبأ أحد من رجالكم وليكن رسول الله وخاتم النبيين) يدل دلالة
واضحة على انقطاع النبوة والرسالة معا بعد محمد صلى الله عليه وسلم .

ولا يبقى عليك بعد ذلك في باب المعتقد إلا أن تعتقد أن القرآن كلام الله
ألقاه في روع محمد عبده ونبيه ورسوله صلى الله عليه وسلم على لسان جبريل
الرسول الملائكي المختص بالخطاب بين الله تعالى ورسوله . وسنأتيك بتفصيل لذلك
في غير هذا المكان . وكذلك سائر الكتب المنزلة التي أمرنا الله في القرآن بأن
نؤمن بها ، وكذلك سائر رسل الله وأنبيائه الكرام عليهم السلام كما تقدم .
والكتب التي أمرنا بالإيمان بها أربعة . القرآن ، والانجيل ، والتوراة ،
والزبور . والرسل خمسة وعشرون رسولا نظم بعضهم أسماءهم على الترتيب
التصاعدي فقال :

ألا أن إيماننا برسول تحتما
وهم آدم ، إدريس ، نوح على الولا
وهود ، وصالح ، مع إبراهيم أتى
كذا نجله اسماعيل ، اسحق فضلا
ويعقوب ، يوسف ، ثم يتلو شعبيهم
وهارون مع موسى . وداود ذو العلا
سليمان ، أيوب ، وذوالكفل ، يونس
والياس أيضا واليسع ذاك فاعقلا

كذا زكريا ثم يحيى غلامه

وعيسى وطه خانما قد تكملنا

وأولئك الرسل يجب أن تعتقد فيهم الصدق والأمانة والفضيلة والتبليغ للرسالة ، وأن تعتقد بتبرئتهم مما يتنافى مع أخلاقهم التي يجب أن تكون فيهم وطبائعهم الفطرية السليمة المستقيمة ويجوز لهم بعد ذلك ما لا بأس من الأعراض البشرية التي لا تؤدي إلى نقص في مراتبهم العالية . وأولو العزم منهم خمسة تظمهم البعض فقال .

محمد إبراهيم ، موسى كليمه فعيسى فنوح هم أولو العزم فاعلم

وكلهم عليهم الصلاة والسلام على هدى من ربهم ورحمة ، وخيرهم (سيدنا محمد ﷺ) فسيدنا عيسى فسيدنا موسى فسيدنا إدريس عليهم السلام . واعلم أن الله قد اختار محمدا ﷺ وأنسله من أوسط العرب ومن خير قبيلة ومن خير نخذ ومن خير عائلة ومن أشرف أورمة ، فهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب ابن فهر بن مالك بن النضر بين كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر ابن نزار بن معد بن عدنان — رسول الله إلى الناس كافة والجن عامة وخاتم الأنبياء وسيد المرسلين كما قال رب العالمين ، وما أرسلناك إلا كاهن للناس ، وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين .

كل النبيين والرسل الكرام أتوا نيابة عنه في تبليغ دعواه

فهو الرسول إلى كل الخلائق في كل الدهور ونابت عنه أفواه

ولله در البوصيري حيث يقول :

فمبلغ العلم فيه أنه بشر وأنه خير خلق الله كلهم

وأولاده ﷺ هم على الترتيب : القاسم ثم زينب ثم رقية ثم أم كلثوم

ثم فاطمة ثم عبد الله ثم إبراهيم وهؤلاء كلهم من خديجة سوى إبراهيم الذي مات

قبل الفطام وزوجاته عليه السلام أولاهن خديجة بنت خويلد القرشية تزوجها قبل النبوة ولها أربعين سنة ولم يتزوج عليها حتى ماتت، وهي التي وازرته على النبوة وجاهدت معه وواسته بنفسها ومالها وماتت قبل الهجرة بثلاث سنين ثم تزوج سرودة بنت زمعة وهي التي وهبت يومها لعائشة ثم تزوج عائشة الصديقة بنت الصديق وكانت أفعه نسائه وأحبهن إليه وكانت مرجع كثير من الصحابة في الفتوى وهي المبرأة بالوحي ثم تزوج حفصة بنت عمر ثم تزوج زينب بنت خزيمة بن الحارث القيسية من بني هلال بن عامر وتزوج أم سلمة هند بنت أبي أمية القرشية ثم تزوج زينب بنت جحش من بني أسد ثم تزوج أم حبيبة بنت أبي سفيان صخر بن حرب القرشية الأموية ثم صفية بنت حي بن أخطب ثم تزوج ميمونة بنت الحارث الهلالية وهي آخر نسائه عليه السلام.

وكما يجب الايمان بالله تعالى وبصفاته وكتبه ورسله فكذلك يجب الايمان بالملائكة الكرام ، وهم أجسام نورانية لا يوصفون بذكورة ولا بانوثة معصومون لقوله تعالى - لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرن - ولا يعلم عددهم الا الله تعالى لقوله (وما يعلم جنود ربك إلا هو) ورؤساؤهم أربعة جبريل ، وميكائيل . وإسرافيل . وعزرائيل . ومنهم حملة العرش ومنهم « رضوان ، خازن الجنان ، « ومالك ، خازن النيران ، وكذلك يجب الايمان بالبعث لقوله تعالى « وإذا القبور بعثرت ، وقوله تعالى « قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون ، .

والحشر مو جمع الخلائق في صعيد واحد لقوله تعالى : يوم نحشرهم جميعا . وكذلك العرض لقوله تعالى : (وعرضوا على ربك صفا لقد جشتمونا كما خلقناكم أول مرة) . وكذلك الحساب لقوله تعالى : (فأما من أوتى كتابه يمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا) . . والميزان لقوله تعالى (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أثينا بها وكفى بنا حاسبين) وكذلك الصراط لقوله تعالى :

(اهدنا الصراط المستقيم) ويجب الايمان بالجنة وهي دار النعيم التي أعدها الله لعباده المتقين وهم مخلدون فيها وقال تعالى : (لا يسهم فيها نصب وما هم عنها بمخرجين) . والإيمان بالنار وهي دار سخطه التي أعدها الله للكافرين وهم مؤبدون فيها لقوله تعالى : (إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا خالدين فيها أبدا .

هذا وأنت ترى أننا اختصرنا في سرد هذه السمعيات إيجازا لمجمل العقيدة كما أوجبها الدين .

ثم أعلم أن هذه العقيدة نفسها هي عقيدة الأنبياء والرسل في كل زمان وكل مكان من آدم إلى محمد صلى الله عليه وسلم ولم يختلفوا فيما ينسبونه إلى الله من الوحدةانية ولا فيما يفزهون ذاته تعالى عنه من النقص ولذلك جاء بيان ذلك في الكتب المنزلة على كل واحد منهم، وقد جاء كل واحد منهم مصداقاً لمن قبله من الرسل مع تفاوت الأزمان وتغاير الأمم . وأمرنا جميعاً بأن لا نعبدوا إلا الله الواحد الأحد وأن لا يشركوا به شيئاً ولذلك يقول سبحانه وتعالى « وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون » وقوله « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه » وقال « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أنزل إليك أن أقيموا الدين ولا تفرقوا فيه »

ولما أرسل الله رسوله النبي العربي الأمي محمداً بن عبد الله صلى الله عليه وسلم أنزل عليه ضمن ما أنزل قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي أنزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل » والمعنى يريد الله أن يقول للذين آمنوا بالكتب المتقدمة « أن آمنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم أي قولوا لا إله إلا الله » لما تجددون في كتبكم من ذلك التوحيد الذي أقرته وقالت به رسلكم الذين أنزلت عليهم الكتب التي تؤمنون بها ، ولذا قال عليه الصلاة والسلام « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم بحق الإسلام

وحسابهم على الله ، ومن حق الاسلام أن نشهد أن لا إله إلا الله نفيا لكل شرك أو نسبة أو معجزة ، ونشهد أن محمدا رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق وأن شرعه آخر الشرائع الإلهية وأن أمته الأمة الوسطى التي ستكون شهيدة على الناس ، أى المثل الصالح لهم جميعا من جهة الاسلام والايمان والاحسان ، لأن هذه الشريعة - شريعة محمد صلى الله عليه وسلم - هي ملة ابراهيم الذى قال بالتوحيد ونفى الشرك وأسلم لله رب العالمين وأنظر الى ما حكاه القرآن عن يعقوب فى قوله لا بئذئذ دأب كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب إلهنا واحدا ونحمله مسلون . ولهذا السبب نفسه أمر دين الإسلام أتباعه بأن يؤمنوا بسائر الكتب المنزلة وبسائر الرسل ، لأن الدين حقيقة واحدة لا يمكن أن تتغير ، لأنه واحد منذ آدم ونوح إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، وإنما الذى يتغير هو شرائع الرسل . والدين عام والشريعة خاصة بالرسول الذى أنزلت إليه ولذلك يقول الله تعالى فى القرآن مخاطبا الرسل (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) أى سيلا وسنة فملتوا شرعة وللأنجيل شرعة وللقرآن شرعة يحل الله فيها ما يشاء ويحرم ما يشاء ليبلو الناس أيهم أحسن عملا .

ألا ترى أن الله شدد على بنو إسرائيل لما حدث منهم العنت فى شريعة رسولهم ، وأما فى شريعة محمد فقد صرح فى القرآن بقوله : (وما جعل عليكم فى الدين من حرج) فالدين واحد ، والشرائع مختلفة والدين الذى لا يقبل غيره هو التوحيد لله والإخلاص فى العبادة والإيمان بالله - على شرط التوحيد والتنزيه - وبكتبه ورسله وملائكته واليوم الآخر ، وبالقضاء والقدر خيره وشره من الله وتلك شريعة الإسلام آخر الشرائع المنزلة من الله لعباده .

ولما كانت شريعة الإسلام مبنية على التوحيد ، والتوحيد هو الدين القيم أنزل الله تعالى لما أتم أنزال شريعة الإسلام على رسوله الأكرم محمد صلى الله

عليه وسلم (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) ونزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم مؤذنة بانتقاله إلى الرفيق الأعلى ، ولذا خطب بعدها خطبة الوداع التي ألقاها على أصحابه وهي آخر خطبة له صلى الله عليه وسلم ، وكانت سنة إحدى عشر من الهجرة في يوم جمعة خطبها بعرفة وهوراكب على ناقته ، وقد لخص فيها شرعته ومنهاجه الذي شرعه الله له ورسم له نهجه فقال : « الحمد لله نحمده ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهدي الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وعبدته ، أوصيكم بعباد الله بتقوى الله وأحسبكم على طاعة الله وأستفتح بالذي هو خير .

أما بعد : أيها الناس اسمعوا ما أبين لكم فإني لا أدري لعلى لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا . أيها الناس إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم إني أن ألقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ، ألا قد بلغت اللهم أشهد . فمن كان عنده أمانة فليردها إلى الذي أئتمنه عليها . ألا كل شيء من أمر الجاهلية « كالشرك والظلم ، تحت قدمي فهو موضوع ، ودماء الجاهلية موضوعة وأن أول دم أضعه من دمايتها دم ربيعة بن الحارث ، وربا الجاهلية موضوع ، وأول ربا أضعه ربا العباس بن عبد المطلب فانه موضوع كله ، وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير الحجابة والسقاية . والعمد قود وشبه العمد ما قتل بالعصا أو الحجر ففيه مائة بعير فمن زاد فهو من الجاهلية .

أيها الناس إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه ولكم به رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحتقرون من أعمالكم ، أيها الناس إن الذي زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله ، وأن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض منها أربعة حرم ثلاث متواليات وواحد فرد ذو القعدة

وذو الحجة والمحرم ورجب الذي بين جمادى وشعبان ، ألا هل بلغت اللهم أشهد . أيها الناس إن لفنائكم عليكم حقا وإن لكم عليهن حقا : أن لا يوطئن فرشكم غيركم ولا يدخلن أحدا تسكرهونه في بيوتكم ، لا باذنكم ولا يأتين بقفا حشة فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تعظوهن وتمجروهن في المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، وإنما النساء عنكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئا أخذتهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيرا . أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كل لكم لآدم وآدم من تراب إن أكرمكم عند الله أتقاكم ليس لعربي على أعجمي فضل إلا بالتقوى . أيها الناس إن الله قسم لكم لكل وارث نصيبه من الميراث ، ولا يجوز لوارث وصية أكثر من الثلث والولد للفراش ، وللعاهر الحجر ومن دعى لغير أبيه أو تولى لغير مواليه فعليته لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا . وقد تركت فيكم ما لم تضلوا بعدي إن اعتصمتم به : كتاب الله ، وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون ؟ قالوا : نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت ، فقال : (باصبغة المسبابة يرفعها إلى السماء ثم ينكسها إلى الناس اللهم أشهد اللهم أشهد اللهم أشهد) ، جزاه الله عن أمته أفضل ما جازى به نبياً عن أمته فقد بلغ وأدى ونصح ، وكان مجيؤه رحمة للناس وصدق الله العظيم ، (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) .

أصول الفقه

هي أدلتها الإجمالية كطلاق الأمر والنهي ومعرفتها . والأصول هو العارف بها وبطرق استنباطها ، والفقه هو العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية .

والحكم هو خطاب الله المتعلق بفعل المكلف من حيث أنه مكلف ومن

ثم لا حكم إلا لله . والحسن والقبح للشيء بمعنى ملائمة الطبع له أو منافرة .
وبمعنى صفة السكال والنقص وهو أمر عقلي اتفاقا . ويترتب عليه المدح والذم
عاجلا والثواب والعقاب آجلا ، ويمتنع تكليف الغافل وهو من لا يدري
كالنائم والساهي . وكذا المرغم ، وهو من يدري ولكن لا مندوحة له عما
أرغم عليه ، والمكره وهو من لا خلاص له عما أكره عليه إلا بالصبر .

أنواع الحكم

الحكم إذا اقتضى الخطاب فيه الفعل من المكلف اقتضاء جازما فهو
(واجب) أو غير جازم بأن جرز تركه (فندوب) أو اقتضى الترك اقتضاء
جازما (فحرام) ، أو غير جازم في النهي (فمكروه) لا يعاقب على فعله
وإن كان الخطاب بخيرا بين فعل الشيء وتركه فهو (مباح) .

ويقول أبو حنيفة . ما ثبت بدليل قطعي فهو الفرض وما ثبت بدليل
ظني فهو الواجب وكذا المندوب والمستحب والنطوع والسنة والنفل فكلهم
مترادفات بمعنى واحد .

الشرع

الشرع هو جملة الأحكام التي وضعها الله تعالى الباعثة لذوى العقول إلى
الخير الذاتي وهو السعادة الأبدية .

وأمر الدين أربعة كما تقدم صحة العقد ووفاء العهد وصدق القصد
واجتناب الحسد . فصحة العقد الجزم بعقائد أهل السنة ، ووفاء العهد امتثال
الأوامر . وصدق القصد أداء العبادة بالنية والإخلاص . واجتناب الحسد
اجتناب التواهي . وقد تقدم شرحها ، وقد سمي النبي صلى الله عليه وسلم
الإسلام والإيمان والإحسان مجتمعين دينا . أما الإسلام لغة فهو مطلق
الانقياد وهو من عمل الجوارح ، وأما شرعا فهو الانقياد لما جاء به النبي صلى

الله عليه وسلم مما علم من الدين بالضرورة . وقد سئل النبي عليه الصلاة والسلام عن الإسلام فقال في بيان حقيقته وإيضاح مفهومه هو (أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً) والأحاديث بهذا المعنى متواترة فمن جاء بهذه الأركان الخمسة وقام بها حق القيام فهو المسلم على رغم أنف من أبي ذلك كائناً من كان . وأما الإيمان لغة فهو مطلق التصديق وهو من عمل القلب ، وأما شرعاً فهو تصديق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في كل ما جاء به من عند الله من الدين مع الإذعان القلبي إجمالاً أو عن تقليد وهو الأخذ بقول الغير من غير معرفة دليله .

وقد اختلف المتكلمون في إيمان المقلد صحة وعدما ، فقال جماعة منهم إن إيمان المقلد موقوف . والحق أن إيمان المقلد صحيح إن كان جازماً بما قلده فيه جزماً قوياً إلا أنه عاص بترك النظر إن كان عنده أهلية للنظر .

وللاكتفاء بالدليل الإجمالي قال الإمام أبو منصور المازندراني (العوام مؤمنون عارفون بربهم وحاصل لهم من النظر العقلي القدر الكافي إن فطرتهم جبلت على توحيد الصانع وقدمه وحدث ما سواه وإن عجزوا عن التعبير عنه باصطلاح المتكلمين ، ولكن رأيه لا ينفي وجوب النظر في آيات الله والتأمل في خلقه للاستزادة من وضوح الدليل على وجوده للقادرين على ذلك .

وأصول الدين أربعة : وهي الكتاب والسنة والأجماع والقياس .

أما الكتاب فهو القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وهو اللفظ المنزل بمعناه على قلب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم المعجز بأى سورة منه ، ويتعبد بتلاوته مع التدبر لقوله تعالى (كتاب أنزلناه إليك ليدير وآياته وليتذكر أولوا الألباب) وقوله أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) ولقوله صلى الله عليه وسلم (من قرأ القرآن في أقل من ثلاث لا يفقهمه) رواه الترمذي وأجمالاً فعماد الأمر التدبر والتفهم وهذا الذي عليه المحققون وهو الذي يدل عليه القرآن وصحيح الآثار . ويرد في

فضل القرآن عن النبي صلى الله عليه وسلم ما نصه (أنها ستكون فنن كقطع الليل المظلم . قيل فما النجاة يا رسول الله . قال كتاب الله تبارك وتعالى فيه نبأ من قبلكم وخبر من بعدكم وحكم ما بينكم وهو فصل ليس بالهزل من تركه تَجِرْأَ قَصَمَهُ الله ومن اتبعني الهدى في غيره أصله الله وهو حبل الله المتين ونوره المبين والذكر الحكيم والصراط المستقيم . هو الذي لا تنزع به الأهواء ولا تنتشعب معه الآراء ولا يشبع منه العلماء . ولا يملأه إلا تقيا . من علم عنه سبق ، ومن عمل به أجز ، ومن حكم به عدل ؛ ومن اعتصم به فقد هدى إلى صراط مستقيم .)

وأما السنة فهي أقواله صلى الله عليه وسلم وأفعاله ومنها تقريره . ومعناه أنه عليه الصلاة والسلام لا يقر أحداً على باطل ؛ فسكوته على شيء رآه أو سمعه دليل جوازه ويكون قد أقره .

وأما الإجماع فهو اتفاق مجتهدي الأمة بعد وفاة نبيها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وامكان الإجماع صحيح عند الجمهور الأصلي لقوله تعالى (ومن يشاقق الرسول بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً) والشاهد في قوله (ويتبع غير سبيل المؤمنين) وأما القياس فهو قياس حكم لم يذكر على حكم مذكور استنباطاً لجامع بينهما وهو الاشتراك في العلة ، وذلك في كل مسألة لا نص فيها عن الشارع كقياس تحريم الخشيش على تحريم الخمر والسبب الجامع بينهما اشتراك في العلة وهي الإسكار أو غيبة الوعي . والصحيح أن القياس حجة لقوله تعالى (فاعتبروا يا أولى الأبصار) والاعتبار قياس الشيء بالشيء ورده إلى نظيره ويكفي في ذلك قول معاذ بن جبل رضي الله عنه حين أرسله النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمن وسأله بما تحكم قال بكتاب الله ، قال فإن لم تجد ، قال بسنة رسول الله ، قال فإن لم تجد ، قال أجتهد برأى ، قال النبي ﷺ حينئذ (الحمد لله الذي وفقر رسول رسول الله) . والنتيجة في تحصيل الأحكام الشرعية أن لا يؤخذ واحد منها إلا من كتاب الله أو سنة رسوله قولاً وفعلًا وتقريراً أو إجماع

المؤمنين المجتهدين أو القياس الصحيح فلا يجوز لأحد من الناس كافة أن يقول في شيء هذا فرض أو واجب أو سنة أو مندوب أو مباح أو حرام أو مكروه إلا بدليل من الأدلة الأربعة المذكورة (الكتاب والسنة والإجماع والقياس فكل) حكم من تلك الأحكام إن كان مأخوذاً من أحد الأدلة الأربعة المشار إليها فهو حكم الله وشرعه، وكل ما لم يكن مأخوذاً من واحد منها علماً كان أو عملاً فهو بدعة وضلالة .

روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي عنها قالت قال رسول الله ﷺ « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد » أي من ابتدع واخترع شيئاً في الدين لم يكن في زمنه صلى الله عليه وسلم فهو مردود . وبالجملة فقد دل الكتاب والسنة والإجماع على أن الخير كله في الإتيان بما أن الشر في الابتداع قال تعالى (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم) وقال سبحانه (وما أناكم الرسول فتخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وقال جل من قتل (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) والاسوة في الرسول هي الاقتداء به ومتابعته في سنته وترك مخالفته في قوله أو فعله صلى الله عليه وسلم .

الحديث

واعلم أن الحديث الشريف يلى القرآن الكريم فى الرتبة السامية والاحتجاج به ، وكان الصحابة الكرام رضى الله عنهم يحفظون الحديث ، وإنما كانوا لا يكتبونه لأمرين ، أحدهما أنهم كانوا فى بداية الحال قد نهوا عن ذلك كما ثبت فى صحيح مسلم خشية أن يختلط بعض ذلك بالقرآن الكريم ، وثانيهما لسعة حفظهم ، ولأن أكثرهم كانوا لا يعرفون الكتابة . وكان أحفظهم وأكثرهم حديثاً أبو هريرة ، ثم ابن عباس وأنس بن مالك وعائشة وأبو سعيد الخدرى وأبو الدرداء وابن مسعود وغيرهم رضوان الله عليهم أجمعين . وقد رواه عنهم التابعون وأحفظهم سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وابن شهاب الزهري وخارجة بن زيد وأبو سلمة وسعيد بن جبير وقتادة وغيرهم وروى عن التابعين تابعوهم رحمهم الله جميعاً ...

وأول من وضعه ودون كتبه ابن شهاب الزهري فى خلافة سيدنا عمر ابن عبد العزيز بأمره بعد موت رسول الله ﷺ بمائة عام . ثم صنف الإمام مالك ابن أنس المولود سنة ٩٣ والمتوفى سنة ١٧٩ هـ الموطأ بإشارة أبى جعفر المنصور الخليفة العباسى ، وكانت الأحاديث تدون مختلطة بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين وغيرهم ؛ إلى أن جاء الإمام محمد بن إسماعيل البخارى المولود فى سنة ١٩٤ والمتوفى سنة ٢٥٦ فجمع كتابه الشهير فى الأحاديث الصحيحة خاصة وهو مشتمل كما فى تقريب النوى على سبعة آلاف ومائتين وخمسة وسبعين حديثاً بالمكررة ، وإذا حذف المكرر منه بقى فيه أربعة آلاف حديث . ثم تلا البخارى تلميذه الإمام مسلم بن الحجاج النيسابورى المولود سنة ٢٠٤ والمتوفى سنة ٢٦١ ، فصنف جامعاً آخر فى الأحاديث الصحيحة ، وفيه كما فى التقريب أربعة آلاف حديث باسقاط

المكرر ، وقد اختص مسلم بجمع طرق الحديث في مكان واحد بأسانيد مختلفة والفاظه المختلفة فسهل تناوله بخلاف البخارى فانه قطعها في الأبواب بسبب استنباطه الاحكام منها . وموطأ مالك وصحيح البخارى وصحيح مسلم هي أصح الكتب المصنفة ويلها في الصحة الكتب الأربعة ، وهي (جامع أبى عيسى الترمذى المتوفى سنة ١١٩ ، وسنن أبى داود السجستانى المتوفى سنة ٢٧٥ ، وسنن أبى عبد الرحمن النسائى المتوفى سنة ٣٥٣ ، وسنن ابن ماجه القزوينى المتوفى سنة ٢٧٣) .

وفي هذه الكتب الأربعة كثير من الأحاديث الحسان والضعاف ، وقد قسم علم مصطلح الحديث إلى ثلاثة أقسام : صحيح وحسن وضعيف ، ولهم تقاسيم أخرى وكلها راجعه إلى هذه الثلاثة :

(١) الصحيح : ما اتصل سنده إلى منتهاه بالعدول الضابطين المشهورين .

(٢) والحسن : ما عرف مخرجه ولم تشتهر رجاله بالعدالة والضبط اشتهار رجال الصحيح ، وإن شئت قلت الصحيح ما احتوى على الاتصال والعدالة والضبط التام . والحسن ما احتوى على الاتصال والعدالة والضبط الغير تام . والاتصال عدم سقوط أحد من الرجال ، وعدالة الراوى تكون بالإسلام والبلوغ والعقل والسلامة مما يخل بالمروءة ومن الفسق وهو ارتكاب كبيرة أو إصرار على صغيرة ، والضبط التام حفظاً وكتابة . ثم إن الحسن كالصحيح في الاحتجاج به وإن كان دونه في القوة قال العلماء ، وإذا قيل هذا الحديث صحيح فعليه عند المحدثين ما اتصل سنده مع الأوصاف المذكورة لا إنه مقطوع به في نفس الأمر والواقع . وقد قسموا الصحيح إلى عدة أقسام وأصحه ما اتفق عليه الشيخان البخارى ومسلم .

(٣) وأما القسم الثالث وهو الضعيف فهو ما لم يجمع صفق الصحة أو الحسن ، وهو ما يكون بعض رواته مردودا بسبب عدم العدالة أو الرواية عن لم يره أو سوء الحفظ أو اتهام في العقيدة أو عدم المعرفة بحال من يحدث

عنه أو غير ذلك ، وقد نص جل العلماء من المحدثين والفقهاء على جواز العمل
بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال والترغيب والترهيب . وأما الأحكام
كالحلل والحرام والبيع والسيكاح والطلاق ، وغير ذلك فلا يعمل فيها إلا
بالحديث الصحيح أو الحسن . ثم أن الحديث الصحيح ينقسم إلى ثلاثة أقسام
متواترة ومشهورة وخبر الواحد . فالمتواتر ما نقله جماعة عن جماعة لا يجوز
العقل تواطؤهم على الكذب . والمشهور ما كان في عصر الصحابة كاختيار
الآحاد ثم اشتهر في عصر التابعين وتلقته الأمة بالقبول .

وخبر الواحد ما نقله واحد عن واحد أو واحد عن جماعة أو جماعة عن
واحد . والمتواتر منها ما يوجب العلم القطعي . والمشهور يوجب علم الظمائية
وخبر الواحد لا يوجب العلم القطعي ولا يفيد العلم بالظمائية وهو يعتبر
في الأحكام الشرعية الفرعية لا في إثبات العقائد وأصول الدين ، وإذا خالف
الدليل القطعي أمراً عقلياً كان أو نقلياً . وول إن أمكن التأويل . هذا ما قاله
الجماهير من العلماء .

الفقه

أما فائدة علم الفقه فهو عصمة المكلف من الخطأ في فعله الشرعي ، وغايته الفوز بسعادة الدنيا والآخرة لحديث (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين) كما في صحيح البخاري . ونسبة الفقه إلى غيره من العلوم أنه من علوم الشريعة وهي خمسة : التوحيد والتفسير والحديث والفقه والأصول ، ولمحق بها النحو والصرف واللغة والمعاني والبيان ، وزاد بعضهم المنطق . والخمسة الأولى مقاصد وما ألحق بها وسائل . ومسائله إما قولية وإما عملية ، فالقولية هي النطق بالشهادتين ، وغير القولية قسمان : ترك ، وفعل . فالترك هو الصوم لأنه ترك تعاطي المفطرات . والفعل ثلاثة أقسام بدني ومالي ومركب منهما . فالبدني (أي ما يختص بأفعال البدن) كالصلاة ، والمالي (أي المخصص بالمال) كالزكاة ، والمركب منهما هو الحج . والأحكام العملية إن تعلقت بأمر الدنيا تنقسم إلى مناهج ومعاملات وعقوبات إذ الحكمة من بعثته عليه الصلاة والسلام انتظام أمر المعاش والمعاد . وانتظامهما يكون بالشرع المحض لسلك المكلفين لا أجل بقاء العدل والنظام بينهم في المجتمع . وذلك يحتاج إلى قوانين مؤبدة بنور الشرع . وذلك كالزواج في قسم المناكحات المبينة على أساس شرعي ، ومثل ما يتم به التعاون والتشارك ، وهي قسم المعاملات ، ولاستقرار أمر المجتمع على هذا المنوال لزم ترتيب أحكام الجزاء وهي قسم العقوبات وينظمها جميعا الفقه والعلم به فرض .

وحكم الشرع في الفقه أن تحصل ما يحتاج الإنسان إليه لأمور دينه فرض عين ، وما زاد عليه لنفع غيره وإرشاده فرض كفاية ، والتبحر فيه مندوب . وإذا قام به البعض سقط عن الآخرين . قال الله تعالى (فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون) . قال المفسرون - لولا - تخصيصية مثل ملا وحرف التحضير إذا دخل على الماضي فيفسد التوبيخ على ترك الفعل ، والتوبيخ إنما يكون على ترك الواجب ، فيعلم منه أن الفعل واجب . وفي الآية دليل على أن التفقه والتعليم وإرشاد العامة من فروض الكفاية .

العلم

عما رواه جابر بن زيد عن بن عباس عن النبي ﷺ أنه قال (طلب العلم عند الله أفضل من الصلاة والصيام والحج والعمرة والجهاد في سبيل الله) (لأنها كلها تؤسس على العلم) والمراد بالعلم هنا العلم بالله ثم بطاعة الله ثم بالحق في التعامل بينك وبين الناس، ثم العلم بالحرمان والحلال، فأنفع من هذه الأعمال كلها بغير علم مجلس علم يؤسسها . أما علمت أن الله يطاع بالعلم ؟ فخير الدنيا والآخرة مع العلم وشر الدنيا والآخرة مع الجهل .

وعنه ﷺ قال (العلم بالتعلم والخير عادة والشر لجاجة ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ويلهمهم رشده اليقين) وعنه ﷺ أنه قال (العلماء ورثة الأنبياء) ومعلوم أن لا رتبة فوق النبوة ولا شرف فوق شرف الوراثه لنملك الرتبة وهي العلم بالدين . وعنه عليه الصلاة والسلام من طريق جابر بن زيد أنه قال (يوم واحد من العالم الذي يعلم الناس العلم أفضل عند الله من عبادة العابد مائة سنة وأن العالم الذي يعلم الناس العلم يستغفر له أربعة أشياء الملائكة في السماء والطير في الهواء والحوام في البر والحيتان في البحر) وعن كميل بن زياد قال أخذ بيدي علي بن أبي طالب رضي الله عنه فأخرجني إلى ناحية الجبانة فلما أشرف عليها تنفس الصعداء ثم قال يا كميل أن هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها للعلم ، يا كميل احفظ عني ما أقول لك : الناس ثلاثة عالم رباني . ومتعلم على سبيل النجاة . وهمج رعاع أتباع كل ناعق لم يستضيئوا بنور العلم ولم يباجأوا إلى ركن وثيق من خير وحق ؛ ثم قال مشيرا بيده إلى قلبه أن هاهنا لعلماء جمالو أصبت له حملة بلي قد أصبت لقنا غير مأمون يستعمل آلة الدين في طلب الدنيا ويستظهر بحجج الله وبكتابه ونعمه على معاصيه ، أو منقادا لأهل الحق ولا بصيرة له في نفسه وينقذ الشك في قلبه لأول عارض من شبهة فهو لا يدري أين الحق ، أن قال أخطأ وإن أخطأ لم يدرب به ، فهو فتنة لمن انتن به وأن من أبصر خاق الله إليه عبدا وكله الله إلى نفسه لا إلى هذا ولا إلى ذاك منهم وما بالدة ساس الهياك

إلى السموات أو مغرما بجمع الأموال والادخار، منقادا لهواء أقرب شبهها به
الانعام السائمة ، كذلك يموت العلم بموت حامله . ثم قال : بلى لا تخلو الأرض
من قائم لله عز وجل بحجة اما ظاهرا مشهورا واما خفيا مغمورا لئلا تبطل
حجج الله وميثاقه . بهم ترزقون وبهم تمطرون هم الافلون عددا الاعظمون قدرا
بهم يحفظ الله حججه حتى يؤديها إلى قلوب أشباههم . ويا كميل العلم خير من
المال ، العلم بحرسك وأنت تحرس المال ، المال تنقصه البفقه ، والعلم يزكو
بالانفاق . يا كميل صحبة العالم دين يدين الله به عبادته يكسبهم به الطاعة في حياتهم
وجمال الاحدثة بعد مماتهم . ومنفعة المال تزول بزواله ، والعلم حاكم والمال محكوم
عليه . يا كميل مات خزان المال وهم أحياء ، والعلم باقون ما بقى الدهر ، أعيانهم
مفقردة وأمثالهم في القلوب موجودة ، هجم بهم العلم على حقيقة الإيمان فباشروا
روح اليقين واستلانوا ما استوعره منه المترفون وأنسوا بما استوحش منه
الجاهلون ، صحبوا الدنيا بأبدان ارواحها معلقة بالمحل الأعلى . يا كميل أولئك
خلفاء الله في أرضه والدعاة إلى دينه طوبى لهم وشوقا إليهم .

الناس موتى وأهل العلم أحياء الناس مرضى وهم فيهم أطباء
الناس أرض وأهل العلم فوقهم سنا ونورا فما في النور ظلمات
قل للذي يدعى في العلم معرفة علمت شيئا وغابت عنك أشباه
وقدر كل أمرىء ما كان يحسنه والجاهلون لأهل العلم أعداء

وعنه عليه السلام قال (أحسن الناس عقلا أطوعهم لله أمرا وأخذهم
بدين الله علما) ويقول الله تعالى (أفلم يسيرا في الأرض فتكون لهم قلوب
يعقلون بها) فدللت هذه الآية على أمرين أحدهما أن العقل علم وثانيهما أن
العلم لا يكون علما حتى يباشر القلب . ولذلك قال بعض الحكماء الحاجة إلى العقل
أكثر من الحاجة إلى المال ولن ينموا العقل الا بمدد مستمر من علم . وقال
أنوشروان لوزيره برزجمهر : أى شىء للمرىء خبر ؟ قال : عقل يعيش به .
قال : فإن لم يكن ؟ قال : فاخوان يسترون عليه قال : فإن لم يكن ؟ قال : قال

يتعجب به إلى الناس . قال : فإن لم يكن ؟ فعيش في حق . قال فإن لم يكن ؟ قال
فموت عاجل .

وكان الشعي يتحدث أنه كان بين بني إسرائيل عابد جاهل قد تهرب
في صومعته وكان له حمار يرعى حولها، وخرج من الصومعة مرة فرآه يرعى فرفع
يديه إلى السماء وقال يارب لو كان لك حمار كنت أجعله يرعى مع حمارى . فعجب
نبي من أهل الزمان وسأل ربه في ذلك فأوحى إليه الله تعالى : دعه فاما سأل
ما أمكنه وأنا انيب كل انسان على قدر عقله .

وانشد على بن أبى طالب كرم الله وجهه في معنى العقل والعلم مجتمعين مع
الخلق وهى عشر خلال قال فيها .

أن المسكارم أخلاق مطهرة فالعقل أولها والدين ثانيها
والعلم ثالثها والحلم رابعها والجود خامسها والصدق سادسها
والبر سابعها والصبر ثامنها والشكر تاسعها واللين عاشمها
والنفس تعلم أنى لا أصدقها ولست أرشد إلا حين أعصمها
والعين تعلم من عيني محدثها أن كان من حزبها أو من أعادها
وأعظم من ذلك كلمة قول الله تعالى ورفعة شأن العلم والعلماء : (شهد الله أنه
لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط) فبدأ بنفسه وثنى بالملائكة
وثلث بأولى العلم من عباده فعظفهم على نفسه في الترتيب برا وتشريفا وتعظيما .
فناهيك بهذا شرفا وفضلا واجلالا . وقوله تعالى (شهد الله . . . الآية)
والشهادة لا تكون إلا بالعلم دون الجهل أو الشك أو الظن وقوله تعالى
(إلا من شهد بالحق وهم يعلمون) وقال تعالى (يرفع الله الذين آمنوا منكم
والذين أتوا العلم درجات) فقال أهل العلم : فخرى الخطاب هو رفع الله
الذين آمنوا منكم درجة والذين أتوا العلم درجات ولذا قال سبحانه وتعالى
لنبيه ﷺ (وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما)

طالب العلم

ويبغى أن يكون غرض المتعلم زيادة الوعي وطلب الاستقامة لا الترفع على الخلق بالتصدر والرياسة والرغبة في المال واحراز الشهرة والوجاهة عند الناس ، بل يطلب رضى الله بذلك والدار الآخرة ، وإزالة الجهل عن نفسه وعن سائر الجاهل واحياء الدين ورفع شأن الإسلام ، لأن رفع شأن الإسلام غرض الخلق وقد صرح به في قوله تعالى (ليظهره على الدين كله) لأنه دين الانسانية العامة فضلا عن أنه لا نصح أى عبادة ولا تقبل مع الجهل . وخشية الله الله انما تنبع من العلم لقوله تعالى (إنما يخشى الله من عباده العلماء) والعلم الصحيح لا بد أن يهدى صاحبه إلى الحق والخير ولوبعد حين . وقد قال الغزالي رضى الله عنه : طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا الله . وقال الشاعر الحكيم

مع العلم فاسلك حيث ماسلك العلم ولا تسكشف به إلا من له فهم
ففيه جلاء للقلوب من العمى وعون على الدين الذى أمره حتم
وانى رأيت الجهل يزرى بأهله وذو العلم فى الأقوام يرفعه العلم
غالب رواة العلم واحب خيارهم فصحبهم زين وخلصتهم غم
ولا تعدو عينك عنهم فانهم نجوم إذا ما غاب نجم بدانجم
فوالله لولا العلم ما اتضح الهدى وللاح من غيب الأمور لنارسم

على أنه ينبغي لطالب العلم أن ينوى به الشكر على نعمة العقل وصحة البدن وسلامة الحواس عملا بقوله تعالى : والله أخر جكم من بطون امماتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون .
وبما ينبغي لطالب العلم أن لا يختار نوعا لعلم بنفسه ولا كتابا بعينه بل يفوض أمره إلى استاذه فانه قد حصل له التجارب فى ذلك وعرف ما يناسب المبتدىء وما يليق بطباع تلامذته ، ويجب أن يبدأ بفرض العين وهو على ما يجب من اعتقاد وفعل وترك . وقال العلماء : العلم الذى هو فرض لازم ثلاثة أنواع .

الأول : علم التوحيد . فالذى يتعين عليك منه مقدار ما تعرف به أصول الدين فيجب عليك قبل كل شيء أن تعرف به ما يجب في حق المعبود وما يستحيل وما يجوز ثم تعبد به ، وكيف تعبد من لا تعرفه بأسمائه الحسنى وصفاته العليا معرفة صحيحة ؟ فرما تعتقد شيئا في صفاته المقدسة يخالف الحق فتسكون عبادتك هباء منثورا

الثانى : علم الشريعة وهو ما يجب عليك فعله من الواجبات الشرعية فيجب عليك علمه لتؤدبه على وجهه الشرعى الصحيح كما أمرت به ، وكذا علم ما يلزمه من المناهى الشرعية لتتركه .

الثالث : علم السر وهو ما يتعنى بالقلب من التوكل والانابة والخشوع والخشية والرضا والإخلاص واجتناب الحرص والطمع والغضب والحقد والكبر والحسد والعجب والرياء الخ .

العبادات

العبادة هى أنهى غايات الخشوع والتضرع وابتغاء الزلفة عند الله ، ولكن لا بد أن يكون ذلك بانبعث ذاتى يصدر من القلب وتخضع به الجوارح مراقبة لجنان المعبود ، ولانكامل العبادة إلا بهذا الانبعث وذاك التأثير وبعلم يسبقها وذلك على حسب الأشخاص وقوة إيمانهم وضعفه وشدة

فكلما كل إيمان العابد واشتدت مراقبته فى حضرة معبوده خشعت النفس وخشعت الجوارح أثناء تلبسها بالعبادة وقيامها بين يدى المعبود بحق تناجيه وتظهر له مقتضيات عبوديتها وهذه حالة الكمل من عباد الله تعالى الذين أشار إليهم الله تعالى بقوله (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس من الهوى فان الجنة هى المأوى) .

الطهارة

اعلم أن الله تعالى قد حدد حدوداً عقلية وشرعية أى معللة وغير معللة ، والطهارة مطلوبة شرعاً وعقلاً وهى من الفطرة الالهية خمسة فى الرأس وهى قص الشارب والمضمضة والاستنشاق والسواك وفرق الرأس ، وخمسة فى الجسد وهى تقليم الأظافر وحق العانة والحتان وتنف الاط وغسل أثر الغائط وقال صلى الله عليه وسلم (أن من الفطرة المضمضة والاستنشاق والسواك وقص الشارب وتقليم الأظافر وتنف الإبط والاستحذاء) حاق العانة) وغسل البراجم (ما تحت الأظافر) ونضح الماء والاختان .

اتفق الأئمة الأربعة على وجود الطهارة بالماء للصلاة مع التمكن من استعماله فيها حساً وشرعاً وأجمعوا على وجوب التيمم عند فقد الماء وعلى أن المخاط كماء الورد لا يظهر من الحدث والمتغير بطول المكث لا يظهر وعلى أن السواك مأمور به .

النجاسة

أجمع الأئمة على نجاسة الخمر إلا ما حكى عن داود الظاهرى فإنه قال بطهارتها مع تحریمها واتفقوا على أن الخمر إذا تخلل بنفسه طهر وعلى أن الميتة من الجراد والسماك طاهرة .

أسباب الحدث

أجمعوا على نقض الوضوء بالخارج من السيلين وهو البول والغائط واتفقوا على أن من مس ذكره أو دبره بعض من أعضائه غير يده لا ينقض الوضوء وعلى أن نوم المضطجع والمتسكى بشرط التمكن لا ينقض الوضوء وعلى أن الفقهة فى الصلاة تبطلها دون الوضوء خلافاً لأبى حنيفة . وعلى أن التيقن فى الطهارة أو الشك فى الحدث فهو باق على طهارته إلا ما حكى عن بعض أصحاب مالك وعلى أنه لا يجوز للحدث مس المصحف إلا ما حكى عن داود الظاهرى وغيره من الجواز .

ولا يجوز الشروع في الصلاة إلا بعد إزالة نجاسة البدن وفضائته والطهارة من الحدث الأصغر بالوضوء ومن الحدث الأكبر بالغسل ويستحب لمن أراد الغرط أن يجلس القرفصاء مائلاً إلى جهة يساره ليسهل عليه إخراج القذى ، والسرف فيه عقلاً أن باب الأمعاء من تلك الجهة ، ومن أراد التبول أن يستبرئ فيه والسرف فيه عقلاً أن لا يبقى في القصة شيء فيتنجس ثوبه وأما كيفية إزالة النجاسة من البول والغائط فبالاستنجاء بالماء والاستجمار بالاحجار باليد اليسرى . والسرف فيه عقلاً أن لكل يد وظيفة فاليمين للاكل والمصافحة والتخيم والشمال للاستجمار والاستنجاء والاستبراء قال صلى الله عليه وسلم

الوضوء

اتفق الأئمة على أنه لو نوى الوضوء بقلبه من غير تلفظ أجزأه ولا يجزئه أن عكس وعلى أن غسل اليدين قبل الطهارة مستحب غير واجب إلا ما حكى عن أحمد بن حنبل . وعلى أن تحليل المحية السكينة في الوضوء سنة وعلى أن المرفقين يدخلان في اليدين في الوضوء . وأجمعوا على أنه لا يجوز مسح الأذنين عوضاً عن مسح الرأس وعلى أن من توضأ فله أن يصلي بوضوئه ماشاء ما لم يذيقض .

الغسل

أثبت الأئمة الأربعه على وجوب الغسل من التيمم الختانين وأن لم يحصل انزال مع قول داود وجماعة من الصحابة بأن الغسل لا يجب إلا بانزال وانفقوا على وجوب تعميم البدن بالغسل .

التيمم

أجمع الأئمة الأربعه على التيمم بالصعيد الطيب عند عدم الماء أو الخوف من استعماله جائز وعلى وجوب التيمم للجنب كالحدث وعلى أن المسافر إذا كان معه ماء وخشى العطش فله أن يحبس به ليشربه ويتيمم وعلى أن المحدث إذا تيمم ثم وجد الماء قبل الدخول في الصلاة بطل تيممه والزوم استعمال الماء وعلى أنه إذا رأى ماء بعد فراغه من الصلاة التي صلاها بالتيمم لا يجب أعادتها وأن كان الرقت باقيا وعلى أن التيمم لا يرفع الحدث وإنما يبيح الصلاة خلافاً لداود . وعلى أن من خاف لتلف من استعمال الماء جاز له تركه وأن يتيمم .

(اليمن أكرم بها وجهي والشمال لما تحت أزرى) والأفضل في الاستنجاء الجمع بين الأحجار والماء لان الانصار رضى الله عنهم كانوا إذا أحدثوا تابعوا الحجرة والماء فأثنى الله تعالى عليهم بقوله (فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين) ويستحب للمستنجي أن يغسل يديه قبل مباشرة المحل لتسد مسامها بالرطوبة فلا يعاق بها راحه ، كما يتجنب الاستجمار بالعظم والروث وكانت العرب تقول لمن استنجى استطاب جسده من الخبث ومن الامور الممينة على الظفاه وازالة النجاسة نص الشعر في الانف وتنف الاط وتقليم الاظافر وحلق العانة للرجال والنساء وما على جانبي القبل والدبر من الشعر ، فأما السر في قص شعر الانف عقلا المظافه لان تجمع المخاط على شعر الانف يمنع من التنفس السليم .

والسر العقلي في نف شعر الابطال المظافه من الرائحة الكريهة التي تتكون من العرق ، والسر في تنمعه دون حلقه أن الحلق يقويه والتنف يضعفه والسر في تقليم الاظافر هو أن وظيفه الاظفار المحاذية على أطراف الانامل

مسح الخف

أجمع الأئمة الأربعة على أن المسح على الخفين في السفر والحضر جائز الخف وعلى أن مسح الخف مرة واحدة وقالوا في مدة المسح المقيم يوم وليلة والمسافر مع قول مالك رضى الله عنه لا توقفت في مدة المسافر ولا المقيم بل بمسح متى بدله مقدار ثلاثة أيام بلياليها ما لم ينزعه أو تصيبه جنابة .

الحيض

أجمع الأئمة الأربعة على أن فرض الصلاة ساقط عن الحائض مدة حيضها وعلى أنه لا يحرم عليها الطواف بالبيت واللبث بالمسجد . وعلى أنه يحرم وطؤها حتى ينقضى حيضها . وعلى أن وطأ الحائض في الفرج عدا حرام . وعلى أنه إذا انقطع دمها لاقل الحيض لم يحز وطؤها حتى تغتسل . وعلى أنه يحرم بالنفاس ما يحرم بالحيض وقد جوز الإمام أبو حنيفة رحمه الله وطأ الحائض والنفاس إذا انقطع دمها وغسلت فرجها فقط .

تجأزها عنها يمنع النظافة فيجتمع الوسخ والأجسام العريية المؤذية تحتها
وتفليم الأظافر كان في شريعة إبراهيم وموسى عليهما السلام كل واحد والعشرين
من سفر النثية . . والسر العقلي في حاق عانة الرجل بالموسى أو النورة ،
النظافة والتقوية على الجماع ، والسر العقلي في حاق عانة المرأة بالموسى
النظافة ومنع ما يحدث بسببه من الرائحة الكريهة .

والسر العقلي في إزالة ما يلي جانب الدبر من الشعر للنظافة لأن الشعر
يمنع من إزالة الفذر عند المحل فيتولد منه الضرر ، والحكمة العقلية في الختان
وهو قطع الكلفة وهي الجلدة التي تغطى الحشفة النظافة والقوة .

وكانت العرب تقول ختان الغلام يزيد في قوة العضو المختون والختان
يخشن الحشفة ويؤخر مجيء الشهوة ويمنع تكون المادة التي تحدث بين الحشفة
والقفلة كالجن فتحصل منهارات كريهة . وقد كان حاق عانة والختان في شريعة
إبراهيم عليه السلام . وأعلم بأن عيسى عليه السلام لم يتعرض لذكر الختان
في إنجيله وذهب الأئمة إلى أنه سنة مؤكدة وذهب الشافعي رضي الله عنه إلى
وجوبه على الرجال والنساء والحكمة العقلية في خنفاض المرأة أى ختانها
وهو قطع القطعة الشبيهة بالغلاف بين شفرى الفرج عن أعلاه أضعاف شهورها .
وقال عليه الصلاة والسلام : الختان سنة للرجال مكرمه للنساء ، وأما الطهارة
من الحدث الأكبر أى الجنابة والحيض والنفاس فبإفادته الماء على كافة البدن
واستيعاب ما لا يصل إليه الماء كالاذن والسرة ونحوها والموجب له أما التقاء
الختانين أو نزول الماء أو المنى المتدفق نوما أو يقظة بواسطة أو بدونها سواء
أحس به عند الانزال أم لا ومن وجد المنى ولم يذكر الاحتلام وجب عليه
الاعتسال (والحكمة العقلية في الاعتسال وتعميم البدن بالماء لانتعاش البدن من
ضعفه وفتوره بعد خروج المنى فيحصل النشاط واجتماع الحرارة الغريزية إلى
داخل البدن بعد انتشارها بالجماع وخص الاعتسال بخروج المنى دون سائر
الفضلات مع أنها أقدر لأن خروج المنى من صلب الرجل وترائب المرأة

واللذة به تعم كافة أجزاء البدن بخلاف باقى الفضلات قال الله تعالى : فلا ينظر
الإنسان مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب ، . وقد
أوجب صلى الله عليه وسلم الاغتسال فى كل اسبوع لغير حدث بقوله الغسل
واجب على كل مسلم فى سبعة أيام شعره وبشره والحكمة العقلية فى ذلك أن
فى الجسم مسام تخرج منها الفضلات السامة كهيئة العرق ويستشق الهواء من
تلك المسام فإذا لم يغتسل الإنسان سدت مسام جسمه وضعفت قواه . والحكمة
العقلية فى الحيض والنفاس لأن دم الحائض فاسد يتولد من فضلة تدفعها طبيعة
المرأة من الرحم بحيث أنه لو احتبس اضربها كالبول والغائط إذا احتبس
بخلاف دم الاستحاضة . قال تعالى (ويسألونك عن المحيض قل هو أذى
فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن) أى لا تجمعهن حتى
تنقضى مدة حيضهن ويطهرن .

وأما الطهارة من الحدث الأصغر فلقوله ﷺ (لا يقبل الله صلاة بغير
طهور) والطهارة قسمان معنوية وحسية فالمعنوية طهارة النفس من سفاسف
الاخلاق ومذامها ، والحسية أما مائية وأما ترابية وكل منهما يتعلق بأعضاء
مخصوصة على وجه مخصوص . واعلم أن أصل الطب ثلاثة : حفظ الصحة
واستفراغ المواد الفاسدة والحماية عن الأذى وقد ذكرها الله تعالى فى ثلاثة
مواضع من كتابه المجيد فقال فى حفظ الصحة (فمن كان منكم مريضا أو على سفر
فنده من أيام آخر) الآية . وقال فى حلق الرأس للمحرم (فمن كان منكم
مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك) الآية .
فأباح للمريض أو من به أذى من رأسه وهو محرم أن يحلق رأسه ويستفرك
المواد الفاسدة . وقال عز وجل فى الحماية عن الأذى (يا أيها الذين آمنوا إذا
قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم
وأرجلكم إلى الكعبين وإن كنتم جنبا فاطهروا وأن كنتم مرضى أو على سفر
أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا
طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم فى الدين من حرج

ولكن يريد ليظهركم وليتم نعمته عليكم) فأباح التيمم للرض لئلا يصب
جسده ما يؤذيه كما أباحه لفقد الماء وقد اشتملت هذه الآية الكريمة على سبعة
أصول مزدوجات : طهارة الوضوء والغسل ، ومطهران : الماء والتراب ،
وحكان الغسل والمسح ، وموجبان الحدث والجنازة ، ومبيحان المرض والسفر
وناقضان الغائط والملاسة وكرامتان الطهارة من الذنوب وإتمام النعمة .
وقال عز وجل : « وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز
الشیطان » فالرجز القذر ولا شك في أن الماء من بل له والوضوء الشرعي يذهب
رجز الشيطان وقد اقترضه الله صديحة ليلة الامراء وهو مشتق من الوضوء أى
النظافة والحسن وخصصت الاطراف بالوضوء لأنها المباشرة للخطايا غالباً
والمنعضة للأذى فينوى بذلك تطهيرها لما رواه مسلم في صحيحه (من توضأ
فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده) وهذا محمول على صفات
الذنوب دون كبارها ولذا أمر بتطهيرها بعد كل حدث لئلا من أراد أن يصلي
والحكمة العقلية في الوضوء كون الماء يذهب الأعضاء وينظفها ويكثر دوران
الدم وجولانه في العروق ، وجعل مالك رضى الله عنه ذلك مع مرور الماء
على كل عضو فرض عنده في الطهارة من الحدثين الأصغر والأكبر فإن الفائدة
فيه أكبر من مرور الماء على العضو بدون ذلك واستعمال الماء في الطهارة
حكيمته مشهورة وهى انعاش الأعضاء بعد فتورها والحكمة العقلية في غسل
اليدين قبل الوضوء ثلاثاً أن السنة تحصل بوحدة فيه وفي المضمضة والاستنشاق
لأن الوضوء لا يصبح بماء تغيرت أحد أوصافه الثلاثة وهى الطعم واللون
والريح فالمرء الأول من غسل اليدين ليظهر به اللون الماء والأولى من المضمضة
ليدرك بها طعمه والأولى من الاستنشاق ليشم بهار راحته والثانية من الجميع هى
السنة والثالثة عملاً بقوله ﷺ (أن الله وتر يحب الوتر) والحكمة العقلية
في المضمضة وهى ادخال الماء إلى الفم ومجه وذلك الأسنان بنحو الاصبع أو
السواك هو إزالة ما تختل بين الأسنان من فضل الطعام ليحفظها ويمنع الهاب
الفم وتعفنه ويزيل الرائحة الكريهة التى يتأذى منها من جالسه . والحكمة

العقلية في الاستنشاق وهو ادخال الماء في الانف وامرار الاصابع عليه ونثره هو كون الانف محل التنفس وكلما دخل فيه نفس الانسان دخل معه العبار والذرات المؤذية فتختلط بالخط سبباً اذا كان في الانف شعر فيحصل الضرر لحاسة الشم وينشأ عن ذلك امراض كالحبوب والزكام واستنشاق الماء مع لاقتار ينظفه ويذهب به . والحكمة العقلية في غسل الوجه أنه معرض لما ينفذه الهواء من المواد الغريبة وغسله مراراً في كل يوم وليلة يذهب عنه تلك المواد الغريبة ويمنعه من الاضرار التي تحصل منها ويمنع الدم من الهجوم إلى العينين ويزيل ما يجتمع من الاوساخ على جفونها . والحكمة العقلية في غسل اليدين إلى المرفقين المضافة أيضاً لأن الأيدي آلة لمباشرة كل عمل يعمله الانسان وبها تكون المصافحة وأيضاً هي بطيئة حركة دوران الدم وجولانه فيها والغسل إلى المرفقين مع ذلك يقوى عضلاته ويكثر جولان الدم في العروق ويقوى أعصابها ويزيل عنها ما يعلق بها من الوسخ والمواد الغريبة والحكمة العقلية في مسح الرأس دون غلله دفع مشقة الغسل وتنشيطها بالمسح المتكرر . والحكمة العقلية في مسح الأذنين بالماء ظهراً وباطناً لتنظيف ما يدخل إليهما من غبار وأوساخ ثقيل سمحهما ويطراً عليهما من ذلك مواد ينشأ عنها التهاب في الصماخ فمسحهما بالماء يمنع عنهما ذلك . والحكمة في غسل الأرجلين إلى الكعبين تقويتهما على حمل البدن وتسرى القوة منهما إلى الجسم كما يسرى الماء من أصل الشجرة إلى أغصانها فتورق وتزهو وتثمر ومنع التعفن والأذى من الأصابع الذي هو منشأ الرائحة الكريهة وإذا كان خاف المصلي صف لا يتأذى من رائحة رجل المصلي أمامه . والحكمة العقلية في المسح على الحفين التسهيل ورفع المشقة في السفر بشرط أن يلبسهما بعد الوضوء ولا توقيت في المدة للمسافر والمقيم ما لم ينزعهما أو تصابه جنابة . واعلم بأن الطهارة من الحدث الأصغر الأكبر لا نصح إلا بالماء عند وجوده وعدم المانع فان نقد الماء وحدث ما يمنع من استعماله كمرض يخشى زيادة مرضه أو خاف هلاك نفسه أو سلب ماله ، عدل عن الماء إلى التيمم بالتراب لقوله تعالى (إن لم تجدوا ماء

فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ ، الآية . فَأَقَامَ التَّرَابِ
مَقَامَ الْمَاءِ وَفَرَضَ التَّيَمُّمَ فِي السَّنَةِ السَّادِسَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ وَهُوَ مِنْ خَصَائِصِ هَذِهِ
الْأُمَّةِ .

وَتَسَنُّ الزَّيْنَةَ عِنْدَ دُخُولِ الْمَسْجِدِ وَالسَّوَاكِ قَبْلَ الشَّرْعِ فِي الصَّلَاةِ لِأَنَّ اللَّهَ
تَعَالَى أَمَرَنَا بِذَلِكَ بِقَوْلِهِ « يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ، يَرِيدُ عِنْدَ
مُنَاجَاتِهِ فَيَسُنُّ لِلْمُصَلِّي أَنْ يَلْبَسَ أَحْسَنَ ثِيَابِهِ وَأَنْ يَسْنَاكَ .

وَرَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ « إِنِّي أَحِبُّ أَنْ
يَكُونَ نَعْلِي حَسَنًا وَثَوْبِي حَسَنًا فَقَالَ لَهُ ﷺ « إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ ، أَيْ أَنَّ
اللَّهَ تَعَالَى مُتَصِفٌ بِأَكْمَلِ الْأَوْصَافِ الْجَمِيلَةِ وَيُحِبُّ مَنْ أَنْهَضَ بِهَا ، وَيُؤَيِّدُهُ مَا رَوَى
عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ سَخِيٌّ يُحِبُّ
السَّخَاةَ نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظَافَةَ .

الصَّلَاةُ

وَالصَّلَاةُ ثَانِيَةُ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ شَرَعَتْ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ عَشَرَ
مِنَ الْبَعْثَةِ . وَالصَّلَاةُ فِي اللُّغَةِ الدُّعَاءُ ، وَفِي الشَّرْعِ عِبَادَةٌ مَخْصُوصَةٌ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى
أَرْكَانٍ مَخْصُوصَةٍ ، وَقَدْ اشْتَمَلَتْ أَرْكَانُهَا عَلَى كَمَالِ التَّأَدُّبِ ، وَالتَّوْبَةِ ، وَالخُضُوعِ
ظَاهِرًا وَبَاطِنًا ثُمَّ يَقُومُ بَيْنَ يَدَيِ مَوْلَاهُ ثُمَّ يَرْفَعُ يَدَيْهِ إِلَى مَنْسَكِيهِ بِاسْطِافَةِ كَيْفِيَةِ

الصَّلَاةُ

أَجْمَعَ الْأُئِمَّةُ الْأَرْبَعَةُ عَلَى أَنَّ الصَّلَاةَ لَا تَصَحُّ إِلَّا بِالْعِلْمِ بِدُخُولِ الْوَقْتِ وَعَلَى
أَنَّ لَهَا أَرْكَانًا دَاخِلَةً فِيهَا . وَأَنَّ مِنْ فُرُوضِهَا التَّيَّةُ وَتَكْبِيرَةُ الْأَحْرَامِ وَالْقِيَامُ مَعَ
الْقُدْرَةِ وَالْقِرَاءَةُ وَالرُّكُوعُ وَالسُّجُودُ وَالْجُلُوسُ فِي التَّشَهُدِ الْآخِرِ وَأَمَّا رَفْعُ الْيَدَيْنِ
عِنْدَ الْأَحْرَامِ فَسُنَّةٌ بِالْإِجْمَاعِ . وَأَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ سِتْرَ الْعَوْرَةِ وَاجِبٌ وَأَنَّهُ شَرْطٌ
فِي صَحِّهِ الصَّلَاةِ وَعَلَى أَنَّ السَّرَةَ مِنَ الرَّجْلِ لَيْسَتْ بِعَوْرَةٍ وَعَلَى أَنَّ طَهَارَةَ ثَوْبِ الْمُصَلِّي
وَبَدَنِهِ وَمَكَائِهِ وَاجِبَةٌ وَعَلَى أَنَّ الطَّهَارَةَ مِنَ الْحَدَثِ شَرْطٌ فِي صَحِّهِ الصَّلَاةِ فَلَوْ صَلَّى

ثم يرفعهما إلى قرب رأسه ثم يعظم مولاه بتكبيره الافتتاح ثم بحميه بالثناء
ويناجيه بما أمره به فيقول الحمد لله رب العالمين فيقول الله تعالى حمدني عبدي
ثم بشئ عليه بقوله الرحمن الرحيم فيقول الله تعالى أني على عبدي ثم يمجده بقوله
مالك يوم الدين أي يوم الجزاء فيقول الله تعالى مجدني عبدي ولما حصل
الحمد والثناء والتمجيد من العبد وهو كمال الادب أطلق لسانه بالسؤال والطلب
وعلمه كيف يسأل وماذا يسأل فقال له قل وإياك نستعين أي اجعلني لا أعبد
إلا إياك ولا أستعين إلا بك فيقول الله تعالى هذا بيني وبين عبدي ولعبدى
ما سألت ثم أمره بعد التفصيل بإجمال السؤال الجامع لأسباب السعادة فقال
له قل اهدنا الصراط المستقيم أي صراطك الموصل إلى رضوانك ودار سعادتك
ثم زاده بيانا بقوله صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين
أي صراط الذين وفقهم إلى طاعتك لأن الله تعالى لم يجعل الصراط المستقيم
إلا لمن أنعم عليهم لا من غضب عليهم الذين إذا دعاهم لطاعته لم يطيعوه
ولا الضالين أي الخائدين . ثم يركع ثم يرفع رأسه من الركوع ويطمئن ثم
يهوى للسجود ثم يجلس بين السجدين في التشهد الاول ثم في التشهد الثاني

جنب بقوم فصلاته باطلة بلا خلاف سواء كان عالما بجنابته وقت دخوله فيها أو
ناسيا وعلى أن استقبال القبلة شرط في صحة الصلاة إلا لعذر كشدة الخوف
في الحرب والتنقل على الرحلة في السفر الطويل وكالمريض الذي لا يجد من يوجهه
إلى القبلة ونحو ذلك فإن كان المصل بحضرة الكعبة توجه إلى عيناها وإن كان قريبا
منها فباليقين وإن كان غائبا فبالاجتهاد أو الخبر أو التقليد لأهله وانفقوا على وجوب
أداء الفرائض الفائتة .

اتفق الأئمة الأربعة على أن صلاة الجمعة واجبة وعلى أنها تجب على المقيم دون
المسافر إلا في قول الزهري والنخعي أنها تجب على المسافر إذا سمع النداء وعلى
أن المسافر إذا مر ببلدة فيها جمعة تخير بين فعل الجمعة والظهر وانفقوا على أنها
لا تجب على الأعمى الذي لا يجد قائدا فإن وجد قائدا وجبت عليه إلا عند أبي
حنيفة وعلى أن القيام بين الخطبتين مشروع .

والاخير ثم يخرج من الصلاة بالسلام . والحكمة العقلية في طسارة البدن والوقوف في الصلاة أن من الواجب على من أراد الدخول إلى حضرة الحق أن يظلم ويتزين قبل الدخول عليه ثم يدخل بكمال الادب وينف قائماً بخضوع ثم يطلب منه حوائجه فيمن الله عليه بقضائها .

والحكمة العقلية في رفع يديه إلى منكبيه كالتائب وإلى محاذاة أذنيه كالتائف أن الرأس محل عظمة الإنسان وكبرياته فرفع يديه إليه مع تكبير المولى عز وجل إشارة إلى أن كبرياء الحق تعالى فوق كبرياته وعظمته .

والحكمة العقلية في الركوع بين يديه إشارة إلى أن ماجناه على نفسه مستوجب خفض رأسه أمام سيده ، والحكمة العقلية في رفع رأسه منه حتى يستوى قائماً مطمئناً للفصل بين الركوع والسجود ،

والحكمة العقلية في السجود ووضع الجبهة والأنف على التراب اظهار كمال الذل والخضوع لله حيث وضع وجهه الذي هو أشرف أعضائه وأنفه الذي هو محل أنفته وكبرياته على الأرض التي هي موطن الاقدام .

والحكمة العقلية في النهوض من السجود معتمداً بيديه على الأرض إظهاراً للضعف والخشية . والحكمة العقلية في الجلوس بين السجدين وفي التمشد الاول ليستريح بدنه ويستأنف العمل وهو على كمال الاهمية وحضور القلب بدون فتور ولا ذهول ، والحكمة العقلية في الخروج من الصلاة بالسلام لأن من دخل على حضرة الملك ووقف بين يديه وناجاه لا ينصرف منها إلا بالاستئذان . وفي الصلاة من القيام والركوع والإطمئنان والسجود والرفع منه والنعود فيه كفاية لرياضة البدن وصحته وقوة أعضائه وأما الاجتماع للصلوات الخمس في المسجد فلأن كافة أهل الإيمان اخوان بنص القرآن لا يفضل أحدهم على الآخر إلا بالدين والقوى فقال (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) وقال عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم (المؤمنون كالجسد الواحد إذا اشتكى عضو منه اشتكى كله) وقال صلى الله عليه وسلم (المؤمن للمؤمن كالبغيان المرصوص

يشد بعضه بعضاً) وكان صلى الله عليه وسلم إذا صلى بالغداة أقبل إليهم وجهه فقال هل فيكم مريض أعوده فإن قالوا لا . قال هل فيكم جنازة اتبعها فإن قالوا لا قال من رأى منكم رؤيا فاية قصها علينا .

والحكمة العقلية ان في الاجتماع للصلاة كل يوم إقامة لشعائر الدين وتأليفاً للقلوب المتنافرة وإن من الواجبات الإنسانية والجامعة الدينية أن يكون للجيران إخواناً كالعائلة الواحدة وأن يكون لهم خلاصواصاً يجتمعون فيه كل أسبوع مرة ليتفقده بعضهم بعضاً فإذا تخلف منهم أحد عن المجيء يسأل عنه فإن كان مريضاً عادوه وإن كان واقفاً في أمر ما أعانوه وساعدوه ولذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم باجتماع المسلمين في كل يوم وليلة خمس مرات في المساجد لأداء فرائض الصلوات الخمس .

صلاة الجمعة

وصلاة الجمعة لا تصلح إلا في المسجد الجامع الذي تقام فيه الخطبة وقد افترض الله الجمعة على المسلمين بمكة المكرمة ولم يصلها النبي صلى الله عليه وسلم بها لعدم تمكنه من ذلك وأول جمعة أقيمت في الاسلام الجمعة التي أقامها سعد بن زرارة الأنصاري أحد النقباء الاثني عشرية صلاها بالمدينة المنورة بأمر النبي صلى الله عليه وسلم قبل قدومه عليه الصلاة والسلام . ويقال أي عبادة فرضها الله تعالى على رسوله فتأخر عن فعلها وفعلها جماعة معه فبطلت صحتها وأول جمعة صلاها الرسول صلى الله عليه وسلم كانت في المدينة صلاها في ربيع الأول في واد بني سالم وقد اتخذ ذلك الموضع مسجداً وهي من خصائص هذه الأمة . والحكمة العقلية في كونها جعلت مرة في الأسبوع أنه قد لا يتيسر اجتماعهم في كل يوم اجتماعاً عاماً لذلك ، فنفذ بالاجتماع في كل أسبوع مرة .

الزكاة

واعلم أن ذكر الزكاة عقب الصلاة في حديث (بنى الإسلام على خمس) وفي جوابه صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام حين سأله عن الإسلام اعتناء بها وتعظيما لشأنها لأن الله تعالى قد كتب الرحمة على المتقين بشرط إيتاء الزكاة فقال (ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون) ولأن الصلاة تطهر الإنسان من الذنوب فكذلك الزكاة تطهر المال وينمو بها المال أيضا فالصلاة لا يقبلها الله بغير طهارة والمال لا ينمو بغير زكاة وقد فرضها الله تعالى في السنة الأولى من الهجرة وهي في اللغة النمو والزيادة وشرعا مال مخصوص يؤخذ من مال مخصوص اذا باغ قدرا مخصوصا في وقت مخصوص من صنف مخصوص ومعنى الزكاة والصدقة واحد إلا أن الشرع قسم الصدقة قسمين .. صدقة واجبة وهي الزكاة وصدقة اختيارية وهي صدقة التطوع قال تعالى :

الزكاة

أجمع الائمة على أن الزكاة أحد أركان الاسلام وعلى أن وجوبها في أربعة أصناف: الماشي والا موال وعروض التجارة والمكيل والمدخر من الثمار والزرع بصفات مخصوصة . وعلى أن وجوب الزكاة على المسلم البالغ العاقل وعلى أن الحول شرط في وجوب الزكاة إلا ما حكى عن بن مسعود وابن عباس من قولهما بوجوبها من حين الملك ثم إذا حال الحول وجبت وكان بن مسعود إذا أخذ عطاء ، زكاه في الحال . وأجمعوا على أن اخراج الزكاة لا يصح إلا بنية وقال الأوزاعي لا يقتصر اخراج الزكاة إلى نية وعلى أن من امتنع من اخراج الزكاة بخلا اخذت منه قهرا ويعذر وقد أمرنا الله تعالى باخراجها ووعدنا بالبركة في الرزق والنمو فيه وهو التزكية ومنها اشتق اسم الزكاة ومن معانيها التطهير أيضا .

وقد ورد في الحديث (أن الله تعالى ما وعدنا بالاجر على الزكاة إلا لمن أخرجها مفشرا صدره قارة عينه لأن الله تعالى ما أمرنا باخراجها إلا وهو يريد أن يزيدنا من فضله فاللائق بنا الفرح والسرور عند أدائها .

(وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم) والقرض هنا صدقة التطوع فورد الأمر بالقرض كما ورد بإعطاء الزكاة والفرق بينهما أن إعطاء الزكاة موقت بالزمان والنصاب محصور في الأصناف التي تدفع لهم والقرض ليس كذلك وسميت الصدقة زكاة لأن الله تعالى يربها كما يرب الزكاة قال تعالى (ويرب الصدقات) وفي الزكاة بركة الأموال وطهارة النفس وتزكيتها قال تعالى (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها) وقال إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة لهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله) الآية

والحكمة العقلية في وجوبها عملاً أن الله تعالى قسم رزق العباد في الأزل وقد جعل رزق بعضهم من بعض وقد جعلت النفوس على الحرص وحب المال وجمعه والتضييق على الفقراء والمساكين والشح بإعطاء الصدقة فإن خرجت من أيديهم بما يرون أنهم متفضلون بها ويتبعها المان والأذى لهذا فرض الله سبحانه وتعالى الزكاة على كل من ملك نصيباً وإعطاءها للمستحقين ليسهل إخراجها على أنفسهم لعلمهم بأنها فرض من الله تعالى أوجبها عليهم فإخذها الفقراء والمساكين بلا من ولا أذى وأما تعيين إعطاء زكاة الحبوب عند حصولها لقوله تعالى (وآتوا حقه يوم حصاده) .

ومذهب الإمام مالك وكذا الشافعي رضي الله عنهما وجوب إخراج الزكاة من عين ما وجبت فيه سواء المال والحبوب والماشية في الموضع الذي وجبت فيه الزكاة على المالك ولا يجوز نقلها لموضع آخر إلا عند الإمام مالك على مسافة القصر أو أكثر إلا أن يكون فيه فقراء أشد من فقراء مكان الواجب والأفضل لمن يعطى الزكاة أن ينويها في قلبه ولا يتلفظ بها على لسانه كأن يقول للفقير هذا من الزكاة أو قبلت هذا من الزكاة لأن في ذلك كسر قلب الفقير .

زكاة الفطر

وهي مأخوذة من الفطرة أى الحلقة لتعلمها بها فكما أن زكاة الأموال تطهر الأموال وكذلك زكاة الفطر تطهر الأبدان والحكمة العقلية في إعطاء زكاة الفطر يوم العيد جبر خواطر الفقراء وكفهم عن السؤال وقد ورد في الخبر اغنوم عن ذل السؤال في هذا اليوم أى يوم العيد لأنه يوم فرح وسرور لا يوم ذل وسؤال فالفطرة في يوم الفطر والاضحية في يوم عيد الاضحية .

الصَّيَام

شرع الله تعالى الصوم وصلاة العيدين وزكاة الفطر والاضحية في السنة الثانية من الهجرة . والصوم لغة : الامسك عن الشيء ولذا سمي الصمت صوما لأنه امسك عن الكلام ومنه قوله تعالى (إني نذرت للرحمن صوما) أى صمتا والصوم شرعا الامسك عن الطعام والشراب والجماع من طلوع الفجر إلى غروب الشمس .

زكاة الفطر

اتفق الأئمة على أن زكاة الفطر واجبه وانفقوا على أن كل من لزمته زكاة الفطر لزمته زكاة أولاده الصغار ومالئكة المسلمين وعلى أن وجوبها على الصغير والكبير . وعن علي عليه السلام أنها لا تجب إلا على من صام وصلى وانفقوا على أنه يجوز تعجيل الفطرة قبل العيدين بيومين وأن رفع الصيام متوقف على إخراجها وأنها لا تسقط بالتأخير بل تصير ديناً يجب أدائه .

الصيام

اجمع الأئمة على أن الصوم في شهر رمضان فرض واجب على المسلمين وأنه أحد أركان الاسلام وانفقوا على أنه يتحتم صومه على كل مسلم بالغ عاقل مقيم قادر على الصوم وعلى أن الحائض والنفساء يحرم عليهما الصوم فلو صامتا لم يصح

والحكمة العقلية في الصوم حفظ الصحة ونقاء الجسد من الفضلات
المضرة .

ويقول الله في حفظ الصحة في شهر الصوم عند عدم القدرة : فمن كان
منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر ، الآية فأباح الفطر للمريض
والمسافر طالبا لحفظ صحتهما ولئلا يجتمع على المسافر الصوم ومشقة السفر
وقال تعالى (كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون
أياما معدودات) أي كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون
الشهر فليصمه) وقال الشهر متناهي في أولياته أن أول أمة فرض عليها صوم شهر
ومضان أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

وقد جاء في الحديث القدسي (كل عمل بن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا

ولزمهما قضاءه وعلى أنه يباح للحامل والمرضع الفطر إذا خافتا على نفسيهما
وولديهما فلو صامتا صح وعلى أن المسافر والمريض الذي يرجى بروه يباح لهما
الفطر فإن صامتا صح وإن تضرركه وانفقوا على أن الصبي الذي لا يطبق الصوم
والجنون المطبق جنونه غير مطايع به ولكن يؤمر الصبي لسبع ويضرب عليه
لعشر وعلى أن صوم شهر رمضان يجب برؤيه الهلال أو بإكمال شعبان ثلاثين يوما
وانفقوا على وجوب النية في صوم رمضان وأنه لا يصح إلا بالنية . وانفقوا على
أن الغيبة والكذب مكروهان للصائم كراهه شديدة وأن صح الصوم في الحكم وقال
الأوزاعي يبطل الصوم . وانفقوا على أن من أكل وهو يظن أن الشمس غابت أو
أن الفجر لم يطلع ثم بان الأمر بخلاف ذلك أنه يجب عليه القضاء وعلى أن من وطئ
وهو صائم في رمضان عامدا كان عاصيا ويبطل صومه ولزمه إمساك ببقية النهار وعليه
الكفارة الكبرى وهي عتق رقبة فان لم يجد فصيام شهرين متتابعين فإن لم يستطع
فاطعام ستين مسكينا وانفقوا على أن من تعمد الاكل والشرب صحيحا مقيما
في يوم من شهر رمضان يجب عليه القضاء وإمساك ببقية النهار وعلى أن من أفسد
صوم يوم من شهر رمضان بالاكلاكل عمدا يجب عليه قضاء يوم مكافئه فقط وانفقوا
على صحة صوم من اغشى عليه طول النهار وعلى أنه لو نام جميع النهار صح صومه
والشبخ المسن الذي لا يمكنه الصوم إلا بمشقة يخشى عليه من حدوثها يجب عليه
الاطعام عن كل يوم مسكينا .

اجزى به) وذلك لأن الصوم صفة صمدانية وهى التزه عن التغذى وهى من صفات الله تعالى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه فالفرحة الأولى لروحه الحيوانية والثانية لنفسه الباطنة اللطيفة الربانية) .

والحكمة العقلية فى الصوم صحة البدن وتنوير القوى العقلية وسمو الروح للاطلاع على العلوم الإلهية ولذ كان من شرط الحلوة الصيام مع الاقتصاد على قدر ما يقوم به أود الجسم من الطعام ويؤيد ذلك قوله تعالى (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا أنه لا يحب المسرفين) وقوله ﷺ (ماملأ ابن آدم وعاء قط شر من بطنه) وفى الصوم تذليل النفس وقهر لحدتها وبه تسكر شهوة البطن والفرج التى ينهمك الإنسان لأجلها على تحصيل الدنيا ولكي يتصور الصائم حالة الفقراء والمساكين ويعطف عليهم ، وقال بعض الأكابر : الموت ثلاثة أنواع موت أبيض وهو الجوع وموت أحمر وهو مخالفة النفس فى هواها وموت أسود وهو تحمل الأذى وإنما سمي الجوع موتا أبيضاً لأن فيه صفاء النفس المشبهة بالضياء ، ومخالفة النفس موتا أحمر لأنها شبيهة بحمرة الدم فإن من خالف هواه فقد ذبح نفسه ، وسمى تحمل الأذى موتا أسوداً لأن فيه غم النفس وظلمتها والظلمة شبيهة بالسواد . وقد أجمع الأطباء المحدثون على وجوب الجوع قطعاً دون تحديد على أن يكون كل أسبوع مرة أو أقل أو أكثر لتخفيف الضغط وترخيص الأمعاء وتنقية الدم من الأحماض المرة السوداء . والصوم للأهمية فى الطب أمر مشهور وهذا يذكرنا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم (المعدة بيت الداء والحكمة رأس الدواء) فإذا كان تقدم العلم أدى إلى وجوب الامساك عن الطعام ولو يوماً فى الأسبوع فكيف لا يعتبر الرجل المسلم بذلك ويشكر الله على أن فرض الجوع فرضاً ثلاثين يوماً فى السنة وهذا غاية الحكمة والله بكل شىء عليم . وليتدبر المؤمنون حكمة الخالق فى رعاية الصيانة للأجسام والنفوس التى خلقها وهو عليم بها .

الحج

قال الله تعالى (والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً) أى قدر على الزاد والرحلة . والحج فى اللغة القصد ، والعمرة الزيارة . وهو فى الشرع أقوال وأفعال مخصوصة فى أماكن مخصوصة فال تعالى (وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالاً) أى مشاة (وعلى كل ضامر) أى جمل مهزول من التعب (يأتون من كل فج عميق) أى طريق بعيدة . وأول ما يبدأ به الحاج من أعماله الإحرام من الميقات إذا وصل إليه . والحكمة العقلية فيه أن يشبه المحرم فى أحواله أحوال العبد الآبق من سيده إذا رجع إليه نادماً بأنه يأتية أشعثاً غير كاس متجرداً من ثياب أهل الدنيا أو قل أن الإحرام صنو الكفن وشبيهه يرجوع الميت إلى ربه عارياً لا يملك إلا الكفن من سائر حطام الدنيا ومتاعها فالحاج يقبل على الله كإقبال العبد المذنب أو الميت الذى يرجو المغفرة ثم يدخل البيت ويطوف بالكعبة ، ويقبل

(الحج)

أجمع الأئمة على أن الحج أحد أركان الإسلام وأنه فرض عين على كل مسلم بالغ عاقل مستطيع فى العمر مرة واحدة . واتفقوا على أن من لزمه الحج فلم يحج ومات قبل التمكن من أدائه سقط عنه الفرض . وأجمعوا على أنه لا يجب على الصبي حج وأن حججه قبل البلوغ لا يسقط عنه فريضه الحج واتفقوا على أن استحباب الحج لمن لم يجد زاداً ولا راحلة ولا كتمه يقدر على المشى ، وعلى صنعة يكتسب منها ما يكفيه للنفقة وعلى جواز النية فى حج الفرض عن الميت وعلى أنه لا يجوز لإدخال الحج على العمرة بعد الطواف وعلى وجوب الدم على المتمتع إن لم يكن من حاضرى المسجد الحرام وكذلك القارن (وهو الجامع بين الحج والعمرة) وقال داود وطاؤوس لادم على القارن واتفقوا على كراهة الطيب فى الثياب للمحرم وعلى تحريم لمس الخيط للرجل وأن يكشف رأسه وعلى أن المرأة تلبس الخيط وتستتر رأسها وتكشف وجهها لأن أحرامها فيه .

الحجر الاسود. والحكمة العقلية في تقبيله أن من أراد أن يستجير بملك عظيم ويدخل في حرمة وحماه يبادر لتقبيل يمينه وقد قال صلى الله عليه وسلم الحجر الاسود يمين الله في أرضه. ثم يذهب إلى عرفة والحكمة العقلية في ذلك أن يكون مقدمه ليوم الحشر بين يدي الله فإن فيه يكون الوقوف والنضرع والتوبه والابتهال والاستقالة من الذنوب وطلب المغفرة. ثم يوم النحر تكون اوفائة والزيارة ولهذا سمي طوافه بطواف الزيارة لأن الحجاج قد طهروا من ذنوبهم يوم عرفة ثم أذن لهم يوم النحر في زيارته والدخول عليه في بيته ولهذا كان فيه ذبح الغرابين وحقن الرأس ورمى الجمار والسعى بين الصفا والمروة وقد سئل على عليه السلام لماذا كان الوقوف بعرفة ولم يكن بالحرم فقال أن السكعة بيت الله وعرفة باب الله فلما قصدوه وافدين أوقفهم بالباب يتضرعون. قيل والوقوف بالمشعر والحرام ؟ قال لما أذن لهم بالدخول أوقفهم على الباب الثاني وهو المشعر الحرام يتضرعون ثم أذن لهم بتقريب قربانهم بمعنى فلما قضوا تمشهن وقربوا قربانهم تطهروا من الذنوب التي كانت عليهم ، فأذن لهم بالوفادة عليه على طهارة وجعل تقبيل الحجر الاسود أومسه أو الإشارة إليه كالنتحية وعلامة للرضا.

وكان الطواف أراه ذلك كالرجاء. والحكمة العقلية في الوقوف بعرفة ليتعارف فيه الحجاج بعضهم ببعض فيحصل التآلف والتراسل والتواصل ويتعارف كل ذنبه فيبرأ إلى الله منه ولذا قال صلى الله عليه وسلم يوم عرفة عيد لأهل الاسلام أي لاجتماعهم وتعارفهم فيه وتخلصهم من سيئاتهم. وإجمالا فإن الحج كالمؤتمر العام للمسلمين.

قال سيدي محي الدين بن العربي (إن عبادة الحج شبيهة بالناس في أحوالهم يوم القيامة شعنا غبرا متضرعين تاركين للزينة يرمون بالحجارة وكأنهم يرمون ذنوبهم عن كواهلهم لأنهم في عبادة لو علموا ما فيها من الخير لذات عقولهم وما ثم عبادة هي تعبد محض في أكثر أفعالها إلا الحج . وللعبادات التي بنى عليها الاسلام أحكاما مفصلة في كتب فقه التشريع ، وكان عليه الصلاة والسلام يأمر الناس أن يأخذوا بالأسهل والأهون منها ويقول بعثت بالحنيفية السمحة السهلة ويأخذ هو بالأفضل أي الاشاق منها . قال تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما

نهامكم عنه فانتبها) وقال صلى الله عليه وسلم (ما نهيتكم عنه فانتهوا وما أمرتكم به فاعملوه ما استطعتم) فأطاعوا الأوامر بالاسماعية رحمة بأمنه وشفقة عليهم . وأما الحج ، فهو طاعة مبينة على المشقة فأجره عند الله جامع لأجور الطاعات لا سيما وأنه جامع لصنوف العبادات المتوزعة في الصلاة والصوم والزكاة وصبر الصوم ومشقته .

فوائد الغنى بالله

اعلم وفقى الله وياك ان مقتضى العلم الله سبحانه وتعالى أن تكون موقفا عليه بكل قلبك راجعا اليه في جميع أمورك فعلا ما به أمرك متى أردت التعرف إليه والرفقة لديه تاركاً ما نهاك عنه وزجرك . صاراً ثابتاً تحت سلطان حكمه ولانته مطعناً الى الثقة به معتمداً عليه في جميع أمورك فهو صالح لجميع شئونك ناظراً لما اهدى إليك من آلائه شاكراً له جميع نعماته راضياً عنه في جميع ما قضى وقدر من خير وشر ونفع وضر مراقباً لجلاله ومشاهداً لسريان سلطانه هائم القلب في الاستشراق الى مشاهد جماله في افعاله سابحاً في متنزعات كماله آنساً بذكره بجائل الفكر في ملكه وملكوته وحينئذ تؤدي بك مقامات السلوك وهي الطريقة الى احوال الشهود فتشرق بعد اختراق نطاق حججك الارضية على سماء الحقيقة فتكون محباً له من كل وجه وعلى كل حال لأنه هو الذي أنشأك ولم تكن شيئاً وتولى رعايتك بالطفه في جميع اطوارك منذ كنت في أحشاء أمك فهو الموصوف بكمال العلم والقدرة اللذين هما مجمع الكمالات على التحقيق والكمال محبوب الكل ذي طبع سليم . فكل ما ذكرناه من ثمرات العلم بالله تعالى كمال للنفس وللطبع فإذا الفيت من نفسك انك على غير ما ذكر ولم يكن حفظك من العلم بالله إلا مجرد اعتقاد خال من الثمرة وكنت لا تزال بعيداً عما بيناه لك من الأوصاف المتقدمة التي هي ثمرات العلم بالله تعالى ومعرفته فاعلم يقيناً أن السبب الذي اقتضى بعدك عن مولاك وأنزلك إلى حضيت الغافلين وسجن مظاهر الطبيعة هو إتياعك لشهواتك وميلك لهواك فهو الذي حجبتك عن

مولالك فاعمد إلى معتقدك السليم المتحصل من الشرع الشريف الذكر الصافي
والماثية الدائبة والذكر الكثير والهمة العالية فإذا نظرت إلى ذلك ظر المجزأ أمر
نظرك الصادق في القاب أنواراً عظيماً وإلهاماً قيماً ومشاهدة جلية وأسفاً باغياً على فوات
محبوك فيخرج هذا الحال عندك كثيراً من الدم على ما مضى في غير صحبة الله وصدقة
الصالحين من عباده ، ونحوك إلى ترك كل ما اقتضى بعدك عن مولاك الذي
يراك ويعلم مثوك ومآك وعلى موافقه وكرمه ربك وفعل كل ما يقر بك من
حضرته ، وبلفظه في جميع شئوك وتوالت وهو الذي خلفك فسواك فتحقق فيك
حينئذ سر قوله صلى الله عليه وسلم (الندم توبة) لأنه يبعث على حقيقة اتوأة إذ كل
مقام من مقامات الدين وكل منزل من منازل السالكين ينظم من علم وحال وعمل
فالعلم يثمر الحال والحال ينتج العلم وأساس كل ذلك التوبة ثم نيلها المراقبة
والمجاهدة والخشية الخ مما سنده في كتاب الطريقة وذلك ما يسميه أهل الله
بعلم التصوف أو علم السلوك إلى طرق الله تعالى أنس العدو منك هذه الهضبة
الصالحات والصفقة الراجعة بالتوبة قصدك بجنوده وحياله وخدعه وإغوائه ليهلك تزيهيل
الله لأنه اعتاد انقيادك وسيرك في طاعته وسلوكك في سبيل غرايته وسط عاك
النفس الامارة بالسوء والهووى وهما صديقه الخاضعان ، فجده بالدم والتوبة
وانظم في سلك السالكين على صراط الله المستقيم وممك باعث الدين وجند
العقل السليم فيتأزك جند كل الطائفتين فجند العقل يريد خلاصك من الأغيار
والإشراق وبعث الدين بقيمك على طريق الحق ويسير بك إلى رضوان الله
ويبعدك عن أسباب البعد والقطيعة ، ومكدا تكون الحرب بينهما سجالاً أعوان
الشيطان وجند الرحمن وكنت أنت مجال المعركة بينهما وهدفها فإذا فطنت لمعرفة
نفسك وأمدك الله تعالى بأنواره وإمداده علمت أن الفلاح في اتباع وبعث الدين
وجند العقل ، فنثبت حينئذ مع باعث الدين تأتمر بأوامر العقل وذلك لب
الاستقامة وحقيقته الصبر . وحينئذ تفهم قوله صلى الله عليه وسلم (الإيمان نصفان
نصف صبر ونصف شكر) والصبر لا يكون إلا على الابتلاء بدواعي النفس
والشيطان والهووى ، والشكر لا يكون إلا بحسن طاعة الله . ويقول عمر بن الخطاب
في مثل هذا المقام (والله لو كان الصبر والشكر يعيرين ما باليت أيهما ركبت)

واعلم أن العدو المبين وهو الشيطان ما زال يربك من طرف خفي وهو يراك من حيث لا تراه ويجري في دمك مجرى السم في عروقك كما علمنا رسول الله . فواجبك حيال ذلك اليقظة والآوریة ثم الآوریة وهي بمعنى التوبة النصوح . تكون قد رجعت حياثا إلى مالك أمرك الحققي وهو من بيده الملك والمكوت علما بأنه هو الملك لكل ما سواه والقاهر لكل ما عداه فهو الذي لا معقب لحكمه ولا راد لما قضاه فاتخذ وكلا واركن إليه معتمدا عليه وليطمئن فملك بوكالته لك في رد كيد الشيطان والنفس وكل ما يشغلك عنه ، ذلك حقيقة التوكل قال تعالى (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) وتوكلوا على الله إن كنتم مؤمنين .

(وما لنا أن لا نتوكل على الله وقد هوانا سبانا وانصبرن على ما آذ يتموننا وعلى الله فليتوكل المتوكلون) فإذا اطمأن قلبك به تعالى أشرفت أنواره على بصيرتك وانفشت سحب الاغيار عن قلبك وانجلى مرآة بصيرتك فعلمت يقينا أنه هو الذي وجهك إليه ووفقك للعمل الذي يقر بك لديه وثبك لتحمل مشاق السير إليه ومنحك التوكل لأنه هو الكريم المفضل والكبير المعال فهو الذي يعطي ويمنع ويخفض ويرفع ويوصل ويقطع ويهدي ويضل ويعز وبذل ويوفق ويخذل ويقرب ويبعد ويثقي ويسعد ويغني ويهقر لا شريك له في ملكه ؛ فاعطوه فضل ومنعه عدل . فإذا تحققت ذلك كله اطمأن قلبك شوقا إليه وتحرك لسالك بذكره والثناء عليه وانبسط أركانك وجميع جوارحك إلى طاعته وخشعت سائر جوارحك في حضرته وهذا مقام الشكر . وفي الخبر عن داود عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام أنه قال (رب كيف أشكرك وشكرى لك نعمة ملك تحتاج إلى الشكر فقال الله سبحانه وتعالى يا داود الآن قد شكرتني) فسيحان من له الخلق والأمر وله الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون . إن أشرفت على هذا المقام انشرح قلبك فرحا وسرورا بما أجراه عليك من القبول (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) وهذا الفرح والسرور والطمانينة بشار مقام الرضا فإذا صح رضاك عنه فقد أوجب ذلك رضاه عنك وفي الحقيقة ما أوجب رضاك عنه إلا رضاه عنك ولا أحببته إلا لحبه لك فسيحان من سبقت قسمته وجود خلقه وسبقت منه أعمال عباده قال تعالى (رضي الله عنهم ورضوا عنه) وقال تعالى (يحبهم ويحبونه) ورضاه عنك وحبه لك هما اللذان ارتقيا بك إلى ميدان المعرفة والطاعة

والرضا وقد أباح لك دخول حضرة برفع الحجب الظلمانية والنورانية فإذا بك في حضرة القدس على بساط الانس مح المحاضرة والمكانفة والمشاهدة والمؤاسة متنزها في رياض المسكوت ساجدا في سماء الجبروت جالسا على كرسي القرب متشعرا ثياب الحب مقاضا عليك من أنوار عليه ورضاه وإحسانه فتعنى عن نفسك وحتى عن فتنة ذلك بشهود الجلال فإذا شهدت الجمل ففيت عن فتنة فإذا تحففت بشهود الكمال المطاق لمقدس المنزه تمسكت حينئذ وصرت عبدا محضا حاليا من كل شائبة لسواه شاكر له حقيقة الشكر بالعامه معه بساط الانس (وقيل من عبادى الشكور) قال الله تعالى (الذين إن مكناهم فى الأرض أفاموا الصلاة وأنوا الزكاة وأمرؤا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور) . فإذا نهفت حينئذ فعن الله وإذا بطشت فبالله وإذا تحركت فبالله وإذا سكبت فعن الله فأنت في جميع أطرارك لله ولله وعن الله وفي الله ومع الله وفهمت حينئذ سر قوله تعالى في حديثه القدسي (ما تقرب إلى عبدى بشئ أحب إلى من أداء ما افترضته عليه ولا يزال عبدى يتقرب إلى النوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وكنت بصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها) الحديث . وقوله صلى الله عليه وسلم (ما قولك يا أبا بكر فى اثنين الله ثالثهما) وقوله تعالى (وهو منكم أينما كنتم) وقوله عز وجل (ونحن أقرب إليه منكم) وقوله (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) وقوله تعالى (وإذا سألك عبادى عني فأنى قريب) وقوله (ما يكون من مجرى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم يذنبهم بما عملوا يوم القيامة) حينئذ يتحقق معنى القرب والعندة والمعية وقد زال عنك الارتياح بزوال الحجاب إذ ليس البعد عنه تعالى بعد مسافة محسوسة والقرب والبعد هنا معنويان ، وبالجمله فإن البعد عن الله هو الانبغال على غيره والاشتغال بما سواه والتخلي بسفاسف الأخلاق والعمل بما نهى عنه . والقرب منه تعالى هو التخلي عن كل صفة ذميمة والنحلي بمكارم الأخلاق والانبغال عليه والطاعة له والاعراض عن كل ما سواه وذلك هو معنى طريق الله وما وصفناه من أحوال العبد مع ربه وتجلي الرب على عبده هو أحوال السالكين إليه ومقامات السلوك من التوبة والابابة والمجاهدة والصبر والشكر والرضا وذلك ما سنفيته إن شاء الله فى كتاب الطريقة .

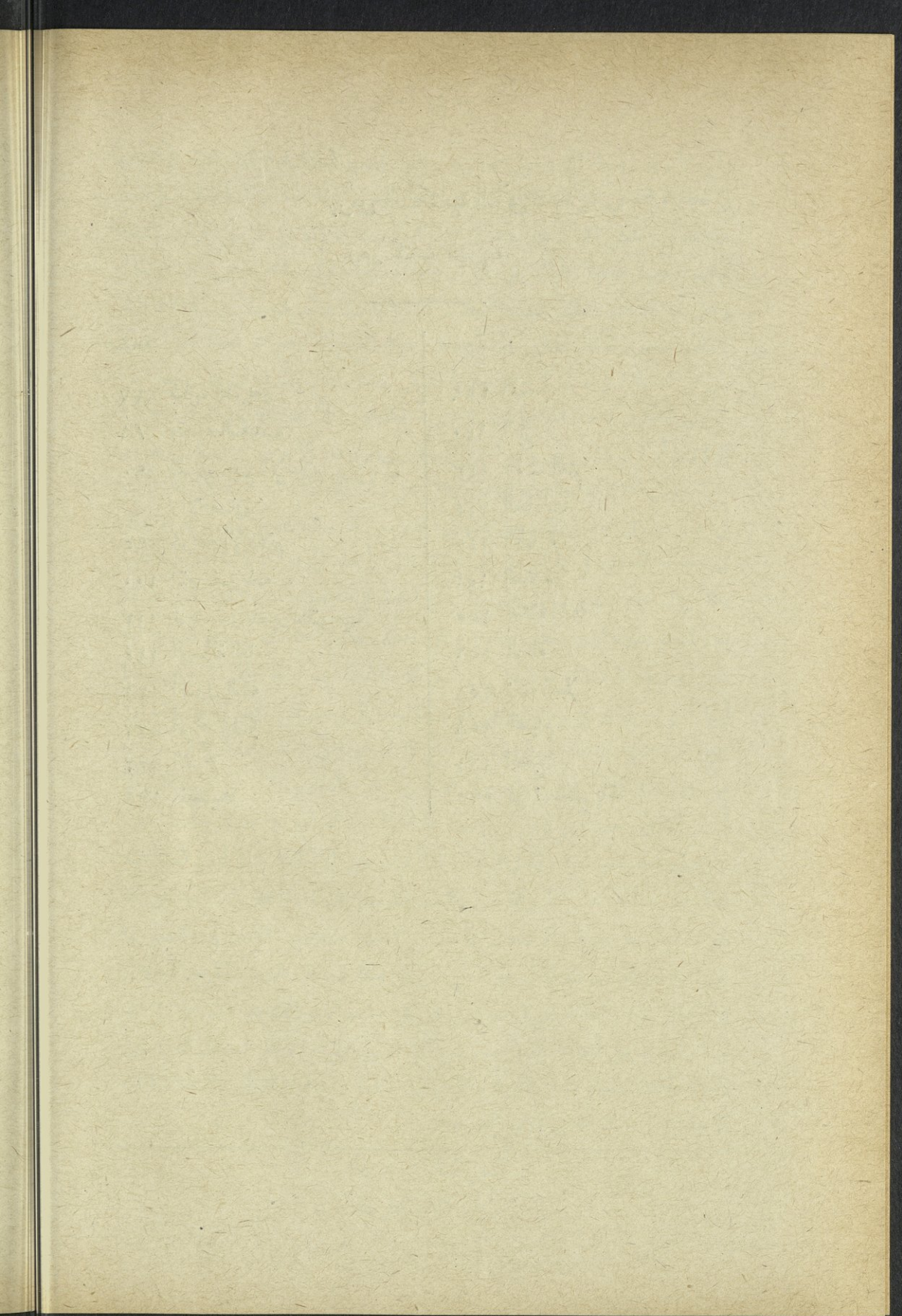
انتهى كتاب الشريعة

وبليه كتاب الطريقة

فهرس الكتاب الثاني

وهو كتاب الشريعة

صفحة	صفحة
١٢٩ الفقه	٧٧ كتاب الشريعة
١٤٠ العلم	٨٨ مقدمة الكتاب
١٤٣ طلب العلم	٩٠ الفرق بين الإسلام والإيمان
١٤٤ العبادات	والإحسان
١٤٥ الطهارة	٩٥ شريعة الإسلام
١٥٢ الصلاة	١٠٠ التعريف بالله
١٥٥ صلاة الجمعة	١١٢ توضيح وتبصير بالتوحيد
١٥٦ الزكاة	١٢٤ الرسالة العامة
١٥٨ زكاة الفطر	١٣١ أصول الفقه
١٥٨ الصيام	١٣٢ أنواع الحكم
١٦١ الحج	١٣٢ الشرع
١٦٣ فوائد العلم بالله	١٣٦ الحديث



کتاب الطریقین

بسم الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل الطريق إليه طريقا واحدا فردا لا يساكنه سوى فرد وكابر خائف
كابر وجعل سلوكه مشروطا بالمباينة والمصاحبة والاجتماع والالفة والمحبة ويسره
منهجا للأسرا روا لا خيار والأولياء والصديقين وبقية أولى الألباب والصلاة والسلام
على سيدنا محمد الرسول الأمي الذي كان أول سالك لطريق الله على بصيرة وبإيمه
على سلوكه صفوة صحبه من أهل بيعة الرضوان وعلى إخوانه الأنبياء والمرسلين
وسائر السالكين إلى حضرة الحق على قدم الاخلاص والصدق .

وبعد فهذا كتاب الطريقة وهو كالمحز الموصل إلى رحاب الحقيقة نسوق الكلام
فيه عن آداب السلوك وترتيب المقامات وفضل الشيوخ وآداب المريدين وسلسلة
الطريق ، وفتحة الذكر وآداب الذاكرين وترتيب مفاوز العرفان وقطع عقبات
النفس ومراقى الوصول لشهود حضرة الحق الخ والله الموفق للصواب

وليكن معلوما للسالكين أن الطريق هو الصراط المستقيم الموصل لحضرة
الحق . والصراط في الدنيا خط قويم أوله ملة الاسلام وهي الشريعة ووسطه
مقامات الايمان وهي الطريقة وآخره رتبة الاحسان وهي مقام الشهود والعبان .
وقد انتهينا من الكلام في الشريعة فأضحى لزاما علينا أن نتكلم عن منازل السائرين
في الطريقة ومقامات اليقين وما يلزم من الزاد للسالكين في تلك الشعاب والمفاوز
حتى يصلوا بعناية الله إلى رعيال الصديقين والأنبياء والصالحين في مقعد صدق
عند مليك مقتدر فتقول .

أما وقد تكلمنا عن الدين وعن الفقه فيه أصولا وفروعا من جهة الشرع ، أي
علم ظاهر الشريعة ، فلنتكلم هنا عما يرتقي إليه ذلك من جهة باطن الشريعة عن
طريق اليقين وهو علم الحقيقة ، وبين هذا وذاك يوجد علم السلوك وهو العلم
بسلوك الطريق إلى شهود الحقيقة . والعلم الموصل بين المنهجين منهج الظاهر ومنهج
الباطن هو علم النصف .

منشأ التصوف

كانت نسبة الصلاح والصالحين في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه
لالتصوف ولأنما الإيمان والإسلام تشبها باختلاء رسول الله في العار . فيقول
مسلم ومؤمن وصحابي ، ثم حدث اسم زهد وعابد . ثم نشأ أفوام تعانوا بالزهد
والتعبد وتخلوا عن الدنيا وانقطعوا إلى العبادة واتخذوا في ذلك طريقة تفردوا
بها تنسب إلى الزهد ثم ارتقت إلى التصوف ، وأحلافا تخلعوا بها . وقيل أن أول
من انفرد بخدمة الله سبحانه وتعالى قبل الإسلام عند بيته الحرام رجل كان يقال
له صوفة واسمه الغوث بن مر فانتسبوا إليه لمشابهتهم إياه في الانقطاع إلى الله
سبحانه وتعالى فسموا بالصوفية . وقال محمد بن ناصر عن أبي إسحق إبراهيم
ابن سعيد الجبال قال . قال أبو محمد عبد الله بن سعيد الحافظ . قل سألت الوليد
ابن القاسم إلى أي شيء ينسب الصوفي ؟ فقال كان قوم في الجاهلية يقال لهم صوفة
انقطعوا إلى الله عز وجل وقطنوا الكعبة فن تشبه بهم فهم الصوفية ، قال
عبد الغنى فهو لاء المعروفون بصوفة ولد الغوث بن مر بن أخى تميم بن مر .
والإسناد إلى الزبير بن بكار قال . كانت الاجازة بالحج للناس من عرفة إلى الغوث
ابن مر من طابخة ثم كانت في ولده ، وكان يقال لهم صوفة . وكان إذا حانت
الاجازة قال العرب . أجز صوفة ، قال الزبير قال أبو عبيدة وصوفة ، وصوفان
يقال لكل من ولى من البيت شيئاً من غير أهله أو قام بشيء من أمر المناسك
يقال لهم صوفة ، وصوفان . وسمى الغوث بن مر صوفة لأنه ما كان يهش لأمه
ولد فنذرت ابن عاتق لعاقن برأسه صوفة ولنجعلته ربيط الكعبة ففعلت فقيل
له صوفة ولولده من بعده .

وقد ذهب قوم إلى أن التصوف منسوب إلى أهل الصفة من أصحاب رسول
الله وإنما ذهبوا إلى هذا لأنهم رأوا أهل الصفة على ما ذكرنا من صفة الصوفية
في الانقطاع إلى الله تعالى وملازمة الفقر . وعن نعيم بن الحجر عن أبيه عن أبي ذر

قال . كنت من أهل الصفة وكنا إذا أمسينا حضرنا باب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكرمنا ، وكان يجالسنا في صفة مسجده . وعن الطوسي يقول سمعت أبا بكر بن المشقف يقول سألت الجنيد بن محمد عن التصوف فقال . الخروج عن كل خلق ردى . والدخول في كل خلق سنى . وعن عبد الواحد بن بكر قال سمعت محمد ابن خفيف يقول قال رويم كل الخلق قعدوا على الرسوم وقعدت هذه الطائفة على الحقائق . وقال : الخلق كلوا أنفسهم بظواهر الشرع والصوفية طالبوا أنفسهم بحقيقة الورع ومداومة الصدق .

وقد ينسب اسم الصوفية إلى ظاهر اللبسة لأن لبسة الصوف دأب الانبياء عليهم السلام وشعار الأولياء والاصفياء ، وهو اسم عام يخبر عن جميع العلوم والأعمال والأخلاق ، والأحوال الشريفة المحودة ، ألا ترى أن الله تعالى ذكر طائفة من خواص أصحاب عيسى عليه السلام فذهبهم إلى ظاهر اللبسة فقال عز وجل (ولما قال الحواريون) الخ الآية وكأوا قوما يلبسون البياض وهو الحرار فذهبهم الله تعالى إلى ذلك ولم يذهبهم إلى نوع من العلوم والأعمال والأحوال التي كانوا بها متممين فكذلك الصوفية نسبوا إلى ظاهر اللباس ولم ينسبوا إلى نوع من أنواع العلوم والأحوال التي هم بها متممون . ونسبهم قوم إلى الصفاء ، وإلى الصف الأول وعندنا أن التصوف علم يعرف به مباحث ترقى النفس في مقامات اليقين من التوبة والابانة والرضا وتعرف أيضاً به أحوال النفس من جهة قربها وبعدها من ربها فهو بالصفاء أرلى وقلنا في تعريفه في موضع آخر :

التصوف فناء في الحق ، وإعراض عن الخلق وتحقق باليقين ، وتسليم لظاهر الدين . . . وقلنا أيضاً ، التصوف أن يغنى حالك عن مقالك وتكون مع الله بلا كون في صحنك واعتلاك وأن تدع الخلق ظهرياً جملة وتفصيلاً وأن تعكف على ذكر الله بكرة وأصيلاً .

وسئل رويم بن أحمد عن التصوف فقال . استرسال النفس مع الله على ما يريد . وسئل سمنون عن التصوف فقال . . أن لا تملك شيئاً ولا يملكك شيء (أى لا تدعى فيما تملك بما هو لله عندك ما بك) . . وسئل عمرو بن عثمان المكي عن التصوف فقال أن يكون العبد في كل وقت بما هو أولى في وقته ولذا قالوا (الصوفي

ابن وثمة فإن قيل لك من الصوفية على التحقيق ؟ فقل : هم العلماء بالله العالمون بما
عليهم الله .

وقد وصفنا أهل التصوف عموماً فقلنا في وصف الصوفية هم المجتمة على الله
مهمهم المتعلقة بعظمتهم أسرارهم وقولهم والدين لا تشهد سوى الله أسرارهم
وليس إلا إليه غرضهم ورواحهم .

وقلنا في تعريف آخر الصوفي مر كان غنياً في فقره ، وفقيراً في غناه ومن إذا قرب
تأدب وإذا أوصى تحجب . وقلنا (خير العلم ما قربك إلى الله وخير العمل
ما جمهك عليه) .

وقال ذو النون المصري رحمه الله : أن الصوفي هو الذي لا يتعبه طلب ،
ولا يزعبه سلب (ومعناه أن يكون مع الله دائماً في حالى العطاء والمنع) . وقال
أيضاً هم قوم آثروا الله تعالى على كل شيء . وآثرهم الله على كل شيء . وقيل لبعضهم .
من أصحب ؟ قال . لأصحب الصوفية فإن للهيبج عندهم وجوها من المعاذير وليس
لكثير عمل عندهم موقع فيرونك ، فتعجب بنفسك . وأجمعوا على قول الجنيد
عن الصوفية من هم ؟ فقل ودبعه الله في خلقه يخفيها إذا أحب وظهرها إذا أحب

رأى القوم في التوحيد

قام رجل بين يدي ذى النون رضى الله عنه فقال خبرني عن التوحيد ما هو ؟ قال ؛
(هو أن تلم أن قدرة الله تعالى في الأشياء بلا زاج وصنعه للأشياء بلا علاج ،
وعلة كل شيء صنعه ، ولا سلة لصنعه ، وليس في السموات العلى ، ولا في الأرضين
السفلى مدبر غير الله تعالى) وقوله : (قدرة الله بلا زاج أى بلا مخاط يدعو إلى شركة
في تلك القدرة ، وقوله صنعه بلا علاج أى أنه تلافائياً لم يستعن عليه بشيء سواه .

وسئل الجنيد عن التوحيد فقال (معنى تضمحل فيه الرسوم وتندرج فيه العلوم
ويكون الله تعالى كما لم يزل) . يعنى يحيط علمه بكل علم دون سابق رسم أو حد .
وفي علمه تندرج رسوم الاعيان والوجودية وفيه أيضاً تقفى ويثق واحداً في الازل
كما كان واحداً في الابد .

العلم بالطريق الى الله

يستمد علم التصوف الاسلامي كيانه من الكتاب والسنة وإلهامات الصالحين وفتوحات العارفين وقد أدخلوا فيه أصولا وفروعا من علم الفقه لميسس الحاجة لهما في علم التصوف وحرر ذلك الغزالي في أحياه علوم الدين وقسمه إلى أربعة كتب • كتاب العبادات وكتاب العادات وكتاب المهالكات وكتاب المنجيات • وأما حكم الشارع فيه فقل الغزالي إنه فرض عين إذ لا يخلو أحد من عيب أو مرض نفسي سوى الانبياء عليهم السلام وقال الشاذلي رضي الله عنه • من لم يتغافل في علمنا هذا مات مصرا على الكبر وهو لا يشعر • وحيث كان فرض عين يجب السفر إلى من يأخذه عنه من علماء الطريق إلى الله إذا عرف بالترقية واشتهر بصحة السلوك - قال الشيخ السنوسي النفس إذا طغت كالعدو إذا طفئ فيجب مجاهدتها والاستئمانه عليها بمن يردّها إلى الصواب .

وموضوع بحث التصوف هو الحقيقة الالهية ذاتا وأسماء وصفاتا وأفعالا . ويبحث عن ذلك إما بالبرهان وأما بالشهود والعيان فالأول للطالبيين والثاني للواسلين . وقيل موضوعه : النفوس والقلوب والأرواح لأنه يبحث عن تصفيها وتنزيها وهو قريب من الأول لأن من عرف نفسه عرف ربه .

وأما مؤسس هذا العلم فهو النبي صلى الله عليه وسلم عليه بالوحي والالهام فنزل جبريل عليه السلام أولا بالشرعة فلما تقررت نزل ثانيا بالحقيقة فخص بها بعضا من أصحابه دون بعض وأول من تكلم فيه وأظهره سيدنا علي كرم الله وجهه وأخذه عنه الحسن والحسين ابناه وأخذ عنه كذلك الحسن البصري وأمه اسمها (خيرة) مولاة لأم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وأبوه مولى زيد ابن ثابت وتوفي الحسن عام ١١٠ هجرية ، ثم أخذه حبيب العجمي وأخذه عن حبيب أبو سليمان داود الطائفي وتوفي عام ١٦٥ هجرية وأخذه عن داود السري السقطي وتوفي عام ١٥١ هجرية وأخذه عنه إمام هذه الطريقة ومظهر أعلام الحقيقة أبو هاشم محمد الجنيد وأصله من نهاوند ومنشأه العراق تفقه على

أبي ثور وصاحب الشافعي ثم صاحب خاله السري السقطي وأبا الحارث المحاسبي وغيرهم وتوفي عام ٢٩٧ هجرية وقبره ببغداد ثم انقضى النصف ولن ينقطع حتى ينقطع الدين والدين لا ينقطع. وأما سلسلة سيدي أبي الحسن الشاذلي فقد أخذ الطريق عن سيدنا علي أول الأقطاب سيدنا الحسن ولده رضى الله عنهما ثم أخذ عنه أبو محمد جابر ثم القطب سعيد الغزواني ثم القطب سعد ثم القطب سعيد ثم سيدي أحمد المرواني ثم إبراهيم البصري ثم زين الدين القزويني ثم القطب شمس الدين ثم القطب تاج الدين ثم القطب نور الدين ثم القطب نضر الدين ثم القطب تقي الدين ثم القطب تاج الدين ثم القطب سيدي عبد الرحمن المدني ثم القطب الكبير عبد السلام بن مشيش ثم القطب الشهير أبو الحسن الشاذلي ثم خليفته أبو العباس المرسي ثم العارف بالله الكبير سيدي أحمد بن عطاء الله السكندري.

فلسفة التصوف

وقد قلنا وكررنا القول إن الصوفية ليست من الفرق الإسلامية المعهودة بنظم مخصوصة ومعتقدات لا يعترها التغير ولا يتناولها الطور. وإنما هي فلسفة نظرية وعملية نشأت مبينة على أصول الإسلام عقيدة وديانة وإيمانا وإحسانا. وقد أجمع أهل التصوف على نعمت هذا الطريق (بالسلوك إلى الله) وسموا من عزم على ذلك سالكا والسالك يترقى في مقامات متعددة ليصل إلى شهود الحق. والطوسي في كتاب اللمع - وهو من أقدم المؤلفات الصوفية - يصف هذا السلوك وصفا مدقعا جاءلا المقامات (سبعة) كل مقام منها كالنتيجة لمقام تقدمه وتلك المقامات هي: للتوبة. والورع. والزهد. والفقر والصبر. والتوكل. والرضا. وبالمجاهدة يتخطى الصوفي سائر المقامات السالفة الذكر ويتوصل إلى مراقب الأحوال. ويوجد فرق بين الأحوال والمقامات فال مقامات تتأق بالمجاهدة والسلوك وأما الأحوال فحالات روحية لا دخل لاجتهاد الإنسان فيها وهي كالتأمل والقرب والحب والخوف والرجاء والآنس والطمأنينة والمشاهدة واليقين بدرجاته الثلاث وهي علم اليقين وعين اليقين وصدق اليقين.

وأول المقامات التوبة . وهي الشعور بالخطيئة والندم الاكيد على فعلها ، والإفلاع عنها وإذا لم يستطع الصوف إلى ذلك سبيلا عليه أن يتوب مرة ثلثا المرة حتى يتوب الله عليه ، ويروى أن أحدهم كرر عملية التوبة سبعين مرة . ويضاف إلى الشعور بالخطيئة والندم على تركها عدم التفتير فيها . وبعد التوبة يلحق (الطاب) ، رشد أو شيخ بطيعة ، ولا يجوز سلوك الطريق إلى الله دون مرشد فيكون مثله كمثل حديفة لا يعتنى بها فلا تثمر ثمراً صالحاً . . . وثاني المقامات ، الورع . وفيه يتحرى السالك الحرام من الحلال ، ويجنب كل ما فيه شبهة ثم عبادة الله والانصراف بقلبه عن الدنيا والانصراف عن اللذات الشهوانية والعطوطف الدنيوية إلى التأمل في الله والتقرب إليه .

ثم مقام الزهد ولم يشترطوا الزهد في المراتب المادية فقط بل والافكار فيها . لكي لا تصرفه عن مطلوبه ثم مقام الافقار إلى الله وفيه يرى السالك أنه لا يملك شيئاً ولا يملكه شيء ، ويتلو هذا مقام الصبر ، وفيه يعادى السالك نفسه لأنها عنصر الشرفية والحاجز بينه وبين مولاه ، أو لم يقل النبي صلى الله عليه وسلم (أعدى أعدائك نفسك التي بين جنبيك) ويكون العبد قد خاض من رعونته نفسه بدرجاتها الثلاث الامارة واللوامة والملمهة . وبلى ذلك مقام التوكل والصبر . وقوامهما الابتعاد عن كل إرادة شخصية وإنما الإنسان آلة في يد الخالق يديرها كيف يشاء وأنى شاء وبذا يتحرر من سائر الافعال البشرية فيرد إلى إرادته المستقيمة فيستعمل الدنيا كما يشاء ويكون زهده بقلبه وإن ملك الدنيا بيده .

المقام الأخير مقام الرضا وراحة النفس والسلام الروحي . وللوصول إلى ذلك تعقد حلقات الذكر أو يمارسها الشخص على افراد في خلوة . ويظل يكرر لا إله إلا الله أو لفظ (الله . . الله) إلى أن يكمل لسانه فيشعر أنه إنما ينطق بقلبه ولذلك نظام خاص يدور حول سبعة أسماء سندها . وبمقام الرضى يستعد السالك للترقى إلى الأحوال وسنفصل ذلك فيما بعد .

وينقسم التصوف في السلوك إلى مذهبين المذهب الرياضي والمذهب الاشراقي وقد جاء في القرآن الكريم (الله نور السموات والارض . . الخ) بيد أن هذا النور الإلهي أمر لا تدركه العيون المجردة وإنما يدرك بالقلب شهوداً ويتصل

إلى ذلك بالرياضة والمجاهدة ، ونقول في تعريف هذه المشاهدة ما معناه (إدراك القلب لما هو مخبوء خاف ستار الكائنات من أسرار في العالم غير المظاهر بواسطة نور اليقين وهذا النور (نور اليقين) منبثق من مصدر النور الإلهي الأزلي ولولاه لاستحالت معرفة الله ، وعمدة السلوك هنا تصفية النفس مع الاحاطة بالعلوم الموصلة لذلك فهو طريق البرهان ؛ وعمدة السير فيه العبادة والمجاهدة إلى أن يشرق نور الحق على القلب ، فالأول طريق الاشراف وشرطه للنظر الفكري والثاني طريق لرياضة وشرطه المجاهدة وكثرة العبادة والذكر مع الفهم .

ويقول في مذهبي الاشراف والبرهان صاحب المباحث الاصلية على هامش

ليقظ الهمم

وفرقه قالت بأن العلم — من خارج بالاكتساب اسمي
وشرطوا العلوم في اصطلاحه — اذ لاغى للباب عن مفتاحه
فليس للطامع فيه مطمع — مالم يكن فيه علوم أربعم
وهي علوم الذات والصفات والفقه والحديث والحالات
وهذه طريقة البره — وهي لكل حازم يقظ — ان

وشرط الطرق عموما اصلاح الظاهر أولا . فعلاجه قبل علاج الباطن لإن العلم دواء وشفاء للعلل الظاهرة لقوله صلى الله عليه وسلم (العلم إمام والعمل تابعه) وقال أيضا (تعلموا العلم فتعلمه خشية لله وطامع عبادة ومذاكرته تسبيح والبحث فيه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وبذله لأهله قرينة ؛ لأن في العلم معالم الحلال والحرام ومنارسبيل أهل الجنة) ومراده العلم بالله وبشرع الله . فشرط السلوك تعليم وتحصيل العلم الظاهر لأنه مفتاح لعلم الباطن حيث إن الشريعة باب والحقيقة بيت ولامدخل للبيت إلا من بابه وقال تعالى (وأتوا البيوت من أبوابها) فلا يطمع أحد في علم الحقيقة والاطلاع على السر إلا بعد تحصيل أربعة علوم

١ - علم الذات العلية ويسكفيه أن يعتقد فيها إنها موجودة قديمة باقية منزهة

عن النقاش متصفة بصفات الكمال

٢ - علم الصفات ويكفيه أن يمتد أن الذات العلمية متصفة بالقدرة والارادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام وأن زاد براهينها من الكتاب والسنة فهو كمال وأن أسعده الله ببقاء شيخ كامل قاده إلى علم الاذواق وصار توحيده إلى آفاق الشهود والعيان

٣ - علم الفقه ويكفيه منه ما يتقن به طاعته : صلاته وصيامه ولما كان له مال تعلم ما يجب عليه فيه ولا يقدم على شيء حتى يعلم حكم الله فيه

٤ - علم الاحوال والمفامات والمنازلات ومخادع النفوس ومكايدها وما يجري مجرى ذلك من آداب ومعاملات وهذا العلم يختص به أهل القلوب وللناس فيه طريقان

الاول : طريق رؤية الحق من أول قدم والعمل على ذلك بالتحياز اليه وهو طريق الشاذليه ومن نحا منحورهم

الثاني : طريق رؤية النفس وإطلاع الحق عليها والعمل على ذلك وهي طريقة الغزالي ومن جرى مجراه وكل منهما مستند في قوله على الحديث (أن تميد الله كأمك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) فتمسكت الشاذلية بصدر الحديث والغزالية بآخره

وسميت الطريقة الاولى بالإشراق والثانية بطريقة البرهان فإذا صفت الروح وتطهرت زال عنها الحجاب . ومن تأمل طريق الشاذلية الحقيقة وجدها جمعت بين طريق الإشراق وطريق البرهان لأن أشياخها السكمل يدلون أولاً على الشريعة علماً وعملًا ثم الفناء والتجلى وما إلى ذلك وهي بهذا تكون قد جمعت بين طريق البرهان وطريق الشهود والعيان

وضوح الطريق . قال أحمد بن خضرويه البلخي : الطريق واضح والدليل لا تح والداغى قد أسمع في التحجير بعد هذا إلا من العمى . وسمعت رابعة العدوية صالحا المرى يقول : من أدمن قرع الباب يوشك أن يفتح له . فقالت له : الباب مفتوح وأنت تفر منه ، فكيف تصل إلى مقصد أخطأت الطريق اليه في أول قدم؟

وقال ابن عطاء الله . لا يخاف عليك أن تلبس الطريق عليك وإنما يخاف عليك من غلبة الهوى . فلا يخاف عليك التباس الهدى وإنما يخاف عليك اتباع الهوى والجهال من الناس وأن تطع أكثر من في الأرض يسلوك عن سبيل الله . فلا يخاف عليك عدم وجود أهل التحقيق وإنما يخاف عليك فطاع الطريق .

من أخلاق أهل النصف

عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (أن الله تعالى أوحى إلى أن تواضعوا ولا يبغي بكم على بعض) وعن محمد بن جابر اليماني عن سليمان بن عمرو عن أبيه عن حده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أن من رأس النواضع أن تبدأ بالسلام على من لقيت عرفت أو لم تعرف وترد على من سلم عليك وأن ترضى بالأدنى من المجلس وأن لا يحب المدحمة والتزكية) . وورد أيضا عنه صلى الله عليه وسلم (طربى لمن تواضع في غير منقصة وذل في نفسه من غير مسكنة) وسئل الجنيد عن التواضع فقال خفض الجناح ولين الجانب . وقال الثوري (خمسة أنفس أعز الخلق في الدنيا : زاهد وفقير صوفي وغى متواضع وفقير شاكرك وشريف سني) .

وقال الحريري صح عند أهل المعرفة أن للدين رأس مال خمسة في الظاهر وخمسة في الباطن فأما اللواتي في الظاهر فصدق في اللسان وسخاوة في التملك وتواضع في الأبدان وكب الأذى واحتماله . وأما اللواتي في الباطن فحب لله وجود بالنفس وخوف الفراق من سيده ورجاء الوصول إلى معبوده والندم على السيئ من فمله والحياء من ربه وقال يحيى بن معاذ : التواضع من الفقراء حسن ولكنه من الأغنياء أحسن والنسك من الأغنياء سمج وهو من الفقراء أسمى .

وعن عروة عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يقول مكارم الاخلاق عشرة تكون في الرجل ولا تكون في ابنته وتكون في الابن ولا تكون في أبيه وتكون في العبد ولا تكون في سيده يقسمها الله تعالى لمن أراد به السعادة : صدق الحديث وصدق البأس وأن لا يشبع وجاره وصاحبه

جائعان وأعطاه السائل والمكاتباء على الصنائع وحفظ الأمانة وصلة الرحم والتذم للصاحب وإفراء الضيف ورأسهن الحياء ، وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس الجنة (قال تقوى الله وحسن الخلق) وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار فقال (الغم والفرح . ويكون هذا الغم غما لفوت الحظوظ العاجلة لأن ذلك يتضمن اليأس والتضييع وفيه الاعتراض على الله تعالى وعدم الرضا بالقضاء ويكون الفرح المشار إليه الفرح بالحظوظ العاجلة التي تدعى الله وأهله يقول : (اسكني لا بأس على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم) وهو نفسه الفرح لذى قال عنه الله تعالى (إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين) لما رأى مفتاحه تنوء بالعصبة أولى القوة . فأما الفرح الحظوظي الآخر في محمود وينافس فيه قال تعالى (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا) وفسر عبد الله بن المبارك حسن الخلق فقال هو بسط الوجه وبذل المعروف وكف الأذى .

وقد أوصى الرسول صلى الله عليه وسلم معاذاً بوصية جامعة لحاسن الأخلاق فقال (يا معاذ أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث والوفاء بالعهد وأداء الأمانة وترك الخيانة وحفظ الجوار ورحمة اليتيم ولين الكلام وحسن العمل وقصر الأمل ولزوم الإيمان والتفقه في القرآن وحب الآخرة والجزع من الحساب وخفض الجناح وإياك أن تسب حليماً أو تكذب صادقاً أو تطمع آثماً أو تدعى إماماً عادلاً أو تفسد راضياً أو صيكت بآثام الله عند كل بحر وشجر ومدر وأن تحدث لكل ذنب توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية بذلك أدب الله عباده ودعاهم إلى مكارم الأخلاق وإلى محاسن الآداب . وروى أيضاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث عن معاذ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (وصف الإيمان بمكارم الأخلاق ومحاسن الآداب) وعن أبي الدرداء قال سمعت النبي يقول ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق وإن صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة فوق درجة صاحب الصوم والصلاة) .

وبإسناد عن أبي موسى قال سمعت أبا يزيد البسطامي يقول : من ترك قراءة القرآن والتعشف ولزوم الجماعة وحضور الجنائز وعيادة المرضى وادعى هذا الشأن فهو مبتدع . عن الجيلي يقول : سمعت سرياً يقول من

ادعى باطن علم ينقض ظاهر حكم شرعى فهو مغالط وعن الجنيد أنه قال مذهبنا هذا مقيد بالأصول من الكتاب والسنة . وقال أيضاً - لدينا منوط بالكتاب والسنة من لم يحفظ الكتاب ويكتب الحديث ولم يتفقه لم يقتدى به . وعن الحريري قال : أمرنا هذا كله بمجموع على فصل واحد وهو أن نلزم قلبك المرافبة ويكون العلم على ظاهره قائماً . وعن جعفر قال : من لم يزن أدواله وأعماله وأواله بالكتاب والسنة ولم يهتم خاطره فلا تعده في ديوان الرجال .

حقائق الطريق

قال السيوطي : عن جريج عن عطاء عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أن من العلم كهيئة المكتون لا يعلمه إلا أهل العلم بالله فإذا نطقوا به لم ينكره إلا أهل الغرة بالله) وبسند مسلسل عن طريق أحمد بن غسان عن عبد الواحد بن زيد عن الحسن عن حذيفة مرفوعاً (سألت جبريل عن علم الباطن ما هو فقال قال الله تعالى هو سر بيني وبين أحبائي أودعته في قلوبهم) وعن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لكل آية ظهر وبطن) وقال ابن التقيب في تفسيره ظهر الآية : ما ظهر من معانيها لأهل العلم بالظاهر ، وباطنها ما تضمنته من الأسرار التي أطلع الله عليها أرباب الحقائق . وقال صاحب التعرف عن نطق بعلوم القوم وعبر عن مواجيدهم ونشر مقاماتهم ووصف أحوالهم قولاً وفعلًا بعد الصحابة على بن الحسين بن زين العابدين وابنه محمد الباقر وابنه جعفر الصادق وأويس القرني والحسن البصري وأبو حازم سلمة بن دينار ومالك بن دينار وعبد الواحد بن زيد وعتبة العلام وأبراهيم بن أدهم والفضيل بن عياض وابنه على وداود الطائي وسفيان الثوري وأبو سليمان الداراني وابنه سليمان وأحمد بن أبي الحواري وذو النون المصري وآخرين وذكر غيره أن علياً بن أبي طالب أول من نهج الطريق بعد النبي ﷺ ابنه الحسن .

وأما كلام على فأشهره ما أورده كثير من الصوفية في كتبهم ، وما أخرجه

أبو نعيم في الحلية قال أخذ علي بن أبي طالب رضي الله عنه بيدي فأخرجني إلى ناحية الجبانة فلما أصبحنا جلس ثم تنفس ثم قال يا كميل ابن زياد (الغلوب أوعية وخيرها أوعاها . احفظ ما أقول لك . الناس ثلاثة : فعالم رباني ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع اتباع كل ناعق . إلى أن قال ان هاهنا وأشار بيده إلى صدره علم الخ وقد قدمنا هذا الحديث كاملاً في الكلام عن العلم .

وأخذ الأستاذ أبو القاسم القشيري طريق النصوص عن الأستاذ أبي علي الدقاق عن أبي القاسم النضر أباذي عن الشبلي عن الجنيد عن السري السقطي عن معروف السكرخي عن دارود الطائي وداود لقي التابعين .

قال يحيى بن عمار التيمي السجستاني العلم خمسة علم هو حياة الدين وهو علم النوحيد ، وعلم هو قوت الدين وهو علم العزة والذكر ، وعلم هو داه الدين وهو العفة ، وعلم هو دواء الدين وهو اخبار فتن السلف وعلم هو ضياع الدين وهو علم الكلام والجدل . وقال الشافعي رضي الله عنه صحبت الصوفية فلم استفد منهم سوى ثلاث كلمات . قولهم الوقت سيف ان لم تقطعه قطعك ، وقولهم نفسك ان لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل ، وقولهم قد يكون العدم عصمة .

قال شارح منازل السائرين : حقيقة الشيء عند أهل هذا الشأن وعلاماته الدالة عليه قوله ﷺ حارثه . كيف أصبحت ؟ فقال أصبحت مؤمناً حقاً فقال عليه الصلاة والسلام ان لكل قول حقيقة فما حقيقة ايمانك فقال (عزفت نفسي عن الدنيا ولو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً) اخباراً عن صحة ايمانه . ويظهر لي أن أهل هذا الشأن انما سموا علمهم علم الحقيقة أخذاً من لفظ الحقيقة في هذا الحديث وقد ظهر لي أن نسبة علم الحقيقة إلى علم الشريعة كنسبة المعاني والبيان إلى علم النحو فهو سره الذي يبنى عليه فمن أراد الخوض في علم الحقيقة من غير أن يعلم الشريعة فهو من الجاهلين ولا يحصل على شيء من سرها كما أن من أراد الخوض في أسرار علم المعاني والبيان من غير أن يحكم علم ذلك فهو يخطو خط عشواء ، وكيف يدرك أحوال الأستاذ والمُسند والمُسند إليه ومتعلقات الفعل من لم يعرف المبتدأ من الخبر والفاعل من المفعول وهذا بين لكل أحد والحقيقة سر الشريعة ولها الخالص كما أن المعاني والبيان سر النحو ولطائنه ، والنصوف فقه بلا شك

إلا أنه فقه بمعنى الفهم في الدين وهو الفقه بالمعنى الصحيح فإن أكثره تكاليف واجبة
ومندوبة ومنها محرمة ومكروهة ، وقد نص على أن أبواب التصوف مبنية على
الفقه والتوحيد جماعة كثيرة من أهل الأصول حيث ذكروا حد الفقه ووافقهم
ابن السبكي في جمع الجوامع ، وضم إليه مسائل أصول الدين التي يجب اعتقادها
فقال أنها عندى فقه ثم نصوص. وأعلم أن دقائق علم التصوف لو عرضت معانيها
على الفقهاء بالعبارة التي ألفوها في علومهم لاستحسنوها كل الاستحسان وكأوا
أول قائل بها وإنما ينفرهم منها إيرادها بعبارات مستغربة واصطلاحات لم يألفوها
وسئل الشيخ عز الدين بن عبد السلام عن قول العلماء في الأحياء لما ذكر
معرفة الله تعالى والعلم به قال والرتبة العليا في ذلك للأنبياء العارفين ثم العلماء الراسخين
ثم الصالحين فقدم الأولياء على العلماء وفضاهم عليهم وقال الأستاذ القشيري في
أول رسالته: أما بعد فقد جعل الله سبحانه هذه الطائفة صفوة أوليائه وفضلهم على
الكافة بعد رسله وأنبيائه وعاق عليه الشيخ عز الدين بقوله: أما تفضيل العارفين
بالله على العارفين بأحكام الشرع فقول الأستاذ القشيري وأبو حامد الغزالي وهو متفق
عليه ولا يشك عاقل أن العارفين بما يحب الله من أوصاف الجلال وتعرف نعوت الكمال
وبما يستحيل عليه من العيب والبقيان أفضل من العارفين بمجرد أحكام الشرع بل العارفون
بالله أفضل من أهل الفروع والأصول جميعا لأن العلم يشرف بشرف المعلوم وبشرفاته
فالعلم بالله وبصفاته أشرف من العلم بكل معلوم من جهة أن متعلقه أشرف المعلومات
وأكملها ولأن ثماره أفضل الثمرات، إن معرفة كل صفة من الصفات توجب حالا لعارفها
وينشأ عن تلك الحال ملازمة أخلاق سنية ومجانبية أخرى دنية. فمن عرف سعة
الرحمة أثمرت معرفته سعة رجاء ومن عرف شدة النعمة أثمرت معرفته شدة
الخوف وأثمر خوفه الكف عن الأثم والمعيان والفسوق ثم الورع وحسن
الانقياد والاذعان للشرع ومن عرف أن جميع النعمة منه أحبه وأثمرت المحبة
آثارها المعروفة في قلبه وقالبه وكذلك من عرف تفرد النفع والضر لم يعتمد
إلا عليه ولم يفوض إلا إليه، ومن عرفه بالنظمة والجلال هابه وعامله معاملة
الهابئين من الانقياد والتذلل لعزته وغير ذلك. فهذه بعض ثمار معرفة الصفات
الالهية ولا شك أن معرفة الأحكام فقط لا تورث شيئا من هذه الأحوال .

وكيف يساوى بين العارفين والمقهاء ، والعارفون فقهاء ثم عارفون ثم متقون .
فهم أفضل الخلق وانقاذهم لله والله سبحانه وتعالى يقول (ان أكرمكم عند الله اتقاكم)
وقد مدحهم في كتابه المبين أكرم مدحة للعالمين ، في قوله تعالى (انما يخشى الله من
عباده العلماء) انما أراد العارفين به وبصفاته وأفعاله دون العارفين بأحكامه ،
فلا يجوز حمل ذلك على علماء الأحكام .

وقال صاحب التعرف إلى أهل التصوف في خطبته مشيراً إلى هذه الطائفة :
جعل الله فيهم صفوة وأخياراً ونجباء وأبراراً ، سبقت لهم منه الحسنى ، وألهمهم
كلمة التقوى ، وعرف بنفوسهم عن الدنيا ، صدقت مجاهداتهم فالوالمعلوم الدراسة
وخلصت عليها معاملاتهم ففتحوا علوم الوراثة ، ووفقت أسرارهم للحق فأكرموا
بصدق الفراسة ، ثبتت أقدامهم وزكت أفهامهم وأنارت أعلامهم ، وقد فهموا
عن الله وساروا إلى الله وأعرضوا عما سواه ، خرقت الحجب أنوارهم وجاءت عند
ذى العرش أخطارهم وعميت عما دون الله أبصارهم . أجسامهم تحمل روحانيين
في الأرض وسمايين مع الخلق .

وكان الشيخ قطب الدين محمد بن أحمد بن علي القسطلاني أحد أئمة الشافعية
وأحد أئمة التصوف ، أخذ عن السهروردي واجتمع بالشاذلي وترجمه الأسنوي
في الطبقات فقال : كان ممن جمع العلم والهيبة والورع والكرم ، وطلب من مكة
وفرضت له مشيخة دار الحديث الكاملية بالقاهرة إلى أن مات بها عام ٦٨٦
هجرية . وقد قال في كتاب له في التصوف سماه اقتداء الغافل بالعاقل ما يخصه :
إن الله بحكمته ونعمته أقام في كل عصر من جعل له لساناً معبراً عن عوارف المعارف
الالهية مخبراً عن لطائف العواطف الربانية يصل الله به ما انقطع من علوم الأنبياء
ومعارف الأولياء .

الدعاة إلى الله

الدعاة أربعة : داعٍ بالله إلى الله وداعٍ بالله إلى شريعة الله ، وداعٍ بالله إلى
حكمة الله ، وداعٍ إلى حظوظ نفسه في طريق الله . والداعى إلى الله هو المقرب
الملحوظ المفارق للحظوظ . يدعو إلى الصدق في العمل والاخلاص ويهتدى من ضل
إلى طريق المعرفة بالله وسبيل الخواص من الناس . والداعى إلى شريعة الله ، وهى
العلم بالأحكام من الحلال والحرام مبصر للسالكين بطريق المهتدين السابقين .
والداعى إلى حكمة الله هو الداعى إلى العلم بأحكام الظاهر والباطن من علمى
الشريعة والحقيقة على سواء وذلك ببيان علم الخواطر وعملها ، وصفات النفوس
وآفائها وإظهار طرق البحث عن دساتها . والداعى إلى الله أقلهم تابعاً لعظم مادعا
إليه ، والداعى إلى شريعة الله تابعه كثير لرغبة النفس وممازجة أفعالها فيما تأتى
به من طلب الاعراض على الأعمال . والداعى إلى حكمة الله أقل تابعاً وأعلى مطالبا
لعزة الوصول إلى ما يدعو إليه من طهارة النفس وتزكيتها ، وأما الرابع وهو
الداعى لحظوظ نفسه بطريق ربه فباطنه معلول بالآفات النفسية وسره مشحون
بالجهالات الصعبة . ثم ان الدعاة فى مناهجها على وجوه أحدها داعٍ إلى الغنى بالله
من حيث استغنائه بالإيجاد له من الله ابتداء كما قال تعالى وقد خلفتك من قبل ولم
تكن شيئاً وثانيها داعٍ بالانتقار إلى الله فإن ذلك وظيفة العبودية ، وثالثها داعٍ
بالأخلاق الرحيمه كما قيل تخلقوا بأخلاق الله أى من الرحمة والحلم والجلود والعفو
ونحو ذلك ، وهذه هى أجل الدعوات إلى الله ثم إن طريق القوم لما اندرس رسمه
وبقى اسمه اعتكف رجاله وصاروا آحاداً فى البلاد وتفردوا بالجد والاجتهاد
صبراً فى الله واكتفاء به . فهم خاصه الله من خلقه وخلاصته من عباده المختارين
فى أرضه ، طهر أسرارهم ونور أفكارهم فهم الداعون إلى بابه حقاً ، المعروفون
بعرفانه تحقيقاً الواقفون الدالون على ما أشكل من علم الطريق على أربابه وقد
حرس الله هذه الطائفة من الزيف بما أقام لها من الهداة العالمين بها يذبون عنها

طغيان الطاغين وجهل الجاهلين فيميزون بين المنقطع عن الله والواصل ويعرفون مسالك الطريق ويهيئون طالبه اليها ووقفون على الصواب من لم يهتد إلى مذهبها لا يبالون باعتراض جاهل أو عالم ولا تأخذهم في الله لومة لائم .

فعلى قدر تمكن الخشية من القلب يكون العلم بالله تعالى كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (والله إني لأعرفكم بالله وأشدكم خوفاً منه) ولا تكون الخشية إلا للعالم بالله ، فالخشية باعثة على الجد في العمل قاطعة لما اتصل من الأمل موجبة لما يحصل في القلب من الوجل وقال سهل (الدنيا كلها جهل إلا ما كان منها علماً والعلم كله حجة على صاحبه إلا ما كان منه عملاً والعمل موقوف إلا ما كان منه إخلاصاً والإخلاص كله مردود إلا ما كان منه بالكتاب واللسنة) وأعلم أن علم الباطن يدور على أصاين علم بالله وتصاريقه أشمون مخلوقاته وعلم بالنفوس ومراقبها وكما لم نقصها ومحاسنها ومعانيها ، دلالة على أن الحق كامن في أنفسهم وعالمهم أن يتعرفوا إليه بتعرفهم إلى أنفسهم فيتعرفون إلى الله ، وعلم بالنفوس ومراقبها وكما لم نقصها ومحاسنها ومعانيها ، في الأصل الأول يقول الله تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع الحسنيين) تصریح من الله بأن له قوماً أكرمهم بالاهتداء إليه وجعلهم أدلاء على طريقه بعد أن تلبس بهم يهدون إلى سبيل الله وطريقه من جهلها وفي الأصل الثاني يقول الله تعالى (و أنفسكم أفلا تبصرون)

وأعلم أن علاج النفوس منحصر في وصفين الأول إزالة النقص عنها مثل مجانبة الحسد والكبر والغضب والغل والغش والطمع والحقد والعجز والبخل والشح والرياء والخداع والحرص والمكر والفحمة والخيانة والقسوة والغلبة والعنلة والعجلة والحدة والفخر والخيلاء والمباهاة والمنافسة واحتقار الخلق وسوء الأدب وحب الثناء والرغبة في الشكر والتصنع للخلق واتباع الهوى والتعجب وطول الأمل والأشر والبطر والبغى والظلم والعناد والغيبة والتهميم وطالب المعاليه بالباطل وذكر معاييب الخلق وخلو القلب من الحزن والفرح بالعاجل والحزن على الغائب والاعتراض على تدبير الله وما ضامى تلك الخصال الذميمة والأفعال القبيحة فحق على كل مسلم يريد القرب من الله أن يتفقد نفسه ويتقيها من هذه الصفات وينزهها عنها فإنها داعية إلى الهلكات ورفض الأعمال الصالحات . الثاني

تحصيل الكمال والقوى والورع والزهد والشكر والصبر والقناعة والرضا واليقين والنوكل والتمويض والتسليم والصدق والإخلاص والنية ثم رؤية المنة لله والاحتساب في الأعمال والسخاء والشفقة على عباد الله وسلامه الصدر والمبادرة للأمر والخشوع والتواضع والمراقبة والمحاسبة وحسن الظن بالله وحسن الطاعة له وحسن الخلق وحسن المعاشرة للخلق وحسن المعرفة بالله والحب له والأنس به والشوق إليه ثم شهود وعظمته في ملكه وملكوته وغير ذلك من صفات الكمال ، فإذا نفى السالك نفسه من المذموم وأثبت الحمود من هذه الصفات والحلال وضح الطريق وقرب التحقيق واجمالاً فإن الأمر لا يعدوا وتخليه النفس عن الرذائل وتحليتها بالفضائل وفي هذا المعنى يقول صاحب المباحث الأصلية :

واعلم بأن النفس كالمرآة ينطبع الماضي بها والآتي
وأما يعوقها أشياء ترك المحاذاة أو الصدا

ويقصد بالصدا الاحلاق المذمومة وبعدم المحاذات الانصراف عن التوجه إلى الله بالحلال الحمودة وبده الطريق التوبة من خصال النفس الامارة والترقى عنها إلى اللوامه ثم الملهمة ثم المطمئنة وذلك بمحاسبة النفس على الخفوات ثم المراقبة لما يصدر من الخفوات ثم الفكرة فيما يتعاق بالله من صفات الفعل وصفات الذات ثم بهذه الصفات يتخاق من الرحمة باسمه الرحيم ومن الاحسان باسمه المحسن ومن نفع العباد باسمه النافع وهكذا في باقى الاسماء فيتخاق بكل اسم منها فيما هو به لا تيق فاذا حصل من النفس التخاق المذكور ترقى حاله فيحصل بها التأثير في الموجودات والحظوة بسر حكمه الله في الاراضين والسموات فتترقى النفس بذلك كله إلى شهود الذات الصادر عنها أنواع المبدعات ، ومن طريق القوم أن لهم في كل عمل نية لتسكون قلوبهم حاضرة فيما يعانون من الأفعال والأقوال حتى يبتقى ذلك عادة لهم فتتمرن النفس على ذلك فلا يطغى السالك لطريق الله ولا يغفل ولا يسهو . ثم اعلم أن كل طائفة إذا اشتغلت بعلم لا بد لها من مصطلح في ذلك العلم حتى يتميزوا به ويقع به التخطيب بينهم كما وقع لأرباب الصنائع كالنجارة والحياكة وغير ذلك فافترقت هذه الطائفة إلى مصطلح يعبرون به عن معلوماتهم ومقاصدهم حتى يقع الفرق بين من انتهى إلى طريق القوم وتخاق بأخلاقها وتأدب بطريقةها

ومارس علومها وبين من كان خالي الذهن منها ومعرضا عنها وآخذا في غير منهاجها أو معاشرها لاهلها قد تزييا بزيتها ولم تسم همته إلى طلب علومها وفهم مصطلحها فظن من رآه أنه من علمائها، ومع ذلك فإن العبارة والاشارة لا يدلان إلا على وجود النفس الأمارة وذلك لمن اهانه الله فاختر البطالة . وقال بعض المنكبين لابن عطاء الله ما بالسكم أيها الصوفيه اشققتم الفاظ ومعاني وجملا أغربتم بها على المفهوم العام وبلبأتم أذهان المسلمين؟ فقال ما فعلنا ذلك إلا لنعيرتنا على علومنا لعزتها علينا وقيمتها عند الله حتى لا يتدخل في علومنا غير طائفتنا من اصناف الجهال وأهل البطالة ممن لا ينتسبون إلينا وليسوا من طائفتنا . ومن ألقاظ أهل الطريق إلى اصطلاحوا عليها: الوقت والمقام والحال والخاطر والوارد والشاهد والسر والنفس والغلبة والقبض والبسط والجمع والفرق والفناء والبقاء وألفاظ أخر سنبينها إن شاء في الكتاب الرابع تحت عنوان مصطلحات أهل التصرف .

ويقول الإمام الغزالي في الاحياء في باب الغرور ويمان اصناف المعتبرين: الصنف الثالث المتصوفة وليسوا من أهل التصوف ، والمعتبرون منهم فرق ففرقة منهم متصوفة أهل الزمان (إلا من عصمه الله وأيده) يتظاهرون بالزى والهيئة مع فراغ الباطن فيشاركون الصادقين من الصوفية في زيهم وهدمهم وفي ألقاظهم وفي آدابهم واصطلاحاتهم وفي أحوالهم الظاهرة بمجرد الاجتماع والرقص وتصنع الطهارة والصلاة والجلوس على السجادات مع إطرق الرأس وإدخاله في الجيب كالمتهنك وفي تنفس الصعداء وفي خفض الصوت في الحديث إلى غير ذلك من الشمائل والهيئات ، فلما تكلموا هذه الأمور وتشبهوا بهم فيها ظنوا أنهم يكونون بذلك صوفية ولم يتعبوا أنفسهم قط في المجاهدة والرياضة ومراقبة القلب وتطهير الباطن والظاهر من الآثام السيئة الخفية والجلية . ومنهم من ظن أن التصوف مجرد قراءة الكتب المؤلفة فيه والبحث فيها وهذا غلط كبير إنما التصوف هو السعى العملي في إصلاح القلب وتطهيره من الامراض الخبيثة وتهذيب النفس وتفقد عيوبها ؛ وما رأيت أحدا قط ممن يقرأون الكتب يأتي أهل التصوف الحقيقي فيذكر شيئا من أمراض قلبه ويسألهم عن دوائها .

رأى القوم في حقيقة الطريق

قال أبو عبد الله محمد بن علي الترمذي الحكيم : الناس صنفان فصنف منهم يعبدون الله على حرف وهم متوجهون إلى رؤية أنفسهم وإقبال الزمان مع طاب النفوذ والدولة والصولة فهم يعمرون دنياهم ويخربون أحرارهم يتخربون أنفسهم من العلم والعمل . وصنف منهم أهل اليقين يعبدون الله على وفاء التوحيد مع كشف الغطاء وإزالة الحجب وقطع الأسباب المانعة فهم غير ملتفتين إلى إقبال الزمان وإدباره ولا يضرهم إدباره إذا أدبرو ذلك مصداقا لقول النبي ﷺ (إن لله عبادا يغذوهم برحمته ويميتهم في عافية وتمرهم الدين كقطع الليل النظم فلا تضرهم) وقوله صلى الله عليه وسلم (يكون في أمتي نين لا ينجو منها إلا من أحياه الله بالعلم) قال الترمذي يعني العلم بالله فيمانرى . وقال أيضا من ادعى الولاية فيقال له صف لنا منازل الأولياء واذكر لنا مسائلهم وذلك معيار لمن ادعى الولاية . ومن رأى المأوفاً أنه يمكن الادعاء من زكى لقرن في كل العلوم حتى الطب وربما يؤهم بعض الناس فيصدقون ما ادعى إلا العلم بالله وإلا الولاية الحقيقية ومضاهاة الولي الحقيقي .

وقال شيخنا سيدي أبو الحسن الشاذلي رضى الله تعالى عنه : الطريق إلى الله تعالى وهو بأربعة أشياء من جاوزهن فهو من الصديقين ومن جاوز من ثلاثا فهو من أولياء الله المقربين ومن جاوز من اثنين فهو من الشهداء الموقنين ومن جاوز منهن واحدة فهو من عباد الله الصالحين .

وأولها الذكر وبساطه العمل الصالح وثمرته النور . والثاني التفكير وبساطه العبادة وثمرته العلم . والثالث لا فتقار إلى الله وبساطه الشكر وثمرته المزيد . والرابع الحب وبساطه بغض الدنيا وأهلها وثمرته الوصلة بالمحبوب .

وقال في مكان آخر : طريق التصوف تدريب النفس على العبودية ووردها إلى أحكام الربوبية

وقال حاكيا عن شيخه سيدي عبد السلام بن مشيش أنه قال أخلاق الصديقين عشرون . كلوا واشربوا ، والبسوا ، وانكحوا ، واسكنوا ، وضعوا كل شيء .

حيث أمركم الله ، ولا تسرفوا ، واعبدوا الله ولا تشركوا به واشكروه ، وعليكم
بكت الأذى وبذل الندي فإنها نصف العقل والنصف الثاني أداء الفرائض واجتناب
المحرم والرضا بالقضاء . ومن عبادة الله ادمان الفكر في أمر الله والفقه في دين الله
وعين العبادة الزهد في الدنيا ورأسها التوكل على الله فهذه عبادة الأصحاء المؤمنين
وإن كنتم مرضى فاستشفوا واقتدروا بالعلماء بالله واحترأوا منهم الهداة الأنقياء
الموكلين على الله .

وقال الشيخ تاج الدين بن عطاء الله في لطائف المئين أن رفع الهمة عن الخاف
شأن أهل الطريق وصفة أهل التحقيق ولقد سئل الجيد أينى العارف فقال وكان
أمر الله قدر المقدور والعمرى لو سئل أيطمع العارف في غير الله لعل لا وإنما مراد
الحق سبحانه أن يفرد عباده عن كل شيء بالحب والثقة والتوكل والخوف والرجاء
وذلك هو الذى تستحقه فردانيته وتوحيده وعظمته ، ورفع الهمة إنما ينشأ عن صدق
الثقة بالله على سبيل المعايين فيجب لهم إيمانهم الاستزاد بالله . قال الله تعالى (والله
العزة ورسوله والمؤمنين) وطلب النصر من عند الله يقول تعالى (وكان حقا
علينا نصر المؤمنين) والنجاة من من العوارض قال تعالى :

(وكذلك ننجي المؤمنين) وشعار أهل الإرادة ودثارهم الاكتفاء بالله ورفع
الهمة عما سوى الله وصيانة ملابس الإيمان من أن تدنس بالميل إلى الأغيار من
الأكوان والطمع في غير الملك الديان . والذى يوجب عليك رفع الهمة عما سوى الله
تعالى علمك بأنه لم يخرجك إلى مملكته إلا وهو عالم أنه سيكفيك ويمنحك ويعطيك
فلم يبق لك حاجة عند غيره ، وإذا كان سلوك الطريق قد اقتضى لاهله الفهم عن
الله وأن يكتفوا بعلمه عن مسألته فكيف لا يوجب لهم هذا الفهم الاكتفاء بعلمه
عن غيره من خليقته وكل من فاتحه الحق تعالى بشيء مما فاتح به أجباه ، فقد اقتضى
هذا العطاء والاجتهاد منه رفع همته إليه (ورفكم في السماء وما توعدون فو رب السماء
والأرض إنه لحق مثلها أنكم تنطقون) . ومن تحقق بالعبودية لله لم يطلب ظهوراً
أو خفاء بل إرادته وقف على اختيار سيده له ، ومن أجل مواهب الله لأوليائه
وجود العبارة (الفتوح بالتعبير عن اعلا المقاصد) . قال وسمعت شيخنا أبا العباس
يقول يسكن الولي مشحوناً بالعلوم والمعارف ، والحقائق لديه مشهودة حتى إذا

أعطى العبارة كان كالأذن من الله له في الكلام . وقال من أذن له في التعبير حسنت في مسامع الخلق عباراته وجلت لديهم اشاراته . وقال سمعت شيخنا أبا العباس يقول : كلام المأذون له من الله يخرج وعليه كسوة وطلاوة من نور قلبه وكلام الذي لم يؤذن له مكسوف الأنوار حتى أن الرجلين ليتكلمان بالحقيقة الواحدة فيقبل من أحدهما ويرد على الآخر . قال واعلم أن من أراد الله به أن يكون داعياً إليه من أوليائه فلا بد من إظهاره إلى العباد ولو لخاصتهم إذ لا تكون الدعوة إلى الله إلا كذلك ثم لا بد أن يكسوه الحق كسوتي الإفصاح والبهاء ثم يكسوه الهيبة لتعظمه العباد فيقفون معه على حدودهم ويضع له في قلوبهم الحب ليكون إذا أمر ونهى مسموعاً أمره ونهيه وكل هذا من تمكين الحق له ليعينه على القيام له بالدعوة إليه . قال تعالى : (الذين ان مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) وذلك من إظهار اعزاز الحق لعباده المؤمنين . قال تعالى (والله العزة لرَسُولِهِ وللمؤمنين) . ألم تسمع إلى قوله صلى الله عليه وآله (ونصرت بالرعب مسيرة شهر) وقد ألبسهم الحق ملابس هيئته وأظهر عليهم اجلال عظمتهم كلما نزلوا إلى العبودية رفعهم إلى سما . الخصوصية فهم الملوك وإن لم تخف عليهم البنود والاعزاء وأن لم تسر أمامهم الجنود . ووصف الشيخ تاج الدين بن عطاء الله في لطائف المنن ، طريقة الشيخ أبي الحسن الشاذلي فقال تنسب إلى الشيخ عبد السلام بن مشيش والشيخ عبد السلام ينسب إلى الشيخ عبد الرحمن المدني ثم واحد عن واحد إلى الحسن بن علي بن أبي طالب وهو أول الأقطاب .

وأما الخلفاء الأربعة رضى الله عنهم فكانت لهم الخلافان الظاهرة والباطنة معا ولم تجتمعا لأحد بعدهم إلا أن يكون عمر بن عبد العزيز . وكان من مذهب الشيخ أبي العباس أنه لا يلزم أن يكون القطب شريفا حسنيا أو حسينيا بل قد يكون من غير هذا القبيل . فإذا عرفت ما أوردناه من كلام الأئمة المتقدم ذكرهم علمت أن التصوف في نفسه علم شريف وحسبه أن يكون العلم بالله وأن مداره على اتباع الكتاب والسنة وترك الابتداع والبدع والتبري من النفس وعوائدها وحفظها وأغراضها ومراداتها واختياراتها والتسليم لله والرضى به وبقضائه

وطلب محبته واحتقار ما سواه ويقول الغزالي : التصوف تجريد القلب لله واحتقار ما سواه . وهذا هو المراد من قولهم الوصول إلى الله . والسكال في العبد أن يفنى بالكلية عن نفسه ونزعاتها السيئة .

وقال أيضا في باب المحبة من قويت بصيرته ولم تضعف منته فإنه في حال اعتدال أمره لا يرى إلا الله ولا يعرف غيره ويعلم أنه ليس في الوجود إلا الله وأفعاله والكرن أثر من آثار قدرته والأكوان تابعة لأثيره فلا وجود لها في الحقيقة دونه وإنما الوجود للراحد الفهار الحق الذي بيده وجود الأفعال كلها ومن كان هذا حاله فلا ينظر في شيء من الأفعال إلا ويرى فيها الفاعل ويذهل عن الفعل من حيث أنه سماء وأرض وحيوان وشجر بل ينظر فيه من حيث أنه صنع الله فلا يكون نظره مجاوزا إلى غير الله كمن نظر في منظوم إنسان أو في خطه أو في تصنيفه رأى فيه الشاعر والمصنف ورأى آثاره من حيث أن فعله أثره لا من حيث أنه أمر مغاير للشاعر والخطاط والمصنف إنما كلها ظروف عرضيه في الحقيقة . فنظر إلى السكون على أنه فعل الله تعالى وعرفه من حيث أنه فعل الله وأحبه من حيث أنه فعل الله فلم يكن ناظرا إلا إلى الله ولا عارفا إلا بالله ولا محبا إلا لله .

وقال السيوطي . أن شهود الحق أمر قلبي معنوي لا حسي وأن المراد به إسقاط السوى عن درجة الاعتبار والأصالة أنه في حيز البلاشئ وعدم القرار ، وأن المراد برؤية الله في كل شيء أنه يسبق إلى قلبه ذكر ربه عند رؤيته كل شيء . وانظر كيف صرح الغزالي في موضعين بتضليل من قال بالحلول والاتحاد ما لم يكن ذلك مجازيا ومن هو الغزالي فقيه أصولي متكلم صوفي محقق .

وقال القطب القسطلاني . المحبة مبتدأ دخول أودية القرب وأغلاها محبة الله لهم وحبههم له بلا علة ومدار ذلك على أفراد الأمر لله وحده وإسقاط ما سواه عن درجة الاعتبار ألا له الخلق والأمر وعلى ترك الإرادات والاختيارات وترك منازعة القدرة وترك حفظ النفس والقيام بالأوامر والنواهي لله وحده لا ليجلب ثواب ولا لدفع عقاب ومن عبد الله لطلب الثواب وخوف العقاب فأثما عبده لحظ نفسه وإن عبد محبة أيضا لكنه في درجة الأبرار وتلك درجة

المقرين الذين يعيشون مع الله وواقه وقه مع عدم الركون ببواطنهم إلى سواه
فهم يستملكون الأسباب والأشياء لا من حيث ذواتها ولكن من حيث أنها عوار
اقتضتها قدرة الله وتدبير الله الذي له الخلق والأمر في السموات والأرض (وهذا
رأى المؤلف) وأحج ابن أبي حاتم عن موسى بن الصباح قال إذا كان يوم القيامة يؤتى
بأهل ولاية الله فيقومون بين يديه ثلاثة أصناف فيؤتى برجل من الصنف الأول
فيقول يا رب خلقت الجنة وأشجارها ونهارها وأمارها وحورها ، ونعيمها
وما أعددت لأهل طاعتك فيها فسهرت ليلي وأطمأت نهارى شوقا إليك فيقول سبحانه
لأنما عملت الجنة فادخلها ومن فضلى عليك أن أعتقك من النار فيدخلها هو ومن
معه . ثم يؤتى برجل من الصنف الثانى فيقول عبدى لماذا عملت فيقول يا رب خلقت
النار وخلقت أغلالها وسعيرها وسعومها ويحمومها وما أعددت لأعدائك ولأهل
معصيتك فيها فأسهرت ليلي وأطمأت نهارى خوفا منها فيقول عبدى لأنما عملت
خوفا من النار فإن قد أعفيتك منها ومن فضلى عليك أدخلك الجنة فيدخل هو
ومن معه الجنة ثم يؤتى برجل من الصنف الثالث فيقول عبدى لماذا عملت فيقول
ربى حبا لك وشوقا إليك وعزتك أسهرت ليلي وأطمأت نهارى شوقا إليك وحبا
لك فيقول الله تعالى « عبدى لأنما عملت حبا لى وشوقا لى فيةجلى له الرب فيقول ما أنا
أنظر لى ثم يقول من فضلى عليك أن أعتقك من النار وأبعتك جنتى وأزيدك
الرؤية لوجهى فيدخل هو ومن معه الكشييب وهو أعلا درجات الجنة . وقال
شارح منازل السائرين إلى الله فى بيان عجز العقول فى الدنيا عن إدراك الذات
المقدسة وترك الفكرة فى ذلك : يعرف العبد أن عقله عاجز عن إدراك كل
الموجودات من المخلوقات فضلا عن خالقها وقد عجزت العقول عن إدراك
الخاصية التى يجذب بها المغناطيس الحديد والسقمونيا الأخلط الصفراوية إلى
غير ذلك مع القطع بوجود هذه الأشياء ونحن نزيد على هذا القول عجز العقول
عن سر الطاقة الذرية وإشعاعاتها المتعددة وسر الجاذبية وعدم رؤية دورة الأرض
حول الشمس وحول نفسها الخ . . فإذا عرف العبد عجز العقل عن درك السر
والوقوف عن غايه مطلبه حل ذلك العبد على التمسك بمحمل التعظيم لله والاجلال له

وسلم بذلك من الوقوع في سبل الضلال وجهد العبد في الوصول أن يعرف الله باسمه وصفاته وأفعاله لا امتناع الوصول عن كنه ذاته .

وقال في شرحه ما فيه الخاصة وإنما ترجحت هذه الطائفة من حيث ارتفاع معانيها لأن من يحقق عنده العلم بانفراد الله سبحانه بالفعل والصفة والذات وقيام سائر الموجودات بما علمه لهم وفهم من الصفات والحياة فاده ذلك إلى جمع الهمة عليه وسكونها لديه وتصفو هذه المعرفة في ميدان الفناء عن ذكر غيره ورؤية صوابه ، وإذا فنى العبد عن الأغيار كملت معرفته لبقائه مع الحق وقلت غلاته عنه وهو علم البقاء وإذا وصل من المعرفة إلى هذا الحد من التمكن شارف عين الجمع أى حقيقة وصار الجمع له حالا فعبر الجمع بخلاف علم الجمع الخاص بذلك (والجمع هنا جمع معنوى خالص لجمع الروح على خالقها وانقيادون حلول أو اتحاد كما يحدث في المحسّات وهى الحلول) .

وهذا المعنى هو معنى ظر الصوفية وكل ما صنفوه ودونوه وأروا به ونهوا عنه من أفعال وأقوال وأحوال إنما هى وسائل إلى هذا المقصد الشريف والمقام المنيّف فشأنهم إنما هو العمل على موت نفوسهم واسقاط حظوظهم بالكلية وتعلقهم برب البرية وليس هذا التجريد هو المقصود لهم بالذات وإنما غرضهم من ذلك ما يلزم عنه من تفراد الله تعالى بالوجود الحق لا يشاركونه فى شيء منه البتة إذ بذلك يستحق المرء مقام العبودية لله ذلك المقام الذى لا مقام للعبد أشرف منه (إن عبادى ليس لك عليهم سلطان) وإن كان لا يلقمهم ذلك لأنفسهم تعلقا برهم ويقول ابن الفارض فى مثل هذا المقام وقد انهالت عليه الكرامات :

أن كان منزلى فى الحب عنكم ما قد رأيت فقد ضيعت أيامى

ويريد أنى ما طلبت تلك الكرامات لأنها اغيار لك وإنما طلبتك أنت .

ويكون طلبى لغيرك تضييعا لآيائى ولذا يهربون من الكرامات ويعتبرونها

ذنوبا عظيمة فادحة فى صدق العبودية والاحلاص للربوبية .

ويقول ابن عباد فى شرح الحكيم : الكون كله ظلمة وإنما أناره ظهور الحق فيه

فمن رأى الكون ولم يشهد الحق فيه أو معه أو قبله أو بعده فقد أعوزه وجود الأنوار

الالهية وكل هذه الظروف المذكورة ليست بزمانية ولا مكانية لأن الزمان والمكان من جملة الأكوان . فلا يتوهم من قرأ مثل ذلك من أحوال الصوفية حلول الحق في الخلق لأن الحلول من صفات المحسّات فإن ذكرت في مثل هذا المقام فالواجب حملها على المجاز لا على الحقيقة . فإن رأيت في كلام كثير من نسب إلى السداد والاستقامة ما يشعر بذلك كان الفارض وابن العربي وسيدى محمد وفا وولده سيدى على فيجب التأويل لأن حسن الظن بأحد المسلمين واجب فضلاً عن تواردت الاسنن بالشهادة له بالولاية فإن ثناء الناس بذلك شامد صدق كما ص عليه الرسول صلى الله عليه وسلم .

وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لا تنين كلمة خرجت من أخيك سوءاً وأنت تجد لها من الخير محملاً . وقد كان ابن الفارض في زمن الشيخ زكي الدين عبد العظيم المنذرى وكان شيخاً للإسلام إذ ذاك واجتمع به واستمع من شره وذكره في معجمه ولم يصفه بسوء عقيدة ، وقد اتفق عليه الشيخ عفيف الدين البيهقي أحد الأولياء الكبار في كتابه كفاية المعتمد والشيخ تاج الدين بن عطاء الله في كتابه لطائف المئين ومما شهدا عدل مقبولان في تركية مثل هذا فهما فقهان صوفيان . ومن نقل كلام ابن العربي وابن الفارض في تأليفه الشيخ علاء الدين القونوى أحد أئمة الشافعية وهو شارح الحاوى فقه أصولى صوفى متكلم علامة محقق . وقال ابن سرينج لما استفتى في الخلاج : هذا رجل خفي عنى حاله فلا أقول فيه شيئاً .

وقال الإمام غفر الدين أن العلم لا يحد لأنه بلا آخر ولا سيما العلم بالله . وقال إمام الحرمين أن علمهم نظرى عسر الحد فيطراً للعارف منهم معنى قائماً بقلبه فيريد التعبير عنه فلا يتمكن . وقال صاحب التعرف : مشاهدات القلوب ومشاهدات الأسرار لا يمكن العبارة عنها على التحقيق بل تعلم بالمنازلات والمواجيد ولا يعرفها إلا من نازل تلك الأحوال واستوعبها قلبه . وزاد القونوى في شرحه : ونظير ذلك حال المسرور والمهموم ومن اتصف بالسرور والههم قد يضيق لسانه ولفظه عما

انطوى عليه قلبه . وقد يجد الانسان في نفسه أمورا يتحققها تضيق عنها عباراته
وتقصر عن تعريفها اشاراته . ولهذا قال سيدي علي وفا في قصيدة له :

يظنون في حلول واتحــادا وقلبي من سوى التوحيد خــال
قال أبوحنص الحداد وهو من شيوخ الصوفية : من لم يزن أفعاله وأحواله في كل
وقت بالكتاب والسنة ولم يهتم بخواطره فلا تعده في دوان الرجال . وقال الجنيد :
الطريق مسدود على الخلق إلا على من افتق آثار الرسول صلى الله عليه وسلم قالوا
هذا لأنه قد وقع في عبارة بعض المحققين العاظم تروم الاتحاد اشارة مهم إلى
حقيقة التوحيد فإن الاتحاد عندهم هو العلو في التوحيد والتوحيد معرفه الواحد
الأحد فاشتبه ذلك على من لا يفهم اشاراتهم فحملوه على غير محمله فغلطوا في ذلك .
والدليل على بطلان اتحاد العبد مع الله أن الاتحاد بين شخصيتين لرجلين محال فإن أحدهما
لا يصير عين الآخر لتمامهما في الذات والصفات كما هو معلوم ، فالباين بين العبد
والرب تعالى أعظم فإذا حصل الاتحاد بينهم باطل ، وحيث يطلو الاتحاد في كلامهم
لا يراد به الحقيقة وإنما يكرن بطريق التوسع والمجاز كقول الشاعر أنا من
أهوى ومن أهوى أنا . فالشاعر لا يعنى أنه هو تحقيقا بل كأنه هو ومحبوبه واحد
لشدة الحب ، وذلك تشبيه مجزى وليس إنحادا حقيقيا فاذا عرف الواحد الأحد
وانتفت عنه الكثرة فهذا المقام سمى عندهم بلسان المجاز اتحاد ولسان الحقيقة
توحيداً وبيان ذلك أن المؤمن يحمل في قلبه نورا هو سر الله تعالى في خلقه يطلب
العبد به الله تعالى ويذكره وبه يريد الوصول إليه رجاء ان يعرف ربه ويرحده
ويحبه ويشاهده بعين البصيرة ولولا ذلك النور من الله تعالى في قلب العبد ما طلبه
ولا سعى إليه ليعرفه ولا أراده ولا ذكره ولا أحبه . فمن رفع الله تعالى الحجاب
عنه وأشرق على قلبه للنور الرباني واستنار بذلك النور بفرج من ظلمة وجوده
الطيني الأرضي صار الحكم في مسلكه للنور الغالب عليه والله غالب على أمره فعند ذلك
تضؤل آثار بشريته لغلبة ما تأثر به من النور الرباني . وربما قال عن طريق المجاز .
أنا من أهوى ومن أهوى أنا .

والدليل على بطلان الحلول . قول رسول الله صلى الله عليه وسلم .
(إن الله احتجب عن أهل السماء كما احتجب عن أهل الأرض واحتجب عن

العقول كما احتجب عن الأبصار، وأنه ما حل في شيء وما غاب عن شيء، وأن الله
الاعلى ليطالبون الله كما تطلبونه أنتم) وقوله ما حل في شيء لأن الحلول من
خصائص الجواهر الطبيعية. وقوله ما غاب عن شيء إنما قال ذلك كيلا يشتبه
على السامع فيظن أنه إذا لم يكن حالا في الأجسام كان بعيدا عن عوالم الأجسام
والحقيقة أنه قريب بعلمه وقدرته من كل شيء. وإن كان لا يخاطه أو يمازجه شيء.
ومحال في حقه تعالى الحلول الاتحاد بمعنى الخاططة أو الاتزاج، وقد عرفنا ذلك
بالقرآن والحديث وإجماع الانبياء والأولياء عليهم السلام، وعلم أن الحلول
إنما حدث في الإسلام من شطحات الجهلة من المتدين إلى النصوف وما يسمونه
حلولاً هو تعبير عن وجدان القرب قرب العبد المخلص من الله وقرب الله
من العبد.

منهج النصف

ومنهج المتصوف الحق منقول معلوم عن ما هو مشهور من أحوال النبي صلى الله
عليه وسلم وحركاته وسكناته وتبته واختلافاته في انتهاء أمره وانتهائه، ومن أحوال الصحابة
النجباء وأصفياء العلماء والحكماء أرباب البصائر واليقين. وكان النبي صلى الله عليه
وسلم قبل نزول الوحي وبعده يختل في غار حراء ثم صار مع الخلق ولا فرق عنده
بين الخلوة والخلوة وكذا أصحاب الصفة وقد صار جماعة منهم بعد التكمين أمراء
وقوادا بعد أن تمكنوا في الإيمان بالله والمعرفة به والاخلاص له فلم تؤثر الخاططة
بالحق فيهم ولا في أحوالهم ومقاماتهم، ألم ترى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما نظر
إلى المصلى وهو يصلي بالحيث فقال (لو خضع قلب هذا لحشمت جوارحه) قال
الله تعالى: (ان الذين يفضون أصواتهم عند رسول الله أو أئمة الذين آمنوا بالله فلو بهم
للقوى. لهم مغفرة وأجر عظيم).

في اتباع الكتاب والسنة:

قال أ. عثمان النيسابوري رحمه الله: «الصحبة مع الله بحسن الأدب ودوام الهيبة والمراقبة،

والصحبه مع الرسول صلى الله عليه وسلم باتباع سنته ولزوم ظاهر العلم، ومع أولياء
الله بالا احترام والخدمه ومع الأهل بحسن الخلق ومع الاحوان بدوام البشر مالم
يكن اثماً ومع الجهال بالدعاء لهم والرحمه بهم وزاد غيره (ومع الوالدين باكرامهما
وباحترامهما ومعاملتهما بما يحمدانك عليه ومع النفس بالخلفه ومع الشيطان بالعداوة
وقال النيسابورى من أمر السفة على نفسه قولاً وفلاً نطق بالحكمة ومن أمر الهوى
على نفسه قولاً وفلاً نطق بالبدعه وقال محمد بن الفضل الباجى وهو من مشايخ القوم
الكبار رحمه الله : ذهاب الاسلام من أربعة لا يعملون بما يعلمون ويعلمون بما
لا يجوز لهم أن يعملوه ولا يتعلمون ما يجب عليهم أن يعملوه ولا يقبلون الارشاد والتعليم .
وقال أبو حمزة البغدادى وهو من أكابر الشيعة : كان أحمد بن حنبل يقول له فى
فى المسائل ما تقول يا صوفى : من علم طريق الحق سهل عليه سلوكه ولا دليل
للطريق إلى الله تعالى إلا متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم فى أحواله وأقواله
وأفعاله : وقال أبو القاسم النضر باذى شيخ خراسان فى وقته : أصول الصوفى ملازمه
الكتاب والسنة وترك الأهواء والبدع وتعظيم أقوال المشايخ ورؤية الأعداء
للخلق والمداومه على الآراء وترك ارتكاب الرخص والآبالات . وقال أبو
بكر السجستانى من كبار شيوخ الطائفة : الطريق واضح والكتاب والسنة قائمان
بين أظهرنا وفضل الصحابة معلوم لصحبته وسبقهم إلى الهجرة فمن صاحب
الكتاب والسنة وتمرب عن نفسه وعن الخلق وهاجر قلبه إلى الله فهو السالك الصادق
المصيب وقال أبو عمرو بن نعيم : كل حال لا يكون نتيجة عن علم فإن ضرره على
صاحبه أكثر من نفعه .

إخفاء الأحوال والمقامات

واعلم أن إظهار الحال أو المقام للناس عند الصادقين حق وعجز وملك
حتوظ لنفس الشيطان، وأهل الصدق والعزم أثرت استرا على الأحوال والمقامات
حتى أن منهم من بظهر أصدادها نفيا لظهورها واسترا لها وهم لملامية ولهم في ذلك طريقة
معروفة وكان شيخ هذه الطائفة عبد الله بن منارل . وانفقت هذه الطائفة على أن
من اطلع الناس على حاله مع الله فقد دنس طريقته إلا لحجة أو حاجة أو ضرورة
وذلك كان أهل القنوة وقدوةهم سيدا على بن أبي طالب وعترته كانوا يفعلون
مثل ذلك ويؤثرون على أنفسهم ولا يرون لأنفسهم في فصائلهم أي فضل .

الواردات

والواردات ما يرد على القلب من خالص إلهي أو ملائكي أو شيطاني ، فيكل
وارد يبقى الإنسان بعد انفصاله شيطانا مسرورا نشوانا فإنه وارد ملائكي وكل وارد
يبقى بعد انفصاله خبيث النفس كسلان ثقیل الاعضاء والروح ينجح إلى فتور
فهو وارد شيطاني .

وكل وارد أعقب في القلب معرفة بالله ومحبة له وأناة وطمانينة بذكره
وسكونا إليه فهو وارد إلهي . ومن علاماته أنه يدعو إلى التقدم في طريق الله
تعالى والدار الآخرة وأن كل وارد كان سلبه النصيحة في امتثال الأمر والاختلاص
والصدق فهو نبوي شرعي وكل وارد يستدير به القلب وينشرح له الصدر ويقوى
به الحال وارد إلهي أو ملائكي وإلا فهو شيطاني وعلى العموم فكل وارد جمعك
على الله فهو منه وكل وارد فركك عنه وأحذك منه في الشيطان والوارد النفساني
يحدث ضيقا وترددا .

أوائل الصوفية

يقول الله تعالى فيهم (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) ومعنى هذا الجهاد أنهم مجبروا على مشاق السير إلى الله فكادوا وحشه الطريق وصبروا على وعثاء السفر حتى وصلوا إلى مقصودهم وظفروا بالقرب من معبودهم فهم الذين لبوا نداء الله عندما سمعوا أمره بالفرار إليه حيث قال الله تعالى (ففروا إلى الله إلىي لعلكم منه تخرجون) وهؤلاء هم عباد الصحابة وزهادهم من أهل الصفة وغيرهم ومن التابعين وتابعيهم، مثل أبي الدرداء وأبي ذر وشكاسة ومن التابعين مثل علي بن الحسين زين العابدين وابنه محمد الباقر وابنه جعفر الصادق وأويس القرني وابن حزم رسله بن دينار والحسن البصري وعائقه والاسود بن زيد وإبراهيم النخعي ومالك بن دينار ومحمد بن سيرين وغيرهم مما لا يحصى عددهم وهم يزيدون على ألف ولي ومن تابعيهم وهم مثل عبد الواحد بن زيد وعتيبة العلام والفضيل ابن عياض وإبراهيم بن أدهم وداود الطائي وسفيان الثوري وإبي سليمان الداراني وابنه سليمان وذو النون الأختيمي المصري وأخيه ذي الكفيل وبشر بن الحرث والسري السقطي والحرث المحاسبي وأبي القاسم الجنيد وإبراهيم الخواص وغيرهم ممن لا يحصى عددهم ومن أراد أن يطلع على أكثر مما ذكرنا فعليه بكتاب حلية الأولياء لأبي نعيم وكتاب صفوة الصفوة لابن الجوزي.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن من العلم كهيئة المسكنون لا يعلمه إلا أهل المعرفة بالله) إنما أرباب العلم الظاهر تصرفوا في هذا اللفظ بالخصيص والقصر مع قوله تعالى (لينفذوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم) وما به الانذار والتخويف ويتعاقب باصلاح القلب واستقامته، هو الفقه الذي به تزكية النفس وتطهيرها وذلك غير تعريفات السلم والاجارة والعلاق واللعان فان ذلك لا يحصل به اندار وتخويف ولا ينجي النفس من مهلكها.

وقال الأمامه : أول التصوف علم وأوسطه عمل وآخره موهبه فالعلم يكشف
عن المراد والعمل يعين على المطلوب والموهبه تبلغ غايه الأمل . وأهله على ثلاث
طبقات : طبقة مريد طالب ومتوسط سالك ومنههى وأصل ، فالمريد صاحب وقت
والمتوسط صاحب حال والمنههى صاحب سر ؟

وكان كلام الحسن البصرى وهو من السابقين أشبه الناس بكلام الأنبياء عليهم
السلام وأمرهم من هدى الصحابه وكان أكثر كلامه فى خواطر القلوب ومفسدات
الأعمال ووسائل النفس والصفات الحميه الغامضه من شهوات النفس فقيـل له
يا أبا سعيد تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك مثله فمـى أين أخذه ؟ قل من حذيفه
بن اليمان وقيل لحذيفه من أين أخذه ؟ قل خصنى به النبي ﷺ ، كان الناس
يسألونه عن الخير وأنا أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه وعلمت أن الخير
لا يسبقنى ، وكنت أقول يا رسول الله ما يفسد كذا وكذا ؟ فلما رآنى أسأل عن آفات
الأعمال خصنى بهذا العلم . وكان حذيفه قد خص بالعلم الذى يعرف به دقائق النفس
كالنفاق ومداخله وأسبابه ودقائق اليقين ، وخصه النبي صلى الله عليه وسلم بمعرفة
اليقين وكان يسمى صاحب السر والعنايه بمقامات القلب وأحواله وذلك هو دأب علماء
الأخرة من أهل طريق التصوف .

محاسبة النفس

فى الاخبار انه صلى الله عليه وسلم قال : الكبس من دان نفسه وفل لما بعد
الموت والماجر من اتبع نفسه هواها وتدفع الى الله الامانى . وقال عمر بن الخطاب
رضى الله عنه (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزن
عليكم) وقال ميمون بن مهران (لا يكون الرجل تقيا حتى يسكون لنفسه أشد
من الشريك لشره) . وأجمع العلماء على وجوب حقوق الله تعالى وأن يحاسب
المرء نفسه على الأعمال فينظر فى جميع أفعاله المتعلقة بالقلب والجوارح الظاهرة
ويعتبرها من جهة للعمل ، فما كان منها على وفق الشرع حمد الله تعالى عليه فانه من
أكمل نعم الله عليه ، وما كان منها بخلافه لعن الله له الاستغفار وكذلك
كان يفعل عمر رضى الله تعالى عنه وغيره من الصحابة فالرسول الله ﷺ (لى مع
الله وقت لا يسبقنى فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل) .

صفة الصفة :

سئل أبو الحسين النوري عن أرل فرض أفترضه الله تعالى على عباده ما هو ؟ فقال المعرفة بالله لقوله تعالى (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون) وقال ابن عباس رضي الله عنه . ومن بعضهم ما المعرفة ؟ فقال تحقق القلب باثبات وحدانيته وكمال صفاته وأسمائه فانه المنفرد بالعزة والقدرة والسلطان والعظمة وهو الحى الدائم شيء الذى ليس كمثل شيء وهو السميع البصير . وذلك بلا كيف ولا شبهة ولا مثل ينفي الأعداد والانداد والأسباب عن القلوب .

الموافقة لكتاب الله :

قال النبي صلى الله عليه وسلم (القرآن حبل الله المتين لا تنقضى عجائبه ولا يخلق من كثرة الرد ، من قال به صدق ومن عمل به رشد ومن حكم به عدل ومن اعتصم به هدى .) وقال عز وجل . أن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ، يعنى يدل على الذى هو أصوب من القول والعمل فعلم أهل الفهم من العلماء بالطريق أن لا سبيل إلى التعرف للأصوب مما يؤخذ وما يترك إلا بالتدبر والتفكير والتهبط والمذكر لما يهدى إليه القرآن بشرط حضور القلب عند تلاوته واستمدوا ذلك من قوله تعالى . كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب . ثم استفاد أهل طريق الله من هذه الآية أيضاً أن التدبر والتفكير والتذكر أمور لا وصول إليها إلا بحضور القلب لقوله تعالى (إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد) وشهيد يعنى حاضر القلب وهذه صفات السالكين لطريق الله .

فى تخصيص الهداية :

قال الله تعالى (والله يدعو إلى دار السلام ويهدى من يشاء إلى صراط مستقيم) وهذا يدل على أن الدعوة عامة والهداية خاصة لفضلها لأن الله رداً لمشيئة فى الهداية إليه وجعل الذين اختارهم وأحبههم واصطفاهم مصطفين بمن دعاهم ، وقد ذكر الله تعالى الاصطفاء فى مواضع من كتابه فقل فى موضع (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى) الله خير أما يشركون) فأشار بالسلم على عباد قد

اصطفاهم واجتباهم وأصفاهم من خلقه لحضرته وقال في آية أخرى (الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس) (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات) فالظالم لنفسه المسلم الفاسق والمقتصد المسلم العامل بالظاهر والسابق بالخيرات المسلم العامل بأحكام الباطن والطاهر وهو الصوفي الحق (قال أوسعيد رحمه الله : أرل المههم لكتاب الله عز وجل العمل به لأن فيه العلم والمهم والاستنباط وفي المههم القاء السمع والمشاهدة لقوله عز وجل : إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، (وقال تعالى) الذين يسمعون القول فية هرون أحسنه ، والقرآن كله حسن ومعنى اتباع الاحسن ما يكشف عن عجائب القلوب عند الاستماع والقاء السمع من طرق المههم والاعتبار وقال تعالى (قل الله يهدي للحق أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدي) .

عقيدة الصوفية

وعقيدة أهل التصوف كعقيدة شيخ السنة أبي الحسن الأشعري وأصحابه من حيث أن طريقهم مبنى على الكتاب والسنة أصولا وفروعا وقد أجمعوا على أن الله واحد فرد صمد قديم أزلي باق أبدي وأن ما سواه فهو من صنعه ومن خلقه لا شريك له ولا ضد له ولا ند له ولا شبيه له وهو موصوف بكل ما وصف به نفسه من الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام وهو مسبح بكل ما سمي به نفسه، وهو سبحانه وتعالى لا يكيفه العقل ولا يملكه الفكر ولا تلحقه العبارات ولا تعينه الاشارات ولا تحيط به الافكار ولا تدركه الابصار، العقول محجوبة عن درك حقيقته إذ العقول قد خصت بالعبودية لا للبحث في كنه الربوبية. وقالوا في الاستواء ما قاله مالك بن أنس رحمه الله حين سئل عن ذلك فقال الاستواء معلوم والكيف غير معقول والایمان به واجب والسؤال عنه فتنة . وكذلك مذهبهم في الزول وأجمعوا على أن كلام الله تعالى قديم غير محدث وجواري رؤية الله تعالى في الدار الآخرة بالإبصار وإنما نفي الله النظر بالإبصار

في الدنيا لأن ذلك يوجب كيفة وإحاطة وليست كذلك الرؤية في الآخرة .
وأجمعوا على الاقرار والايان بجملة ما ورد في الكتاب العزيز وما جات به
الروايات الصحيحة من السنة كاعادة الأرواح إلى الأبدان وبمنها للحساب والمجازاة
والجنة والنار واللوح والظلم والحوض والصراط والشفاعة والميزان والصور
وعذاب القبر وسؤال منكر ونكير وإخراج قوم من النار بالشفاعة وأن أهلها
فيها مخلدون غير أهل الكبائر من المؤمنين فيهم لا يخلدون في النار وأجمعوا
على أن الله خالق لأفعال العباد وأن الخلق كلهم يموتون بأجلهم وأن المقتول
يموت بأجله وأن الشرك والمعاصي بقضاء الله وقدره من غير أن يكون لأحد
من الخلق على الله حجة بل لله الحجة البالغة ولا يرضى لعباده الكفر والمعاصي ، والرضا
عن الأعمال وعدمه غير الارادة والتقدير . ويرون الصلاة خلف كل بار وفاجر
ولا يقولون باستحقاق العبد للثواب على الطاعة على ولا العقاب على الكبرية ل الكل راجع
في ذلك إلى المشيئة الالهية إن شاء عفا وأتاب وإن شاء عاقب عذب . ويرون أن الأفعال
الشاذة للمعتزلة والقدرية والجهمية والمشيئة والمعلقة والخوارج والرواض وسائر
أهل البدع ، ولا يرون خروج على الولاة وإن كانوا ظلمة . ويرون أن محمدا أفضل الأنبياء
وأن الله ختم به النبوة وأجمعوا على تفضيل الرسل على الملائكة وإن بين الملائكة تفاضلا
كما بين الأنبياء . وأجمعوا على أن الايمان : قول وعمل واعتقاد وأن من ترك الاقرار
باللسان فهو كافر ومن ترك التصديق بالقلب فهو منافق ومن ترك العمل بالجوارح
فهو فاسق ، وإن الايمان يزيد وينقص بالعمل والترك وأن التصديق بالقلب لا ينفع
مالم يكن مقرونا بالنطق بكلمات الشهادة إلا أن يكون له عذر يشبهه بالشع ، ويرون
الاستثناء في الشهادة حقا لإيماننا ونفيا من غير شك أو تردد (ومعنى الاستثناء :
اقتران إلا الله لا إله في قولك : لا إله إلا الله) وأجمعوا على أن أفعال العباد
متعلقة بسبب السعادة والشفاعة لقوله صلى الله عليه وسلم (السعيد من سعد في
بطن أمه والشقي من شقى في بطن أمه) إيمان العقاب والثواب ليسا من جهة
الاستحقاق بل من جهة الفضل والعدل والمشيئة ، وإن الخوف ولرجاء حصنان
للمريد من سوء الأدب ومن سوء الخاتمة ، وأن كل قاب خلا منهما فهو خرب وأن

الصفات الذميمة تنفي عن العارفين لحفظ الله لهم ومفروضة في حق المرئيين
ليجاءدوا أنفسهم . وعندهم أن العبد يتدرج في الأحوال والمقامات حتى يصير
إلى نعم الربانيين فتظهر عليه السمكرات وإن الحب في الله والبغض في الله من
أوثق عرى الإيمان والدين . وأوجبوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأن
نبوة الأنبياء لا يشترط فيها المعجزة وهي المرسل حين ارسل الله تعالى لإياهم
ووحيه لإيهم ، ولإنبات الحجاة على المسكرين . وأمر الأولياء بكتان السمكرات
لدفع الفتنة ، وكرهوا المراء في الدين ومنعوا من المناظرة والجدل ويرون أن
العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة (كما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم) واختاروا
من المذاهب في أحكام الفروع مذهب فقهاء أصحاب الحديث ويرون اختلاف
الفقهاء في الفروع رحمة بالامة مصداقا للحديث اوارد في ذلك ، وأوجبوا طلب
الحديث بمد حفظ القرآن وسماعه أو حفظه وروايته وكتابته . وعظموا المحدثين
لأنهم أساس التشريع وحراس السنة الدائرون عنها ، وعظموا الفقهاء والمتكلمين
والمفسرين لقيامهم بتوضيح علوم الدين وتقريرهم الأحكام بالأدلة
وردهم على المبتدعين والمخالفين ، خصوصا الشيخ أبي الحسن الأشعري حتى قالوا
طريقة أبي الحسن الأشعري في الأخذ من الكتاب والسنة هي باب الفتح .
وقالوا (لا تنال حالة سنية إلا بطريقة سنية) وعنوا بها طريقة أبي الحسن الأشعري .

معنى الطريق ومعنى التصوف

الطريق هو طريق السير إلى الله والتصوف هو العلم الخاص بمعرفة الله فلا خلاف جوهرى بين الطريق والتصوف إلا فى تخصيص المعنى الذى ينصب عليه الاسم فاسم الطريق منصب على الوسيلة راسم التصوف منصب على العلم الذى يدل على الغاية المطبوعة فى الطريق. إن كان للتصوف من ناحية أخرى اسمها عاما ينصب على روحية كل دى فيصح أن يكون للمسيحية تصوفها وللإسلام دية تصوفها كما أن للهندوكية تصوفها والبوذية تصوفها كذلك وأما عن التصوف الإلهامى بالذات فقد قدمنا أن مستمدته كتاب الله والسنة المحمدية وأحلاق النبى وأحواله الخاصة فى مواضع كثيرة من هذا الكتاب فالهقيقة قد أخذ بأقوال الرسول صلى الله عليه وسلم والعابد أخذ بأفعاله والصوفى أخذ بأقواله وأفعاله وزاد على ذلك الأخذ بأحواله صلى الله عليه وسلم ومواجهته الباطنة وأما طريقة الكلام التى تصدت إلى شرح العقائد الدينية وإيضاحها مبرهنة على صحتها من طريق النظر فإنها تصل - برغم تطور الحياة العقلية العربية - إلى المرتبة التى تطمن إليها قلوب جميع المسلمين . ومن أجل هذا نزعنا نفوس كثيرة إلى التعرف بالخالق والاتصال به مباشرة وليس من طريق النظر العقلى فقط بل وبواسطة المشاهدة الروحية أيضا ، فعمدت إلى المجاهدة وإزالة الحجب عن النفس فى سبيل الوصول إلى تلك الغاية العظمى وذلك بمحو كل ما يحول دون ذلك التعرف إلى الله من العوائق المادية وإختراق الحجب القائمة بين عالمى الملك والمملكة . والتصوف يتخلص بقلبه تدريجيا من عالم الحس شيئا فشيئا ، ذلك العالم الذى يعده من العوائق الكلية عن الوصول إلى السعادة والغبطة فى مقام الشهود . وسبيله فى هذا دوام المجاهدة الروحية والرياضة النفسية ، ولهذا وذاك يتمنى المتصوف

لو أن حواسه الخمس تقل عدا خروفاً من طغيان الحواس، على خلاف ما عليه
 جماهير الناس من مبنى الزيادة في قوة تلك الحواس وتعددتها ليشهدوا بها الجمل
 الظاهري للمكانات معتقدين أن ذلك يزيدهم متعة وهو حجاب في الحقيقة عن
 الكثير من متع الروح وبتزايد هذا الاستغراق الروحي عند السالك كلما أمعن في الذكر
 والنفكير من وقت إلى آخر ومن درجة إلى درجة مع ملازمته طرق الرياضة
 وأعمال العبادة حتى يصير ذلك شهوداً ومعانة . وهنا تصل نفس السالك لطرق
 الصوف إلى الدرجة القصوى والاستعداد للأدراك الكلّي فيتلقى عندئذ الموهب
 الربانيه والعلوم اللدنيه والفتوحات الغيبية وينكشف له كثير من حقائق الوجود
 التي لا تدرك بالحس ولا بالنظر العقلي، ويكون معتمد الصوت في ذلك بعد النظر
 الحسي والعقلي على نظر البصيرة ونور القلب؛ لم تر إلى قوله تعالى (فتسكون لهم
 قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها . فإياها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى
 القلوب التي في الصدور) وهنا يصير السالك الناظر إلى الحقائق بعين البصيرة
 واصلاً فينتجلى له أمر المستقبل والحال وما بين المستقبل والحال بما يعلمه الله إياه
 نتيجة لتقواه وجهاده في سبيله، وبذلك يمكنه أن يتصرف بهمة وقوى نفسه
 في الموجودات السفلية والعلوية (وما فعلته عن أمري) و (علمناه من لدنا علماً)
 والعظماء من الواصلين لا يعتبرون هذا الكشف ولا يخبرون بشيء عنه ولم
 يؤمروا بالكلم فيه لأنه قد يكون من قبيل المحنة والابتلاء لهم وهم لذلك أيضاً
 لا يعتدون بالكرامة ولا يقصدون إظهارها من تلقاء أنفسهم إلا أن يحريها الله
 على أيديهم تكريماً لهم . وقد لا يشعرون بطرود الكرامات لأنهم لا يتعمدون
 وشهودهم العرفاني يقضى في معتقدتهم الشهودي بأن الوجود كله صادر عن صفة
 الوجدانية التي هي مظهر الأحديه وهما معا صادران عن الذات الكريمة الإلهية
 وهي عين الوحدة وليس غير . ويسمون هذا الصدور بالتجلي الرحاني . ويرى
 شهاب الدين السهروردي أن العالم الروحاني صادر عن المثلّ النوراني عن الذات
 الأقدس . وهذا العالم النوراني مقدم على المادة ويعرف هذا المبدأ بحكمه
 الاشراف .

أصول الطريق

وأصول طريق أهل التصوف أو أساسه الذي يقوم عليه بناء يتكون من أربع دعائم: ارادة السلوك ومريده يسمى بالمريد فن يابغ شيخا من الواصلين إلى الله على السلوك وسلك طريق الله سمي سالكا، ثم المسلك وهو الشيخ، والذكر والفكر. وقد علمت بهذا أن الإرادة هي ارادة السير إلى الله ومنها على اليقظة والابادة والمحاسبة ثم التوبة والوبة هي أول مقامات اليقين، والمقامات هي المراحل التي يقطعها السالك في طريقه إلى ربه وهي سبع سيأتيك بيانها. ثم تقضى المقامات إلى الأحوال، والأحوال مواجيد روحية وثمرات وهبية يذبحها سلوك المقامات العلية التي يتدرج فيها السالك مجاهدا لنفسه الأماراة بالسوء حتى يصل إلى درجة النفس المرضية فيبدأ في الأحوال بعد أن يرضى عن الله ويرضى الله عنه. فالمقامات مكاسب والأحوال مواهب وهي سبع أيضا ستذكر بعد المقامات وسنبينها كلها مقاما مقاما وحالا بعد حال؛ فهذا وما يتبعه من ذكر وفكر يسمى سلوكا للطريق وأما المسلك فهو الشيخ الواصل الذي جاب الطريق وعرف مداخله ومخارجه وسهله ووعره. وللشيخ واجبات وفيه شروط لا يكون شيخا إلا إذا توفرت فيه والمراد بالذكر أن يكرن باللسان فإذا اندمج فيه الذاكر نقل الذكر من لسانه إلى قلبه فإذا استوعب الذكر قلبه نقل إلى سره فيكون ذاكرا بروحه وهذا هو مراد السميع العليم في كتابه الكريم بقوله (ان في خالق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات لأولي الألباب. الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فقلنا عذاب النار) ففى قول الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم دلالة على أن هذا الذكر في كل حال بحسب حالات الإنسان من القيام والقعود وحتى ان وضعوا جنوبهم ليناموا فالمراد عموم الحالات وليس التوكيد أو الأوضاع بمقصود الحق. وفي قوله ويتفكرون في

خلق السماوات والأرض تعقيبا على قوله ان في خالق السموات والأرض إلى قوله
آيات لاولى الالباب يريد به أيضا استمرار الفكرة فيما صنع الله من خلق
السموات والأرض وما في ذلك من دقيق الحكمة وعظيم القدرة والفكر مرحلتان
مرحلة التفكير بالعقل ثم استغراق الروح في شهود صنع الله اليقين وهو التفكير
بسريرة الروح . والمذكر والفكر يكون استمرار حياة القلب وذلك هو الورد
على الحقيقة وهذا هو الطريز (مر لا ورد له إلا وورد له) أي من ليس له ورد في الله
ليس له وارد جديد من فروع الله ولا من أسرار الله ولا من تعاليم الله —
(الغاية من الورد استمرار ذكر الله كما أمر القرآن) — وسبب
ذلك راجع إلى أن الله هو الموجب إلى حضرته وهو الدال به عليه فهو الهادي ومنه
الهداية . ثم في حالة التفكير بالعقل لا يتم فكر لأنسان في ذات الله فإن هذا يمنع
على العقل وأما يكون التفكير في صفات الله وفي أفعال الله وفي دلائل القدرة
في مصنوعات الله وهي الأكوان الطبيعية من أرضية وسماوية . وقد كتبنا لك هذه
النبتة لتعلم منها موجز الخطوط لرئيسه للسلوك إلى الله وبعض معالم الطريق إلى الله .
ولذلك مراتب النفس في سلوكها إلى ربها متدرجة في مدارج الطريق .

مراتب النفس :

اعلم أن الله سبحانه وتعالى ذكر النفس في قرآنه الكريم بسمع صفات : —

- ١ — أمانة فقال (إن النفس لأمانة بالسوء) . وسماها ٢ — لؤامة قال
تعالى : (لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة) . وسماها أيضا
- ٣ — ملهمة في قوله (ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها) . وكذلك سماها
- ٤ — الطمأنينة . قال تعالى : (يا أيها النفس المطمئنة) وسماها ٥ — راضية . وسماها
- ٦ — ومرضية . وسماها ٧ — كائلة وهي نفس واحدة إنما لها صفات متغيرة فإذا امتلأ القلب
سكنية خلع على النفس رداء الطمأنينة لأن السكنية مزيد من الإيمان وفيها ارتقاء القلب إلى
مقام الروح لما منح من حظ اليقين . وعند توجه القلب إلى محل الروح تتوجه النفس إلى محل
القلب وفي ذلك طمأنينتها وإذا انزعجت عن طبيعتها وكثافة جملتها تسامت إلى مقامات
وأحوال عظيمة لا يدرك مقدارها العاطلون والغافلون لأن حالهم كما يقول الشاعر

دع المكارم لا ترحل لبعثتها وأعد فانك أنت الطاعم السكار
ولذا إذا بقيت النفس على حالها البدائي لا يشهاها نور العلم والمعرفة فهي على ظلمتها
أماراة بالسوء ، والنفس والروح يتطاردان نسيباً ومجازياً ، فتارة يملك القلب دواعي
الروح وتارة تملكه دواعي النفس . وعن أبي حمزة عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأ هذه الآية (قد أفاح من زكاه) وقف
فم قال : اللهم آت نفسي تقوا ما آت أوليا ومولاها وزكها أنت خير من زكها .
لمة الملك ولمة الشيطان :

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم أن للشيطان لمة بقلب ابن آدم وللملك لمة . فاما لمة الشيطان فإبعاد الشر
وتكذيب للحق وأما لمة الملك فوعد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم
أنه من الله تعالى ليحمد الله عليه ومن وجد الأخرى فلينعوذ بالله من الشيطان (
ثم قرأ) الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء . . .) ويتطلع لمعرفة اللتين
وتميز الخواطر كل طالب مرید يتشوف إلى ذلك تشوف العطشان إلى الماء لما
يعلم من وقع ذلك وخطره ومعنى اللمة ما يلم بالنفس من خاطر شيطاني أو ملائكي
أو إلهام الهی . فمن الخواطر ما يكون هانفاً من الله تعالى إلى العبد كما قال بعضهم
(لي قلب ان عصيته عصيت الله) وهذا يكون حاله بعد ان يستقيم قلبه
واستقامة القلب تصحبها طائفة النفس وفي طمأنينة النفس رد للشيطان ورضا
للرحمن لان النفس كلما تحركت نزعاتها ونزعات الشيطان فيها تسكر صفو القلب
ولذا تسكر القلب طمع الشيطان في تقاليبه وقربه . منه وأما صفاء القلب فيكون
محفوظ بالتذكر والرعاية ، ولذا ذكر نور يتقيه الشيطان كاتقاء أحدنا النار . وقد
ورد في الخبر أن الشيطان جائم على قلب بن آدم فإذا ذكر الله تعالى تولى وخفس وإذا
غفل التقم قلبه فحدثه ومناه . وقال تعالى (ومن يعيش عن ذكر الرحمن نقیض له
شیطانا فهو له قرین) . وقال أيضا (إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان
تذكروا فإذا هم مبصرون) .

فكما ان النبوة معصومة من القاء الشيطان كذلك محل المكاملة والمحاذة وهو

القلب من السالك لطريق الحق فهو محفوظ من الفناء النفس وقتلتها ومن وسوسة الشيطان إذا اعتصم بالذكر والفكر فيكون حديد معتصما بحبل الله الوثيق فهو محفوظ بالحق عز وجل ، وهنا تحصل السكينة .

وكان الشيخ أبو محمد بن عبد الله البصري يقول أن الخواطر أربعة : خاطر من النفس ، وخاطر من الحق ، وخاطر من الشيطان وخاطر من الملك . فأما الذي من النفس فيحس به من أسفل القلب ، والذي من الحق من فوق القلب والذي من الملك عن يمين القلب ، والذي من الشيطان عن يسار القلب . . وقرر الشيوخ أن من كان أكله من الحرام لا يفرق بين الإلهام والوسوسة ولا يميز بين الخواطر الصالحة والطالحة وقد فرقوا بين هواجس النفس ووسوسة الشيطان وقالوا إن النفس تطاب وتلح فلا تزال كذلك حتى تصل إلى مرادها ، والشيطان إذا دعا إلى زلة ولم تستجب له النفس يوسوس لها بأخرى إذا لا غرض له في التخصيص بشيء بل مراده الاغواء كيما أمكنه . وتكلم الشيوخ في الحاطرين إذا كالا من الحق أيهما يتبع قال الجنيد : الخاطر الأول لأنه إذا بقي أرجع صاحبه إلى السائل وهذا شرط العلم .

وقالوا الواردات أعم من الخواطر لأن الخواطر تختص بنوع خطاب أو مطالبة والواردات تنوع فتكون تارة وارد سرور أو وارد حزن أو وارد بطريق بنور التوحيد يقبل القلب الخاطر من الله تعالى وبنور المعرفة يقبل من الملك وبنور الإيمان ينهي النفس وبنور الإسلام يرد العدو الخناس . وقال صاحب عوارف المعارف : وعندى والله أعلم ، أن الدتين (لمة الشيطان ولمة الملك) يتقدمان على حركة الروح والنفس فحركة الروح من لمة الملك والهمة العالية من حركة الروح وهذه الحركة من الروح ببركة لمة الملك ، وأما حركة لمة الشيطان فبإتحادها مع النفس الأمارة تكون الهمة الدنية وهي من شؤم لمة الشيطان . فإذا وردت اللمتان ظهرت الحركتان وتقلب القلب إلى الحال الحسن أو الحال السيئ وظهر بين ذلك معنى العطاء والابتلاء من المعطى والسالك الفطن المتيقظ يفتح عليه بمطالعة وجود هذه الآثار في ذاته فيميز بينها ولذا قال الله تعالى (ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد

أفلاح من زكاهما وقد خاب من دساما) فيبقى السالك المجد متفقدا حاله مطالعا آثار
اللمتين في نفسه . ولما الشيطان إذا حركت النفس هوت بجبلها إلى مركزها من الغريزة
والطبع وذلك هو الهوى المتع وقانا الله شره ، وأما خاطر اليقين والعقل أو له الملك
فانها تأتي بينة مشرقة لكل ذي قلب سليم وعلامتها رفع الهمة واتباع الصراط
المستقيم والشوق إلى رضوان الله عز وجل جعلك الله من أولئك .

وبما أننا أردنا بتقديم هذا التمهيد إليك أن يكون خطوطا لمعنى الطريق ، عبارة
النفس والدرج في المقامات وآخرها الرضائىم الأحوال وآخرها المشاهدة أحبينا
أن نسوق إليك منظومة في السلوك للسهروردي الكبير لتتفقه بمعانيها في الطريق
وهي جامعة لأكثر معاني الطريق وآدابه والشروط التي يجب أن تتوافر في
المريدن والشيوخ فأقرأها بوعى وحضور قلب يفدك الله منها بنوره أسرار
الطريق .

من ذاق طعم شراب القوم يدريه ومن دراه غدا بالروح يشريه
ولو تعرض أرواحا وجادها في كل طرفة عين لا يساويه
فقطرة منه تكفى الخاق لو ظموا فيشطحون على الأكوام بالتيه
وذوا الصباية لو يسقى على عدد الـ بأنفاس والكون كأس ليس يرويه
يروى ويظما لا ينمك شارب به يصحو ويسكر والمحبوب يسقيه
في ربه ظما والصحو يسكره والوجد يظهره طورا ويخفيه
يمدوله السر من آفاق وجهته وليس إلا له ما كان يمديه
له الشهادة غيب والغيوب له شهادة والقناء المحض يبعثه
له لدى الجمع فرق يستضيء به كالجمع في فرقه ما زال يبعثه
يدنو ويعلو ويرنو وهو مصظم في الحالين بتمييز وتولييه
له الوجودات أضحت طوع قدرته وما يشاء من الاوطار يقضيه
للقوم سر مع المحبوب ليس له حد وليس سوى المحبوب يحصيه
به تصرفهم في الكائنات فما يشاء شاؤا وما شاؤوه يقضيه

إن كنت تعجب من هذا فلا عجب لله في الكون أسرار ترى فيه
 لاشئ في الكون الا وهو ذو أثر فما المؤثر غير الله قاضيه
 ليس المضاد مناعا لقدرته من حيث قدرته تأتي تعالیه
 وللفقير وجوه ليس يحصرها عدوكل وجود فهو وادیه
 لو كنت تدري وجود العبد كنت ترى فيه الكمال كما النقصان بنفيه
 والعبد هذا هو الحر الذي حصلت له الخلافة جل الله ممطیه
 أوصافه ظهرت من وصف مبدعه وكل المظاهر تبدو في تجلیه
 إذا روى ذكر المولى برؤيته وفاز بالسعد والتفريب رائیه
 عبد عليه سمات العز لا تحفه وخلفه العز والحكم عاليه
 إن كنت تقصد أن تحظى بصحبته فاسلك على سيد طاعت مساعیه
 أحاص وداك صدقا في محبته والزم ثرى بابيه واعكف بنادیه
 واستغرق للعمرفي آداب صحبته وحصل الدر والياقوت من فيه
 وابذل قواك وبادر في أوامره ترى الوفاق وبائع في مراضیه
 واحذر بجهدك أن تأتي ولو غلطا ما لا يحب وباعد عن مناهیه
 وكن محب محبيه وناصرهم والزم عنارة من أضحي يعادیه
 واعلم يقينا بأن الله ناصره إن لم تكن ناصرا فالله يكفیه
 وانزل الشيخ أعلا منازلہ وأجعلہ قبله تعظيم وتنزیه
 واستفعل هذا إن ظننت به نقصا ولا خلا فيما يعانیه
 واترك مرادك واستسلم له أبدا وكن كيت مخلي في أيادیه
 اعدم وجودك لا يشهد له أثرا ودعه يهدمه طورا ويبنيه
 متى رأيتك شيئا كنت محتما بروية الشيء عما أنت ناویه
 ولا ترى أبدا عنه غما ومتى رأيت غنى يخش تناسیه
 إن اعتقادك إن لم تأت غايته به فيوشك أن تخفى مبادیه
 وغايه الامر فيه أن تراه على نهج الكمال وأن الله هادیه
 ومن علامة هذا أن تقول ما عليك أشكل لإظهارا لخافیه

والمرء إن يعتقد شيئا وليس كما يظنه لم يحجب الله يعطيه
 وليس ينفع قطب الوقت ذا خلل في الاعتقاد ولا من لا يواليه
 إلا إذا سبقت للعبد سابقة يعود من بعد هذا من مواليه
 فتنظرة منه إن صحت إليه على سبيل ود إن الله تغنيه
 والناس عبادان مجذوب وسالك ما دعى إليه بتعليم وتعليمه
 والجذب أحد عبيد بقة بيدي عناية نحو أمر ليس ينويه
 هو المراد ومخطوب العناية لا يحس كلمة تكليف تلافيه
 طورا يرد عليه الحسن نكمة له فيقصد ما قد كان ناويه
 تراه عبيدا لا يأوى على شغل سوى العبادة تستهوى تفانيه
 وقد يغيب عن الإحساس مخطف وذو العناية حفظ الحق يحميه
 ترى الحقائق تبدو منه في فسق مع المكشوف لأن الله يلقيه
 وذو السلوك تراه في إرادته يجاهد النفس مراعى لباقيه
 من ليس يخاص في مبدأ إرادته يهوى به الحظ في أهوى مهاربه
 يمشى على نهج أهل الصدق ملتزما شروطهم خائفا فيما برحبه
 كم من مرید قضى ما نال بغيته حق القضاء عليه في تفاضيه
 كم من مرید دنا من بعد عزته أن عزمه ذلك ما صحت مباديه
 أما المرید الذي صحت إرادته فما مراد له حدد يوافيه
 والجذب أن كان من بعد السلوك له فضل على الجذب كان السعى تاليه
 وفي الحقيقة لولا الجذب ما سلكك طريق حق ولا رثيت مرأيه
 لولا العناية والتخصيص قد سبقا في دعوة الحق ما قامت دواعيه
 أن المرید مراد والمحج هو الـ محبوب فاستعملان ذا من معانيه
 أن كان برضائك عبدأت تعبدته وإن دعاك مع التمكن تأنيه
 ويفتح الباب إكراما على عجل ويرفع الحجب كشفا عن تدانیه
 وثم تعرف ما قد كنت تجهله بماعن الحصر قد جلت معانيه
 وترتوى من شراب الأنس صافية يأسعد من بات بمولوا بصافيه
 وصل يارب ما غنت مطوفة على النبي صلاة منك ترضيه

وها أنت ترى وفقك الله إلى مرضيه وجنبك مباغضه أن الإمام السهروردي
رضي الله عنه قد بين في هذا القصيد المفيد كيف أن من عرف طريق القوم وسار
فيه نال السعادتين وحصل على اللذتين سعادة الدنيا والآخرة ولذتي الطاعة والمشاهدة
ولذا بدأ قصيده بقوله :

من ذاق طعم شراب القوم يدرية ومن دراه غدا بالروح يشريه
ثم يبين آداب المريدين مع الشيوخ وآداب الشيوخ مع المريدين وصفات
الشيخ القدوة الموصل . ثم تكلم عن مقامات السلوك وأحواله وخلص من ذلك
كله بأن السالكين صنفان صنف هو الطالب للحق والصنف الآخر هو المطلوب
للحق ، أو قل سائر إلى الله ومساربه مشيئة من الله لأنه قبل خلقه أحبه واجتباها ثم
رباه بأن أنعم عليه وابتلاه ؛ وهذا مقام رسول الله ﷺ فكل محبوب مقتدى في
الطريق به وكل سالك مطلوب سائر على دربه فهو وارث للفدوم المحمدي ، وقد بين
ذلك المقام أحد العارفين من أهل التصوف فقال :

رب شخص تسوقه الأفـدار الدالى وما لذاك اختيار
غافل والسعادة احتضنته وهو منها مستوحش نفار
حكم حارت البرية فيها وحقيق بها أنها تحتمار

وقد سمي السهروردي المحبوب مجذوبا ؛ وليس المجذوب على الحقيقة ذلك الرجل
الاشعث الاغبر أو ذلك الذي يتظاهر بالخليل والهبل فذاك إما متصنع أو مسلوب العقل
أو ضعيف وإنما المجذوب الحق من أخذته هوائف الحق من الصغر وربته يد العناية
حتى الكبر كما يقول الله تعالى (وكذلك لصنع على عيني) وكما يقول الرسول ﷺ
(أدنى ربي فأحسن تأديبي) ذلك هو المحبوب وأما المحب فهو رجل أطاع الله
وعبده وآمن به وأحبه حتى أحبه الله واجتباها فيلتقيان في رحاب الحقيقة الطالب
والمطلوب والمحب والمحبوب والسالك والمجذوب ولذلك يقول السهروردي :

إن المريد والمحب هوال محبوب فاستقمه من ذا من معانيه
إن كان يرضاك عبدا أنت تمبده وإن دعاك مع التمكن تأتبه

ففي قوله (إن يرضاك عبداً) هـ أن تعبدته وتحامد نفسك في سبيله إن رضىك
لذلك فتح عليك باب عبادته لندخل من باب محبته فتكون محباً وأما قوله (وإن
دعاك مع التمكن تأنيه) فمدناه أن الدعوة من الله سبقت للعبد فيكون بمن
سبقت لهم الحسنى وهذا هو المحبوب الذى اصطفاه الله من قبل خلقه
وأمره إلى الوجود بيد عنايته ورعايته . ولذا كان هذا المقام هو المقام
المحمدى مقام المحبوبين فكل من لمسته العناية السابقة سار على القدم المحمدى .
وخلص السهروردى من هذا إلى قوله :

ويفتح الباب إكراما على عجل ويرفع الحجب كشفا عن تدانيه
وتم تعرف ما قد كنت تجهله مما عن الحصر قد جلت معانيه
جعلنا الله وإياكم من أهل محبته ورضوانه .

الحال والمقام الفرق بينهما

لقد كثر الاشتباه من السالكين بين الحال والمقام وكذلك اختلفت اشارات
الشيوخ في ذلك ووجود الاشتباه لمكان تشابههما وتداخلهما فما يراه بعضهم حالا
يراه البعض مقاما وكلا الرؤيتين صحيح لوجود تداخلهما ووجهات النظر فيها ولا بد
من ذكر ضابط يفرق بينهما . وفي الواقع ان اللفظ والعبارة عنهما مشعر بالفرق .
فالحال سمي حالا لتحوله والمقام مقاما لثبوته واستقراره وقد يكون الشيء بعينه حالا
ثم يصير مقاما مثل ان يذبح من باطن العبد داعية المحاسبة ثم تزول لداعية غلبة صفات
النفس ثم تعود ثم تزول . فلا يزال العبد بحال المحاسبة يتعاهده الحال ثم يحول الحال
بظهور صفات النفس الى ان تتداركه المعونة من الله تعالى . ويقلب حال المحاسبة فتصير
المحاسبة مقاما وتنقهر النفس وتنضبط وتملكها المحاسبة فتصير المحاسبة وطنه ومستقره .
ومقامه فيصير في مقام المحاسبة بعد أن كان له حال المحاسبة وهذا في ابتداء المقامات
وهو غير الأحوال القلبية الثابتة التي تلى المقامات كالشوق والحب وغير ذلك

وهنا ينازله حال المراقبة . فمن كانت المحاسبة مقامه يصير له من المراقبة حال ثم يحول حال المراقبة لتناوب السهو والعقلة في باطن العبد إلى أن ينقشع ضباب السهو والعقلة ويتدارك الله عبده بالمعونة فتصير المراقبة مقاما بعد أن كانت حالا . ولا يستقر مقام المحاسبة قراره الا بنازل حال المراقبة . ولا يستقر مقام المراقبة قراره الا بنازل حال المشاهدة .

وهكذا فإذا فوجيء العبد بنازل حال المشاهدة استقرت مراقبته وصارت مقامه . ونازل المشاهدة أيضا يكون حالا يحول بالاستتار ويظهر بالتجلي ثم يصير مقاما . ثم فوق المراقبة أحوال وزيادات وترقيات من أحوال إلى أخرى أعلى منها كالنحقيق بالعلماء والخلص إلى البقاء والبرقي من عين اليقين إلى حق اليقين وهو نور يخاطب شغاف القلب وذلك إلى فروع المشاهدة . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اللهم إني أسألك إيمانا يباشر قلبي) وقال بعضهم الحال هو الذكر الحق .

وشيوخ العراق يقولون ، الحال ما كان من الله مباشرة . وأما كل ما كان من طريق الاكتساب والأعمال فيقولون هذا مقام ناشئ عن جهاد العبد . فإذا لاح للريد شيء من المواهب والمواجيد قالوا هذا إلهام من الله وسموه حالا . إشارة منهم إلى أن الحال موهبة بخلاف المقام فإنه مكتسبه .

وقال بعض مشايخ خراسان : الأحوال موارث الأعمال . وقال بعضهم : الأحوال كالبروق فهي مواهب إذ المكتسب مخنوفة بالمواهب والمواهب مخنوفة بالمكتسب . فالأحوال مواجيد والمقامات طرق المجاهدات وفي المقامات ظهر الكسب وبطنت المواهب فالأحوال مواهب علوية سماوية ، والمقامات مسالك أرضية .

وكان قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : سلوني عن طرق السموات فإني أعرف بهام طرق الأرض إشارة إلى المقامات والأحوال . وذمب مضهم إلى أن الأحوال لا تكون إلا إمذا . است فإن لم تدم فهي لوائح وطوالع وبوادر . وهي مقدمات الأحوال

ولست بأحوال . واختلاف المشايخ في أن هل يجوز للعبد أن ينتقل إلى مقامه الذي هو فيه قبل إحكام حكم مقامه . قال بعضهم : لا ينبغي أن يذقل عن الذي هو فيه دون أن يحكم حكم مقامه ، وقال آخرون : لا يكمل المقام الذي هو فيه إلا بعد ترقيه إلى مقام فوقه فينظر من مقامه العالي إلى ما دونه من المقامات فيحكم بأمر مقامه ، والأولى أن يقال والله أعلم : إن الشخص في مقامه يعطى حالا من مقامه الأعلى منه الذي سوف يرتقى إليه . فيجد أن بذلك الحال يستقيم أمر مقامه الذي هو فيه .

ولا يلوح للعبد حال من مقام أعلى مما هو فيه إلا وقد قرب ترقيه إليه فلا يزال العبد يرقى إلى المقامات بزوائد الأحوال . فعلى ما ذكرناه يتضح تداخل المقامات والأحوال ، ففي الزهد حال ومقام ، وفي التوكل حال ومقام ، وفي الرضا حال ومقام هكذا .

وطرؤه حال التوبة يكون بزاهر من النفس للنفس أولا فينازل النائب حال الزجر وهو موهبة من الله تعالى تقوده إلى التوبة ومثل ذلك أن تعبه الروح مثلاً لقول الله تعالى : (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق) فيحصل الخشوع وتعبه التوبة والتوبة فقام بل هي أول مقامات السلوك وقد صاحبها هاتف أو حال مینظ من الحق تعبه التوبة فعلا .

وهكذا في الزهد لا يزال العبد يتزهد بفازلة حال تربيته لئلا يشغل بهجوم الدنيا وتفتيح له لاقبال عليها فمحوثر حله بسبب شره النفس وحرصها على الآجلة وتفضيلها على الآجلة ، ويظل كذلك في تردد حتى تتداركه المعونة من الله فيزهد ويستقر زهده ويصير الزهد مقامه . ولا تزال نزلة حال التوكل تفرع باب قلبه حتى يتوكل فيصير مقاما . وهكذا حال الرضا وبصير ذلك مقامه .

وهذا نفسه لا يمنع أن تكون هناك أحوال ثابتة غير النوازل والوامع البارقة في القلب من هوائف الحق ، وهذه بواعث وأحوال حائلة لا تمنع أن تعقب الترقى في المقامات أحوال ثابتة هي مواهب تعقب المكاسب والمجاهدات كاشوق والأنس والحب وغير ذلك .

سلوك الطريق

سلوك الطريق معناه التحقق بمقامات اليقين وأحوال القرب من الله عز وجل بالعلم والعمل والمقام والحال . سلوكا على يد شيخ عارف بجمع الطريق ومفاوزه فيدل السالك على السبيل الأقرب إلى الله بما يرشده إليه من أنواع الرياضة والذكر والخلة وغير ذلك والمقامات التي يريد قطعها تمرسا بالعلم والعمل إلى الله سبحانه وتعالى وهي : التوبة والورع والزهد والصبر والفقر والشكر والتوكل والرضا ، وضم الفقر إلى الزهد لأن نتيجة الزهد الافتقار إلى الله ، فـ تكون المقامات سبعة : والأحوال التي يمن الله بها على عبده فيتحقق بمضمونها حالا بعد حالا هي القرب والانس والحب والشوق والحياء والقبض والبسط والفناء والبقاء . وقد بينا أن المقام معناه ما يقوم فيه العبد لله بمجاهدة ومكافحة وباعثه الايمان ورائده عزيمة الوصول ، وعوامل المقام الموصلة ما فيه من رياضات للنفس تثبت العبد على الطريق وتكشف له الحجب (وما منا الا له مقام معلوم) والأحوال ما يربط إلى القلوب من أنوار الحق ومواهبه ونجليات تأتي بوارق ثم شوارق ثم تثبت أحوالا وكانت قبل السلوك في المقامات تبرق إلى النفوس والقلوب كوميضات البرق ثم تحول .

وعلى العموم فقد قدمنا قول شيوخ الطريق بأن المقامات في معظمها مكاسب والأحوال في جماتها مواهب ولنا في قطع المقامات والأحوال إلى الله قاعدة من شأنها التقريب يسير عليها رجال الطريقة الفيضية وهي : طريقتنا إرادة ، فرياضة ، فيجهد في الجادة ، فتشبه ، فانطباع ، فعادة . وإليك تبسيطها وشرح معناها بمنزلة بالمقامات والأحوال وقد آن لما أن نتكلم عن قطع المقامات مقاما مقاما من التوبة والتمهيد إلى مقام الرضا وأما الأحوال والمسازلات بين العبد وربّه فنذكرها في الكتاب الرابع كتاب الحقيقة وإليك هنا الشرح والبيان للقاعدة التي أولها الإرادة . والارادة معناها ارادتك للنوّه أي حبك له بإذا اشد هذا الحب أصبح رغبة ملحّة .

الارادة

الحب والرغبة لا ينيلان المقصود إلا إذا وافقتهما العزيمة ومعنى قولنا إرادة يتضمن ١ - الحب ٢ - الرغبة ٣ - العزيمة الثابتة والمشاركة المتواصلة وبها يتم المقصود .

ويقول صاحب منازل السائرين . الارادة عند القوم هي اسم لأول منازل القاصدين إلى الله تعالى والمريد هو الذي خرج من وطن طبعه ونفسه وأخذ في السفر إلى الله وهو القاصد .

والطلب والارادة عند أرباب السلوك هي التجرد عن الارادة فلا تصح عندهم الارادة إلا لمن لا ارادة له ولا تفل أن هذا تناقض بل هو محض الحق ويريد صاحب منازل السائرين فناء رغبة النفس في مراد الحق تدرجا وعملا حتى تخلص إرادته من الشوائب فيتحلى بمكارم الأخلاق لتحصل التحلية ولا تكون التحلية قبل التحلية وانفقت كلمة القوم على أن الارادة مخالفة العادة ومعنى هذا أن عادة الناس غالباً التعريج على أوطان المفلة واجابة داعي الشهوة والاخلاد إلى أرض الطبيعة والمريد مفساخ عن ذلك إلى اصلاح نفسه فصار خروجه عن نفسه دلالة على صحة الارادة فسمى انصلاحه وتركه . ارادة وقيل هيام القلب بطلب الحق ويقول محمد بن خفيف الارادة سمو القلب لطلب المراد وحقيقة الارادة استدامة الجود وترك الراحة .

إرادة الاستعداد للساوك

وقد تكلمنا عن ذلك في موضع آخر فقلنا يا بني إن كنت من الباحثين عن السعادة ، الراغبين في الحكمة ، الطامعين في رضا الحق فاصغ لاسألك .

هل أنت على الهمة وثاب العزيمة ؟

هل أنت صادق القول والعمل ؟

هل أنت مستقيم الطبع - سليم النظرة ؟

هل تريد أن تحب الله فوق كل شيء ؟

فإن لم تكن هكذا فكن وغير ذلك لن توفق إلى معرفة سر حياتك ولا حقيقة لانسانيتك ولا تشتم ربح السعادة الكاملة والحرية والحكمة .

يا بني طهر جميع ميولك وأفكارك ونواياك من أسباب الريب والشك والضعف والنك واجعل فؤادك في جميع أوقائك طاهرا نقياً مستعداً لاشراق نور الحق فيسمو فكريك ويصفو قلبك وتستقيم حياتك ظاهراً وباطناً (وأما ينزغتك من الشيطان نزغ فاستعد بالله أنه هو السميع العليم) . لما أوجدك في الدنيا لينعرف إليك فتعرف إليه لئلا تكل من رزقه وتجدد موجبات شكره فإنه أقبل إحسانه عليك لقبول قلبك عليه فيسكون منه مبتدأك وإليه مرجعك . فإذا كنت من المتفكرين فككن من المعتبرين وإذا كنت من المعتبرين فككن من الموقفين وإذا كنت من الموقفين فككن من العاملين وإذا كنت من العاملين فككن من المخلصين وإذا كنت من المخلصين فأنت المقصود بالقرب من الحق . فمن أراد الله هدايته وإرشاده مد له حبلاً من عنايته موصولاً بحضرته وجعل له مهيمناً من باطنه ومذكراً من عقله حتى إذا أعوج اعتدل راغباً أو راغماً لأنه حينئذ يكون بعين الله مصحوباً بعنايته ومسوقاً إليه برعايته .

فوالله ما قربك إلى حضرته إلا سابق عنايته وما أوقفك ببابه سوى ما انطويت عليه من معنى اختصاصه لأحبابه .

واعلم أن أحباب الله غرباء في خلقه فإذا كنت في الناس غريب النفس والمطلب فاطلب سبيل الصادقين تجد فيهم أهلاً ووطناً .

فإذا احنارك الله لحضرة وقادتك الأقدار للمآلى فاعلم أن الحق مؤدك وكل شيء محار بك حتى يتصهر جوهرك فيصفو وتضيء بصيرتك فتستد وتمسح وتملو وحينئذ تشرق على فؤادك الأنوار الالهية وتزول للسعادة الأبدية فأحجب ما فيه خلاص نفسك وليكن حبك حبا بغير حد وعلق عليه كل أمل ثم أصدق في الطلب وأخلص في العمل فمن غير شك تصل إلى مقام المقربين والصدق عين اليقين .

واعلم أن شهودك لفضل الله في الطاعة وحيائك منه في المعصية وحنينك إليه في الغلة دليل على قربك منه وغيرة عاك .

وفي الرسالة القشيرية يقول صاحبها : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إذا أراد الله بعبد خيراً استعمله) فقل له كيف يستعمله يا رسول الله ؟ قال (يوقفه لعمل صالح قبل الموت) .

وفي منازل السائرین : الإرادة من قوانين هذا العلم وجوامع أبنيتها وهي الاستجابة لدراعى الحقيقة طواعية .

ويقول القشيري : الإرادة بدء طريق السالكين وهي اسم لأول منزل من منازل الفاصدين إلى الله تعالى وإنما سميت هذه الصفة ارادة لأن الارادة مقدمة كل أمر فما لم يرد العبد شيئاً لم يفعله ولم يفعله ان ينال ثمرته ولما كان هذا الابتداء أول الأمور لمن سلك طريق الله عز وجل سمى ارادة لتعيين القصد الذى هو مقدم عليه .

وفي منازل السائرین الارادة على ثلاث درجات :

١ - ذهاب عن العادات بصحبة العلم والتعلق بأنفس السالكين مع صدق القصد وخلع كل شاغل من الاخوان والأوطان (يعنى بذلك أن الأرضيات موطن الجسد)

٢ - ارادة تقطع بصحة الحال وترويح الانس والسير بين القبض والبسط .

٣ - صحو مع صحة الاستقامة وملازمة رعاية الأدب .

وفي جامع الأصول : صورة الارادة في البدايات ترك العادات ولزوم العبادات :

وفي الاواب : اعتناق الرغبة في الحق والانقطاع عن شواغل الخلق .

وفي الاخلاق : البلوغ إلى كمال الفتوة والتلقى ببواعث لمرة .

وفي الادوية : علو الهمة وتوحيد الوجهة .

وفي الاحوال : طلب الترقى إلى ذروة العشق لنيل حلالة النذوق .

وفي الولايات : ارادة محر الارادة أى ونسيان أنه كان مریدا)

وفي الحقائق : الخصاص من البقية بطمس الاثنية .

وفي المشاهدات : التحقق بمشيئة الله قال تعالى (وما تشاؤون إلا أن يشاء الله)

وأصول الارادة على مذهب كبار الصوفية أربعة :

١ - الصدق في العبودية .

٢ - ترك الاختيار مع الربوبية . ٣ - الاخذ بالعلم في كل شىء .

٤ - إيثار الله بالمحبة على كل شىء .

وقال الشاذلى رضى الله عنه . . من لم تصح ارادته لم يزد مريد

الايام الا اذبارا .

وفي الكلام عن الارادة والمريد كتب صاحب شرح المباحث يقول . معنى

الارادة هو طلب السلوك إلى ملك الملوك أو تقول هي صدق الوجهة إلى الله

بافراد القصد إليه . لأنه لما حصر اراداته في ارادة واحدة ولم يبق له مراد إلا

حبة مولاه سمى مریدا فالمرید عند القوم هو المبتدئ والمراد هو المجتنب من حيث

(أنه قد سبق له من الله الحسنی) . وسئل الجنيد عن المريد فقل المريد تتولاه

سياسة العلم والمراد تتولاه رعاية الحق لأن المريد يسير والمراد يساربه

وأما حدود المريد فثلاثة : مجاهدة ثم مكابدة ثم مشاهدة . والاولى في تقدم

الظاهر والمكابدة في تقدم الباطن والاخيرة ثمرة المكابدة . وأما حدود الارادة

فهى : قطع العلائق وخرق العوائد واكتساب الفوائد . وذلك لا يتم إلا بإرشاد

شيخ عارف بأمراض القلوب وكيفية تطهيرها وبذلك يتم للمريد إكتساب

المعارف الربانية التي يهتدى بها قلبه ويطمئن خاطره إذ يشعر شعورا باطنيا أنه قريب من حضرة مولاه . ومنازل المريد التي ينزلها ويرتحل عنها ثلاث

١ - منزل لإسلام وهو محل تطهير الجوارح الظاهرة من الذنوب وتجنبها بطاعة علام الغيوب ٢ - منزل الايمان وهو محل تطهير القلوب من المساوى والعيوب ٣ - منزل الاحسان وهو محل الشهود والعيان . وقواعد المريد التي يرجع اليها ثلاثة : الاولى آدابه مع الله ورسوله . فاما الآداب مع الله فباعتبارين اعتبار العوام وهو الامتثال لامره تعالى واجتناب نهيه ، واعتبار الخواص وهو الاكثار من ذكره ومراقبة حضوره وإيثار محبته وحفظ الحدود والوفاء بالعهود والرضا بالموجود . واما آداب مع الرسول فباعتبارين أيضا : اعتبار العوام وهو اتباع السنة ومجابة أهل البدعة واعتبار الخواص وهو إيثار محبته والاهتمام بهديه والتخلق بأخلاقه واعتبار ثالث هو اعتبار خواص الخواص ، وهم الواصلون فهم مع الله بالنواضع له في كل شيء والتعظيم له عند كل شيء ودوام معرفته في تجليات الجلال والجمال . ومع الرسول صلى الله عليه وسلم في التحقق بحبه وتعظيم امته وشهود سنته . فهذه جملة آداب المريدين والسائرين والواصلين مع الله ورسوله

وآداب المريد مع الشيخ مرجعها إلى سبعة أمور . أربعة ظاهرة وثلاثة باطنة أما الظاهرة .

فالأولى منها : الامتثال لامره وأن ظهر له خلافه واجتناب نهيه وأن كان فيه حظه .

والثاني : السكينة والوقار في الجلوس بين يديه

والثالث : المبادرة إلى خدمته بقدر الامكان بنفسه أو بماله أو بقوله بخدمة الرجال سبب الوصال .

والرابع : دوام حضور مجلسه فدد الشيخ جار كالسافية فإذا حصلت الغفلة انقطع المدد وكذلك تكرار المواصلة يدل على شدة المحبة .

وأما الآداب الباطنة فأولها : اعتقاد كماله وأنه أهل للقدرة والترتبة لجمعه
بين الشريعة والحقيقة وبين السلوك والمعرفة . وثانيها : تعظيمه وحفظ حرمة
غائبها وحاضرها وترية محبته في القلب وهي دليل الصدق وبقدر التصديق والصدق
يكون التحقيق فمن لا صدق له لا سير له ولو بقى مع الشيخ ألف سنة . وثالثها
يتجرد من رؤية علمه وعمله قبل اوصول إلى الشيخ لبيل الشراب الصافي من بحر
مدده الوافي .

آدابه مع الاخوان (في ايقاظ الهمم) أربعة :

- ١ - حفظ حرمتهم غائبين أو حاضرين فلا يغتاب أحدا ولا ينتقص أحدا .
- ٢ - نصيحتهم بتعاليم جاهلهم وإرشاد ضلهم وتقوية ضعيفهم ولو بالسفر
إليهم .

٣ - التواضع لهم والاستئصال من نفسك معهم وخدمتهم بقدر الامكان
قال تعالى : (وتعارفوا على البر والتقوى) .

٤ - شهيد الصفاء والكمال فيهم فلا ينتقص أحدا منهم ولو رأى ما يوجب
النقص في الظاهر فالؤمن ملتزم بالمعاذير . وقال صاحب المباحث الاصلية :

والآداب الظاهر للعيان دلالة الباطن في الإنسان
وهو أيضا للفقير سند وللغني زينة وسؤدد
وقيل من يحرم ذوق الآداب فهو بعيد مادنا واقرب
فالقوم بالآداب حقا سادوا منه استفاد النعم ما استفادوا

الرياضة

ونقصد بالرياضة حسن الاستعداد والتهيؤ للأمر المراد والتدريب عليه والمزاولة له . وبما أن المراد هنا هو الوصول إلى الله تعالى فتضمن الرياضة أنواعا من الخلال الخاصة المؤهلة والصفات الموصلة ، وأولها نية التجرد من العيوب والنقص وعزيمة التوجه والملابسة لمكارم الأخلاق والفضائل وهذا ما تصح معه التوبة الخاصة الصادقة ، ثم محاربة النفس في غرائزها ومطالعتها الشادة عن حد الاعتدال ومخالفة الهوى ، والهوى هو النزعات الغريزية التي لا يكون مبعثها إلا الميل الغريزي للصفات المذمومة . وكذلك الانعطاف الحلي ، أي من غير ما تبصر في العواقب ولا في قوافين السلوك ولذا يجب التقيد بقواعد كريمة وعمليات فاضلة تهيئ في النفس النيات والعزيمة وتنفي الأحوال والصفات التي كانت تتصف بها هذه النفس قبل التوبة والإرادة والدخول في الرياضة . والأخلاق والصفات المطلوبة هي الأخلاق الإسلامية التي كان قدوتها وأمامنا فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم والتي مدحه الله بها في قوله تعالى (ولما إلى خلق عظيم) وكذلك العبادات الشرعية التي تساعد على الخلق بتلك الأخلاق الكريمة مثل الصوم والصلاة التي تصل الروح بمدتها الاعلا . ثم إلزام الجوارح بعمليات مخصوصة منظمة في أوقات وحدود معينة والتفكير مع التدريب الأفكار السلبية إلى أفكار إيجابية وتنوير البصيرة بنور الله وبواسطه الذكر لتبعث على التحرر من قيود النزعات الخائفة ، وإجمالا تغيير الخلق تغييرا تدريجيا للحصانة والمناعة من أفعال الشر والأشوار . فالرياضة إذن تتضمن نية التغيير على أن تكون نية صادقة مؤدية إلى التوبة ويحقق للتوبة إبدال المعصية بالطاعة ومحاربة النفس ومخالفة الهوى لتتلبس الجوارح بالعمل الفعلي بالطاعات والقرابات والاستمرار في ذلك مضافا إليه حسن العبودية مع الله وحسن المعاشرة مع الناس ، وبذا يتم تحويل الأخلاق من النقص إلى الكمال .

وتأتي اليقظة بعد ذلك وهي الانتباه من الغفلة . ويقول صاحب منازل السائرين مبتدئا بقول الله تعالى (قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى)

والقومة إلى الله تعالى بقظة واليقظة أول منزل من منازل الطريق إلى الله تعالى
ونورها أول نور يستنير به القلب والعقل . ومر أيقظة الله تعالى بهم .

واليقظة تكون بسبب وبغير سبب . فالتى تكون من نفس العبد إما منظر
واستدلال أو تجرى على فؤده بعد أن كان غافلا كما جرى لحفصه العابدة حينما غمت
يوما وهى تضرب على العود .

خطي الحق من جناني فكان وعظي على لساني
قربى منه بعد بعد وخصني الله واصطفاني
أحببت لما دعيت طوعا ملبيا الذى دعاني
وخفت مما جنيت قدما فوقع الحق بالأمانى

فذهبت وكان ذلك سبب توتها . وقد تجرى العبرة واليقظة على لسان الغير فاما
أن تكون من كتاب الله كحضور مجلس وعظ ، وإما من العدو كما حدث لشقة ق
البياخى عندما سافر للتجارة ودخل فى بيت الأصنام فوجد صديقا الأسنام فقال له :
أول لك إلها صانعا قادرا مريدا فلم لا تعبدده وترك هذه الأوثان التى لا تضرر
ولا تنفع ؟ فقال له الصى المشرك : إذا كان الأمر على ما تقول فلقى شىء تعبت
واشغلت بالتجارة والسفر إلى ههنا وإلهك قادر أن يرزقك ببلدك ؟ فقال له
شقيق : صدقت . فتناهب وتيقظ وترك التجارة وتعبد وكان من كبار المتوكلين
وأنشد فى هذا المعنى يقول :

جزى الله من عاديت خيرا فأنى سأحمده من حيث لا يحمد الحل

والمراد من عبارة شقيق البياخى أن الغلام أيقظه لشدة التوكل مع العمل
وليس للبطالة والتعطل فإن شقيقا كان من المجتهدين فى سائر حالاته .

ونور اليقين أول نور الإيمان والعلم . ويقول صاحب منازل السائرين اليقظة هى
ثلاثة أشياء : لحظ القلب للنعمة مع اليأس من عدها والوقوف على حدها ، والتفرغ
إلى معرفة المنة بها ، مطالعة الجناية والوقوف على خطرها والشمور لتداركها والتخلص
من رقها وطالب النجاة بتمحيصها . والانتباه لمعرفة الزيادة والنقصان من الأيام

والمتنصل عن تضيقها والنظر إلى القصد بها للدرك فثمتها وتتميم باقيها . وأما صفاء القلب فبنيور العقل . شيم برفق المنة والاعتبار بأهل البلاء . وأما صحة السلوك فبتعظيم الحق ومعرفة النفس وتصديق لوعده وأما حقيقة الصحو فاستقامة النفس ثلاثة أشياء : سماع العلم واجابة دواعي الخدمة ومحبة الصالحين . وكل ذلك مع خلع العادات وترك العذلات .

وفي جامع الاصول اليقظة في البدايات هي المنه عن سنة الغفلات والموهبة لله تعالى وفي الوسط التحرز من دواعي الشيطان والمحتظ من الخلال الموجهة للخلاص .

ويقول صاحب المنازل أن اليقظة هي الفهم عن الله تعالى وزواجره . ويدانيتها أن يفهم ما يحتاج إليه من الرضا قضاء الله تعالى ، وأوسطها الأداء للطاعة مع معرفة آدابها . وهما تها الخروج عن العادة والقيام بمرامم العبادة .

التجريد

قال الله تعالى : فاخلع نعليك ، والتجريد انخلاص عن شهود السوى وهو على ثلاث درجات كما جاء في كتاب منازل السائرين . الاولى : تجريد عين الكشف عن الوهم ، والثانية تجريد عين الجمع عن رؤية المفرقة والثالثة : تجريد النفس عن شهود التجريد .

فالتجريد من حظوظ النفس والتفريد للحق . يكشف عن القلب حجابيه ويزول عنه ظلامه ويطلع فيه فجر التوحيد وتبرز فيه شمس اليقين وتستنار له الطريقة الغراء والحجة البيضاء التي ليها كنهارها .

التوبة

والتوبة هي أول أركان الرياضة لأنها محاولة لاستقامة مع الله والسلوك في مقامات الايمان المؤدية إلى أحوال الاحسان ، وفي هذا يقول سيدي أبي الحسن الشاذلي طريق التصوف تدرب النفس على العبودية وردها لأحكام الروحية وأول مراتب الرياضة هي نفسها أول مقامات اليقين وهي التوبة . وحده التوبة نسيان الذنب وابتغاء القرب .

والتوبة في اللغة هي الرجوع عن الذنب وكذلك التوب قال تعالى (غافر الذنب وقابل التوب) وقيل التوب جمع توبة وفي الشرع هي الرجوع عن الأفعال والأفعال المذمومة إلى ما هو محمود منها وهي واجبة على العور عند عامة العلماء أما الوجوب فاقوله تعالى (فتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون) وأما الأسراع بها فذلك لما في تأخيرها من أضرار محرم . واءبر صاحب حياة القلوب وصاحب قوت القلوب أن من مقدمات التوبة التفكير وهو النظر في لطائف الصنعة ووجوه الحكمة . والتذكر وهو أعلى من التفكير ومنه اليقظة والانتباه من الغفلة . وفي جامع الأصول أن التوبة قسمان ، توبة العوام وتوبة الخواص . فتوبة العوام على ثلاث مراتب وتوبة العوام هي توبتهم عن الكبائر بالدم على الماضي وترك الذنوب في الحال والعزم على أن لا يعود ، ورد المطالم وإعادة المرائض التي فئت وتربية النفس على الطاعة . وتوبة الخواص عن الصغائر التي وردت بسهولة وغلة وجهل ونسيان كما قال تعالى : (نما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة مما يتوبون من قريب أولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليماً حكيماً) .

والتوبة على ضربين : أنابة ، واستجابة . فالأنابة أن تخاف الله أقدرته عليك والاستجابة أن تستجيب من الله لأمره منك أما الأنابة فهي قريبة من التوبة لغة وشرعاً .

ويقال التوبة صفه المؤمنين قال تعالى : (وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون)

والآياته صفه الأولياء والمقربين قال تعالى (وجاء بقاب منيب) والآية صفه الأنبياء والمرسلين قال تعالى : (نعم العبد أنه أواب) .

وفي قوت القلوب إن جملة ما يجب على العبد في التوبة وما تعاقب بها عشر خصال : أن لا يعصى الله ، وإن ابتلى بمصيبة لا يصر عليها ، والتوبة إلى الله منها ، والندم على ما فرط منه ، وعقد لاسقامته على الطاعة ، وخوف العقوبة ، ورجاء المغفرة ، والاعتراف بالذنب ، والاعتقاد أن الله فدر ذلك عليه وإله عدل منه ، ثم اتباعها بالعمل الصالح لقوله صلى الله عليه وسلم (وأتبع السيئة الحسنة تمحها) وقال بعضهم أنا من أن أحرم التوبة أخوف من أن أحرم المغفرة . وقال سري السقطي : من شروط التوبة أنه ينبغي للذائب المذنب أن يبدأ بمأينة أهل المعصية ثم بنفسه ثم الاعتزام على أن لا يعود إلى معصية أبدا ومحاسبة النفس في كل طرفة وترك الفضول وهي ستة : فضول الكلام ، وفضول النظر وفضول المشي ، وفضول الطعام ، وفضول الشراب ، وفضول اللباس .

وسئل سهل بن عبد الله التستري عن التوبة فقال أن لا تذي ذنبك . وسئل ذو النون عن التوبة فقال : توبة العوام من الذنوب وتوبة الخواص من الغفلة والإكثار من ذكر الله .

وقال عبد الله التميمي : شتان ما بين تائب يتوب من الزلات وتائب يتوب من الغفلات وتائب يتوب من رؤية الحسنات .

وقال الواسطي . التوبة النصوح لا تنقي على صاحبها أثرا من المعصية سرا ولا جهرا ومن كانت توبته نصوحا لا يزال كيف أمسى وأصبح .

وسئل البوشنجي عن التوبة فقال إذا ذكرت الذنب ولم تجد حلاوة عند ذكره فهو التوبة النصوح .

وقال ذو النون : حقيقة التوبة أن تضيق عليك الأرض بما رحبت حتى لا يكون لك قرار ثم تضيق عليك نفسك كما أخبر الله تعالى في كتابه بقوله (وضائق عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا) وقال ذو النون أيضا الاستغفار من غير إفلاخ توبة السذابين . وقال رجل

لرابعة العدوية . إني قد أكثرت من الذنوب والمعاصي فلو تبت هل يتوب علي ؟
فقلت : لا بل لو تاب عليك لبت .

وقال بن عطاء الله : التوبة توبتان . توبة الإنابة وتوبة الاستجابة فتوبة
الإنابة أن يتوب العبد خوفا من عقوبته ، وتوبة الاستجابة أن يتوب حياء من
حضرته

وقال الشاذلي : إلق نفسك على باب الرضا وانخلع عن عزائمك وإرادتك
حتى تنقذ التوبة استجابة من الله لك قال تعالى (ثم تاب عليهم ليتوبوا) وقال :
قلت يوما اللهم إني تبت إليك فأعني وأيدني وقوني وانصرني وثبتني واعصمني
واسترني بين خلقك ولا تفضحنني عند رسوالم . فقيل لي إن هذا شرك . قلت
كيف ؟ . فقيل لي لك خفت من الفضيحة عند الحق وإنما التوبة أن يكون قلبك
متعلقا بالله لا بالناس وأن توفن أن أحدا منهم لا ينفعك ولا يضررك فما دام قلبك
متعلقا بملك وقدرتك وجدك واجتهادك فلست راج حتى تياس من الكل متعلقا
بالرجاء في الله في كل نفس فتجد الروح والمدد من الله .

وقالوا : الاستغفار احصن الحصون من الذنوب قال تعالى : (وما كان الله
معذبهم وهم يستغفرون) . وقال صلى الله عليه وسلم : (الاستغفار ممحاة
للذنوب) .

وفي منازل السائرين عن الإنابة ذكر قول الله تعالى : (وأنيبوا إلى ركم)
وقال الإنابة ثلاثه أشياء . الرجوع إلى الحق اصلاحا كما رجع إليه اغذارا .
والرجوع إليه وفاء كما رجع إليه عهدا . والرجوع إليه حالا كما رجع إليه استجابة
ولما يستقيم الرجوع إليه اصلاحا بثلاثة أشياء . الخروج من القبات والتوجه
للعثرات . واستدراك الفاتت . ويستقيم الرجوع إليه وفاء بثلاثة أشياء : الخاوص
من لذة الذنب وترك الاستهانه بالغفلة مع الرجاء في العفو ، والمحافظة على الافامه
في الطاعة ولما يستقيم الرجوع إليه حالا بثلاثة أشياء :

بالاياس من عملك ، وبمعاينه اضطرارك ، وبشيم برق لطفه بك

ما يحب على التائب من الوظائف حقبة التوبة : يجب على من أخذ في سلوك طريق الله بعد التوبة الاستتمام في طريق هذا السفر وذلك بالمحافظة على الطاعة واجتناب المعصية . ويجب عليه تعلم الأحكام من علم الشريعة . ومحاسبة نفسه على الأعمال فينظر في جميع أعماله المتعلقة بالقلب والجوارح الظاهرة ويبتبرها عملاً في كان منها على وفق الشرع حمد الله تعالى عليه فإنه من أكرم نعم الله وما كان منها مخالفاً تاركاً بالتوبة والاستغفار . وكذلك كان يفعل عمر بن الخطاب . والذنوب صغائر وكبائر كما جاء في الأحياء حيث قال الغزالي : والذنب عن كل ما هو مخالف لأمر الله تعالى في ترك أو فعل . والذنوب تنقسم إلى قسمين ما يتعلق فيما بين العبد وبين الله وما يتعلق بما بينه وبين العباد ، فما يتعلق بالعبد خاصة فيما بينه وبين الله كترك الصلاة والصوم والواجبات الخاصة به وما يتعلق بحق الناس ومظالمهم . ومن سراج القلوب حكى أنه تاب بعض المائبين عن الذنب ثم وقع في المعصية ثم ندم ، وخطر بباله أنه لو رجع إلى التوبة كيف يكون حاله ؟ فتهتف به هاتف من الحق : اطعنا فشكرناك ثم تركتنا فأمهلناك فإن عدت إلينا قبلناك وإن أمهلتنا حجبتناك فأنشد :

يارب قد تبت فأغفر ذنبي كرماً وأرحم بعفوك من أخطا ومن ندما
لا عدت أفعل ما قد كنت أفعله عمرى نفي يدي يا خير من رحما
هذا مقام ظالوم خائف وحل لم يظلم الناس لكن نفسه ظلمها
فاصفح بعفوك عن جاء معتذراً واغفر ذنوب مسيء طال ما اجترما

المجاهد

يا نبي حـ . اسجارك واستمعن برك واسمع اكسر قيدك واركن جواد الهمة
واعمل ركاب الإرادة واحترم العزم وخذ المعجم الحزم وسر على بركة الله في طريق
الخير قاصدا مدينه الكمال ، واعلم ان السبيل لها محبط بأنواع المجاهدات مخوف
بصنوف الموانع والعقبات . والكمال واسع بالانهاية والناس فيه درجات وكل واحد
من السائرين إلى الله واصل إلى رتبته على قدر استعدادده وفطرته وجهاده ومحبته
واخلاسه ومحبته . فمن جاهد نفسه فهو المجاهد ، ومن أعرض عن الزم من المتاع
فهو الزاهد ، والمواظب على أنواع العبادات باحلاص فهو العابد والمنصرف بصره
عن عالم الحس إلى حجاب القدس فهو العارف . ولجذوب من جذبته شوارق الجلال
وايقظته بوارق الحلال . والحكيم من وقف بين ذلك في مركز الكمال
ولم يصرفه عن المطلوب (وهو الله) حال من الاحوال ولم تخرجه عن الصفاء
كوارث الابتلاء ولا سواغ العماء لاستواء المنع عنده والطاء ، فلا يحجبه كون
عن كون ولا يشغله شأن عن شأن لأنه يحول من ربه قد طالب الحق لذاته لا لشيء
سواه وعنده لوجهه لا لأمر غيره . وللفيضين مبادئ يذكرونها صباحا ومساء
نذبتها لك ههنا لملك تذفع بمضمونها أو تحتذى حذوها وهي : الله غايقتنا
والاحلاص مبدؤنا والاصلاح سبيلنا والمحبة شعارنا . نعماد الله على الصدق
والاحلاص واليقين والتوكل واما الغاية واما المنية في النهاية .

ومكنا كل من سلك مثل هذا المسلك كملت نفسه وسعد أكل السعادة وعرف
ربه ونفسه حق المعرفة (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين)
وهما يمان المتعرف إلى الله أحوالا سامية مبرزة عن شوائب الاغراض القانية
(وقبل للذين اتقوا ما أنزل ربكم قالوا خيرا للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار
الآخرة خير ولعم دار المتقين) (نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب
الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم)

الورع

أول درجات الجهاد : وهو من صميم المجاهدة سيما وأن الورع ثاني مقامات اليقين والسلوك إلى حضرة رب العالمين . والخاصة بقول قيمه المرفوعة فيه . وذلك رأس الفتوة حيث أن من أول شرائطها الهمة ثم الورع عن كل محرم أو ما يخل بالمرودة . وإذا أردت أن تعرف مراتب لهم فانظر إلى همة ربيعة بن كعب الأسلمي وقد قال له رسول الله ﷺ (سأل) فقال أسألك مرافقتك في الجنة وكان ذلك لعلهم لأنه يترتب عليه المجاهدات وفعل الطاعات الموصلة للجنة . يسأل ربيعة الرسول ذلك بينما يسأله غيره ما يلا بطنه ويوارى - لده . وانظر إلى همة رسول الله ﷺ حين عرضت عليه مفاتيح كنوز الأرض فأبى . وهو لم لو أخذها لآمنها في طاعة ربه تعالى فأبى له تلك الهمة العلية أن يتعلق منها بشيء مما سوى الله ومحبه .

فاعلم يقينا يا بني أن الحياة الطيبة إنما تنال بالهمة العالية والمحبة الصادقة والارادة الخالصة فعلى قدر ذلك تكون الحياة الطيبة . وأخسر الناس حياة أحسنهم همة ، وأضعفهم محبة يحبون حياة البهائم بل حياة تلك خير ولا شك من حياتهم كما قيل . شعرا .

نهارك يامغرور سهو وغفلة وابل لك نوم والردى لك لازم
وتكدهح فيما سوف تذكره غبه كذلك في الدنيا تيمش البهائم
تسر بما يفنى وتفرح بالمنى كما سر بالذات في اليوم حالم
وقال عبد الله بن المبارك رحمه الله .

رأيت الذنوب تيمت القلوب وقد يورث الذل آدمائها
وترك الذنوب حياة القلوب وحير لنفسك عصيانها
وهل أفسد الدين إلا الملوك وأحبار سوء ورهبانها
فباعوا النفوس ولم يربحوا ولم تعل في البيع أنماهم
لقد رتع القوم في جيفة ترعج ذى اللب ألوانها

واعلم أن الله تعالى كما جعل حياة البدن بالطعام والشراب جعل حياة القلب في دوام الذكر والابابة إلى الله وترك لذنوب والفتنة الجائمة على القلب . والتعلق بالردائل والشهوات الفانية يقينا تطمس البصائر ويقول عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : لو أن الحياة الدنيا من أولها إلى آخرها أوتيا رجل واحد ثم جاء الموت لكان بمنزلة من رأى في منامه ما يسره ثم استيقظ فإذا ليس في يده شيء . وقيل

وما للمرء خير في حياة إذا ما عد من سقط انتفع

ولذا يلزم للسالك همة عالية قبل سلوكه الطريق وورعا يكفه عن المعاصي التي تطمس بصيرته . وقد قيل (ليس اسهل من ورع أن رابك شيء فدعه) فإن السالك إلى ربه لا يزال عاكفا على أمرين ليتم سلوكه : استقراغ القلب بصدق الحب ومجاهدة النفس بامثال الأمر فلا يزال كذلك حتى تبدو على مره شواهد معرفة . وآثار صفات الله وأسمائه على قلبه ولكن يتوازي عنه ذلك أحيانا ويبدو أحيانا ، يبدو من عين الجود ويتوارى إذا حدثت الفتنة ، ولقد تراءت أمر لازم للعبد فكل عامل له شرة (والشره الحدة) ولكل شرة فترة فأعلاها فترة الوحي وهي للانبياء وفترة الحال الخاص للعارفين وفترة الهمة للمريد وفترة العمل للعابدين . وفي هذه الفترات أنواع من الحكمة والرحمة والتعريفات الالهية ، وتعريف قدر النعمة وتحديد الشوق لمايها وأثره التواجد بها وغير ذلك .

والمجاهدة في اللغة المحاربة . وفي الشرع محاربه أعداء الله وفي اصطلاح أهل الطريق محاربه النفس الامارة بالسوء ونحمتها ما شق عابها عما هو مطلوب شرعا . وقال بعضهم : المجاهدة مخالفة النفس . وقال آخر منع النفس عن المؤلفات للهوى وهو الورع . والمجاهدة على قسمين مجاهدة العوام وهي توفيق الأعمال . ومجاهدة الخواص وهي تصفيه الأحوال . فإن مقاساة الجوع والسهل يسير بالنسبة إلى تبديل الاخلاق المذمومة بأخرى محمودة ، والمجاهدة في الله من أعظم أسباب الوصول إلى الله وأولها بعد التوبة الورع . وأما الهمة فلازمه في جميع المقامات .

مخالفات النفس

يقول صاحب الرسالة القشيرية قال تعالى : (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى) وقال صلى الله عليه وسلم : (أخوف ما أحاف على أمتي اتباع الهوى وطول الأمل) . فأما اتباع الهوى فهو أن يصد صاحبه عن الحق . وأما طول الأمل فهو أن ينسى صاحبه الآخرة . ثم اعلم أن مخالفة النفس رأس العبادة . وقال ذو النون (مفتاح العبادة المسكرة وعلامة الصواب في السلوك مخالفة النفس والهوى ونحو لهما ترك شهواتها . وقال ابن عطاء : (النفس مجبولة على سوء الأدب والعبد مأمور بملازمة الأدب فالنفس تجري بطبيعتها في ميدان الخلفة والعبد يرددها بجهد عن سوء المخالفة فمن أطلق غناها فهو شريكها في فسادها وردها يتم بالمجاهدة والورع .

(وفي جامع الأصول) أن مراكز النفس اثنان :

١ - مركز في الشهوة والمخالفات .

٢ - ومركز في العجز عن أداء المفروضات .

وعلاج ذلك أربعة أمور :

١ - طح النفس على الله طرحا لا يصحبه الحول والقوة من العبد .

٢ - التسليم لله تسليما لا يصحبه الاختيار مع الله . وهذان العلاجان باطنيان .

أما في الظاهر ٣ - فنع الحوارح عن المخالفات والقيام بحقوق الواجبات .

٤ - ثم يقعد على بساط الذكر بالانقطاع إلى الله بالقلب عن كل شيء سواه .

(واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا) .

الجلادة

الجلادة معناها تعويد النفس على الصبر من الفضائل والشاق من الطاعات والصبر على الحق لداته ثم الخوشن ولرجولة في الجسد والنفس والعادات لتثبيت العزيمة في الشخص وتدعيم إرادته (وذلك من عزم الأور) . وليس المراد بالخوشن التجريد المحض والكشف البحت أو تحريم زينه الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق كما يحدث من بعض أدعياء التصوف إذ (لا رهبانية في الإسلام) ولا زهد مكتشف في التصوف لأن زهد الصوفي في قلبه وإن ملك الدنيا يداه (وسفين ذلك في باب الزهد أن شاء الله) فالجلادة تتضمن .

تعويد النفس على الجملد وتحمل الصعب من الفضائل والشاق من الطاعات حتى تدفن لذلك . ثم الصبر على الحق لداته بمنزلة تحييز لرأى شخص أو هوى صارف . وهذا أساس الرجولة في المعيشة كالخوشن في العادات والاقتصاد في أسباب الترف التي تلين الأخلاق أو تضعف من قوتها وتزويد الإرادة بسائر أسباب القوة والمداغة فالورع ثم الزهد ثم الفقر ومعناه الافتقار إلى الله وليس الظهور بمظهر من يشكوه ربه إلى عباده وسفين ذلك في موضعه ثم الصبر وهو عصب الجلادة .

التشبيه

وأما التشبيه فالمراد به أن يتشبه الإنسان في سلوكه بأحوال أهل الكمال وأن يسلك همته في سلك أصحاب الهمم العاليه وأهل العزائم وفي أعماله بكبار الرجال من الأحيار والفضلاء وكبار الصالحين (والأولياء والأنبياء) . فإذا ما بلغ ذلك أو قارب أمكنه حينئذ أن يتشبه بصفات الله عز وجل . فإذا تشبه بصفات الله تجلّى الله سبحانه وتعالى بصفاته عليه ، لأن الله تعالى وأن كان متجلياً بصفاته على الوجود عمر ما فهو متجل على الإنسان خصوصاً لأن نفس الإنسان هي المرآة الكاملة التي صقلت خصيصاً لتجلى الحق تجلياً شاملاً لو لم تحجبها الحجب المانع . فإذا استجابت النفس بعد أن تخلت عن الرذائل وتخلت بالفضائل وتمرست بالرياضة وتحملت موجبات الجلادة تهيمت بالفسبة إلى الانطباع وظهرت عليها صفات الحق وهذا ما نغنيه بالانطباع وتعقبه السعادة . فالتشبيه يتضمن : الاتصاف العدلي والسكري بصفات عظام البشرية من الرسل والأنبياء والفديسين والتشبيه في الأحوال والنوايا والأغراض بمستقيمي السلوك من الناس ثم التشبيه بصفات الله عز وجل مثل الحلم ، والكرم والرحمة . الخ . فيصير التشبيه كأنما ربانياً وعبداً صمدانياً (تشبهوا بأخلاق الله) . والتشبيه والسعادة إذا صاحبهما الانطباع والثبات فيه كانا اللصق بالأحوال منهما بالمقامات فهما خاصان بأحوال أهل الكمال من العارفين بالله كما أن الإرادة والجهاد والرياضة والجلادة تحوى سائر مقامات اليقين التي تكلمنا عنها وأولها التوبة وآخرها الرضا .

والانطباع يحتاج إلى شيء قليل من التوضيح . فاعلم أن النفس البشرية خلقت على طراز يجعلها قابلة للاتصاف بجميع صور الخير الأعلى وتفهم سائر صور الوجود وحقائقه العليا لأن مبادئ تلك الصفات الكريمة مغروسة في النفس من النشأة الأولى لأنها كالمرآة لها فإذا تجلت على تلك الصفات الإلهية تقوت بها صفاته القطرية شيئاً فشيئاً واضمحلت صفاته الأرضية التي كانت مجرد وميض

لصفات الله وكانت النفس تدعوه إلى مطاوعة غرائزه كالامارة أو
الموامة وفي حالة التشبه والاطباع تكون قد ثبتت في مرآة نفسه صفات الحق
ثموت تجل ومحت ارادته بارادة الحق وأفعاله بأفعال الحق . فلا يطباع يتضمن :
أولاً : انطباع النفس على الصور العليا للخبرات والقصص .
ثانياً : انطباع القلب على صفات الحق سبحانه وتعالى (كنت سمعته وبصره
ويده وإسائه) .

مقام الورع

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الاثم ما حاك في الصدر والورع عند
الوقوف عما حاك في صدر الانسان) - وحك بمعنى تحرك - . وحكى عن الحارث
المحسى أنه كان لا يمد يده إلى طعام فيه شبهة وسئل سهل بن عبد الله عن الحلال الصافي فقال
الحلال مطلقاً هو الذي لا يعصى الله فيه من الرزق والرزق الحلال الصافي الذي لا ينسى
الله فيه . فالورع عن كل ما ينسى الله هو الورع الحقيقي . ومعناه أن يراقب
العبد ربه فيما يأخذ وفيما يعطي . وقد سئل عنه الشبلي رحمه الله فقيل له . يا أبا بكر
ما الورع ؟ فقال : أن تتورع عن أن يتشتت قلبك عن الله عز وجل طرفة عين
بأى شيء .

فالأول ورع العموم والثاني ورع الخصوص . قال الله تعالى : (يا أيها الرسل
كلوا من الطيبات وأعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم) . وقال : (وثيابك فطهر)
وقال قتادة ومجاهد . نفسك فطهر من الذنب . فكفى عن النفس بالثوب ، وهذا
قول إبراهيم والضحاك والشامي والزهرى والمحققين من أهل التفسير . وقال ابن
عباس : لا تلبسها على معصية ولا غدر . ثم قال : أما سمعت قول غيلان بن سلمى الثقفي .
وإني بحمد الله لا ثوب غادر لبست ولا من غدره اتقنع

والعرب تقول في وصف الرجل بالصدق والوفاء : طاهر الثياب . وتقول
للاغادر والفاجر : دنس الثياب . والمقصود أن الورع يظهر دنس القلب ونجاسته

وقد جمع الرسول صلى الله عليه وسلم الورع كله في كلمة واحدة فقال: (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه) وقال سلمان الثوري ما رأيت أسهل من الورع، ما حاك في فبك فبركه وقال الحسن البصري: ذرة من زرع خير من ألف مثقال من الصوم والصلاة. وقال أبو هريرة: جلساء الله غدا يوم القيامة أهل الورع والرهدة. وقال أبو سفيان الدراوي: الورع أول رهدة كان العناءة طرف من الرضا. وقال النبي ﷺ (أوابصة) استفتت بك وأن أفتك والمؤمن).

مقام الزهد

الزهد مقام شريف وهو أساس وهو أول قدم للقاصدين إلى الله تعالى. والزهد في فضول الحلال الموجود. وأما الحرام والشبهة فتركه واجب. والزهد على ثلاث طبقات فمنهم المبتدئون وهم الذين خلت أيديهم من الآمال وخلت قلوبهم بما خلت منه أيديهم. وسئل الجنيد رضي الله عنه عن هذا الزهد فقال: تحلى الأيدي عن الآمال وتحلى القلوب عن الطمع. وسئل عنه السري السقطي رضي الله عنه فقال: أن يخلو قلب الزاهد بما خلت منه يده. والزهد فرق، مهم المتحققون في الزهد ووصفهم ما أجاب به رويم بن أحمد رحمه الله حين سئل عن الزهد فقال ترك حظوظ النفس من جميع ما في الدنيا. وأما الفرقة الثانية منهم الذين إذا قدمت إليهم الدنيا بخدا فبرها ما ابتغوا منها شيئا.

وقد سمي الله تعالى الزاهدين علماء في قصة قارون فقال تعالى (وقال الذين أوتوا العلم وبآكم ثواب الله خير).

وعند الغزالي في إحيائه أن الزهد مقام من مقامات السالكين. وهو عبارة عن انصراف الرغبة عن شيء إلى ما هو خير منه. ويستدعى حال الزهد مرغوبا عنه ومرغوبا فيه هو خير من المرغوب عنه وشرط المرغوب عنه أن يكون هو أيضا مرغوبا فيه بوجه من الوجوه فمن رغب عما ليس مطلوبا في نفسه لا يسمى زاهدا. وشرط المرغوب فيه أن يكون عنده خير من المرغوب فمن رغب في

الآخرة زهد في الدنيا ومن رغب في الله زهد في حظوظه من الدنيا والآخرة
اعتناء بالله تعالى وعنايته منه سبحانه .

هل يتنافى الزهد وضرورات الحياة ؟

اعلم أن معنى الانصراف عن الدنيا إلى الله تعالى هو الإقبال بكل اقله عليه
ذكر أو فكريا ولا يتصور ذلك إلا مع إيثار الله على الدنيا ، ولا يتصور ترك ضرورات
الجسد من الرزق إلخ ، وهذا ما لا يزهد فيه ، وإن كان الأخذ بأسباب الدنيا للاستعانة
على طاعة الله بأك زاهدا لأن ما لا يتوصل إلى النعم إلا به فهو منه . وإن كان
معيك في الدنيا على نفسك وعلى عيالك وعلى مصلحتك الفقراء فهو طاعة لله وتكون
أنت زاهدا . فالمتأمل بعطف الباقية وبسقمها في الطارق إلى الحج ليس بخارج عن
شروط الحج وكذلك جسدك وهو دامتك ألا يساوى في نظرك من يدف نفته
في طريق الحج ؟ الأمر الذي لا يخرجك عن مقصده وهو الحج .

فكذلك ينبغي أن تكون في صيانة نفسك عن الجوع والعطش والعري ، أدمت لا
تقصد الدنيا نفسها ، كما أن من ليس عنده من الدنيا شيء لا يسمى زاهدا وإلا
ففيما ذا يكون زاهدا ياترى ؟ أي الحرام الذي تركه واجب أم زاهدا فيما أله الله
وفيما لا وزر عليه في الأخذ به ؟ إنما الزهد يكون في الفضول الملبدة عن الله وفوق
هذا وذلك فإن زهد الصوفي في قلبه والراهد متخفف إلى ربه والصوفي لا يسع
قلبه غير الله . وكان يوجد إخوان في الله رجل غني جدا والآخر فقير جدا وكل منهما في
بلد غير البلد التي فيها صاحبه ، فأراد الصوفي الفقير أن يكلف أحد التجار الذهابين
إلى بلد أخيه الغني وقال له إذا وصلت بسلامة الله فاسأل عن فلان فهو رجل
مشهور وسوف لا تتعب في الوصول إليه فإذا دخلت إليه فاسأله لي الدعاء
والنصيحة . ولما وصل التاجر وسأل عن الرجل دلوه عليه ولما واجهه قال له
فلانا يسألك الدعاء والنصيحة فقال له بعد أن أكرمه قل لأخي فلان أما النصيحة
فهى أن تزهد في الدنيا وأما الدعاء فهو يسأل الله أن يكفيك شر نفسك فدهش
التاجر لأن الناصح هو الغني والمنصوح هو الفقير وما إن عاد إلى بلده إلى فيها الأخ
الفقير حتى قال له متهمكا إن أخاك الغني يرى يقول لك ازهد في الدنيا وأنت

(١٦)

فقير هكذا لا تملك شيئا ويقول لك إنه سيسأل الله أن يكفيك شر نفسك وقد
نسئ هو نفسه ، فقال الفقير يا أخى إنك لم تعدل في القضية وهو صادق فيما يقول
لأنه أقرب منى إلى الله وإن كانت الدنيا في يده فهي يميننا ليست في قلبه وأما أنا
فليست الدنيا في يدي وهذا صحيح ولكن حبها كامن في قلبي فمن منا عندك الذي
يجب عليه أن يزهد في الدنيا أنا أم هو ؟ فقال التاجر حقيقة أنت الذي يجب أن
تزهد في الدنيا فقال له أما أن يكفيني الله شر نفسي فأعلم أن النفس هي الحجاب
الوحيد بين العبد وربّه فقال التاجر آمنت بالله وبأن لله في عباده أسراراً وشؤوناً.
علامات الزهد . وعلامات الزهد ثلاث :

الأولى أن لا يفرح بموجود ولا يحزن على مفقود كما قال تعالى (لكيلا تأسوا
على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم) .

الثانية أن يستترى عنده الغم والمدح ، فالأول علامة الزهد في المال والثاني
علامة الزهد في الجاه .

الثالثة أن يكون انسه بالله تعالى والغالب على قلبه حلاوة الطاعة إذ لا يخلو
القلب من حلاوة المحبة إما محبة الدنيا وإما محبة الله وهما في القلب كالماء والهواء
في القدح فالماء إذا دخل خرج الهواء ولا يجتمعان وكل من انس بالله اشتغل به
ولم يشتغل بغيره .

فعلمة الزهد إذ ذل استواء الفقر والغنى والعز والمنع والعطاء وذلك
لقلبة الأنس بالله ويقول الله تعالى (بقية الله خير لكم إن كنتم تعلمون) وسئل
صوفي أزهده أنت ؟ قال نعم قالوا فيم قال في الزهد وفي عدم الزهد ، قيل له وكيف ؟
فقال اشتغالا بالله عن كل ما سواه .

وأما مقام الاقتتار إلى الله في كل حال المنعوت عندهم بالفقر فقد أضفناه إلى
مقام الزهد وهو زهد الصوفية من شهود اقتتارهم إلى الله وليس إلى شيء سواه
من الدنيا أو الآخرة . وهذا المقام قد عده غيرنا نتيجة لمقام الزهد الحقيقي .

والفقر هنا ليس معناه مجرد الفقر والحاجة وإنما معناه الاقتتار إلى الله وإن
كنت في مجبوحه من العيش وإن كنت متمتعاً بكافة الطيبات على شريطة الاقتصاد
والعزوف عن الفضول الزائدة الذي يشغل عن الله ، حينئذ يستوى عندك أن تملك

الدنيا جميعا أو أن تتركها جميعا ويتضح من هنا أن المراد من هذا تحقيق العبودية بالافتقار إلى الله في كل حال ولو كانت حالة الغنى والثراء وهذا المعنى أحل من أن يسمى فقرا بل هو حقيقة العبودية وإلها وأن سمي فقرا اصطلاحا وهذا لا نفايه الجدة ولا الإملاك فقد كان رسول الله وسائر الأنبياء في ذروته مع تمكهم من الملوك العظام كما حدث لإبراهيم الخليل عليه السلام ولأيوب ويوسف وكما حدث لداود وسليمان عليهما السلام وكذلك كان نبينا ﷺ فقد كان كما قال تعالى : (ووجدك عائلا فأغنى) وعرض عليه الأخشاب وهما جبلان أن يكون أحدهما ذهباً والثاني فضة ولكنه أبى فقال لا يارب أشبع يوما فأشرك وأجوع يوما فأسألك ويقول البوصيرى رضى الله عنه في هذا المعنى شعرا يعنى به النبي صلى الله عليه وسلم .

ورأوته الجبال الشم من ذهب عن نفسه فأراها أيما شمم

وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة من لولاه لم تخرج الدنيا من العدم

فكان الأنبياء والأولياء أغنياء في فقرهم وفقراء في غناهم . فالفقراء المقصود ليس العدم وإنما هو دوام الافتقار إلى الله تعالى . وقبل أن أركانه أربعة : علم يسوسه وورع يحجزه ويقين يحمله وذكر يؤنس . وقال الشبلي حقيقة المقر أن لا يستغنى بشئ عن الله . وقال محمد بن عبد الله القرغاني رحمه الله . إذا صح الافتقار إلى الله تعالى فقد صح الاستغناء بالله وإذا صح الاستغناء بالله كمل الغنى به . أما النبي صلى الله عليه وسلم نبي الشريعة الإسلامية فقد قال (إن لنفسك عليك حقا ولربك عليك حقا ولزوجك عليك حقا ولضيفك عليك حقا فاعط لكل ذى حق حقه) ويشرح للناس الحديث القائل (أعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا وأعمل لآخرتك كأنك تموت غدا) بالعمل للدنيا كأنهم مخلدون فيها وهذا يتعارض مع قول الله (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا) فجعل الآخرة هي الغرض الأول وجعل الدنيا هي الغرض الثاني وبناء على هذا يفسر الحديث بأن تعمل للدنيا كأنك تعيش أبدا أى ما فاتك اليوم منها قد لا يفوتك غدا وأما الآخرة فاعمل لها كأنك تموت غدا لأن العمل للأخرة موقوف بأزمانه وأما كنهه فما فاتك فيه اليوم لا تهركه غدا ويكون من باب الافتقار إلى الله إشار الآخرة على الدنيا وإن ملكتها

مقام الصبر

والصبر مقام جليل ، وقد مدح الله تعالى الصابرين ، وذكرهم في كتابه فقال :
 (إنما يؤتى الصابرون أجرهم بغير حساب) ، وسئل الجنيد عن الصبر فقال :
 حمل المؤمن لله تعالى حتى تنجلي الكرب . وقال الخواص : قد هرب أكثر الخلق
 من حمل أنقال الصبر ، واعتمدوا على الأسباب كأنها لهم أبواب . وجاء رجل إلى
 الشبلي رضى الله عنه فقال : أى صبر أشد على الصابرين ؟ .. فقال الشبلي : هو
 الصبر فى الله . فقال : لا .. قال أهو الصبر لله . فقال الرجل : لا .. فقال أهو
 الصبر مع الله ؟ قال الرجل : لا .. فغضب الشبلي وقال : ويحك .. أى صبر هو ؟
 فقال الرجل : الصبر عن الله ، فصاح الشبلي : ويحك كيف غاب عنى هذا ! . والصبر فى
 اللغة الحبس والكف . ومنه : قتل فلان صبرا أى إذا أمسك وحبس . ومنه قوله
 تعالى : (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالعداء والعشى يريدون وجهه)
 أى احبس نفسك على صحبتهم . وهو ثلاثة أنواع : صبر على طاعة الله ، وصبر
 عن معصية الله ، وصبر على امتحان الله (فلاولان) صبر على ما يتعلق بالكسب
 والثبات صبر على ما لا كسب للعبد فيه . وقيل فى قوله تعالى : (اصبروا وصابروا
 ورابطوا) قيل . اصبروا فى الله وصابروا بالله ورابطوا مع الله . فالصبر مع
 نفسك والمصاهرة بينك وبين عدوك والمراعاة الثبات وإعداد القوة والعدة . وقيل
 تجرع الصبر فإن قتلك فتك شهيداً ، وإن أحيأك أحيأك عزيزاً . والصبر فى كل
 طلب عنوان الضفر ، وهو فى الحن عنوان الفرج .

ولذا عرتك بالية فاصبر لها صبر الكريم فإنه بك أعلم
 ولذا شكوت إلى بن آدم إنما تشكو الرحيم إلى الذى لا يرحم
 وقال السهروردي : وأضعف الصبر الصبر لله وهو صبر العالة وفوقه الصبر بالله ،
 وهو صبر المرادين وفوقه الصبر مع الله ، وهو صبر العارفين ، وقد ذكر تعالى

الصبر كثيراً في كتابه فقال : (وجعلنا منكم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا) وقال
(وانجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) وقال تعالى وعدا
لالصابرين بأنه معهم (واصبروا إن الله مع الصابرين) .

وقال أبو الدرداء : ذروة الإيمان الصبر للحكم والرضا بالقدر .

وقال ذو النون : الصبر : السباغ عن المخفات .

وأشد الحواص :

صبرت على بعض الأذى خوف كذا ورفعت عن نفسي لنفسي فمرت
وجرعتها المكروه حتى تدرت ولو لم أجرعها إذا لاشمأت
ألا رب ذل ساق للنفس عزة ويارب نفس بالتدال عرت
إذا ما مددت الكف أنفس الغنى إلى غير من قال أسألوني فشلت
سأصبر جهدي إن في الصبر عزة وارضى بدنياسي وإن هي فلت

مقام الشكر

ومعنى الشكر في اللغة هو الكشف والظهار يقال شكر إذا كشف عن ثمره
وأظهره . فذكر النعم وتعدادها باللسان من الشكر . وباطن الشكر أن تستعين بالنعم
على الطاعة ولا تستعين بها على المعصية . فذاك شكر النعمة وأنشدوا لبعضهم .

أوليتي نعماً أبوه بشكرها وكفيتني كل الأمور بأمرها
فلا تشكرنك ما حيت وإن أمت فلا تشكرنك أعظمي في قبرها

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أول من يدعى يوم القيامة إلى الجنة
الذين يحمدون الله في السراء والضراء) وقال (من ابتلى فصبر وأعطى فشكر
وظلم فغفر وظلم فاستغفر) قيل فما باله ؟ قال (أولئك لهم الأمن وهم مهتدون)
وقال الجنيد : فرض الشكر الاعتراف بالنعم بالقلب واللسان . ويقول صاحب
كتاب قوت القلوب : أن الله تعالى قال في محكم كتابه الكريم (ما يفعل الله

بعدا بكم أن شكرتم وآمنتم) فقرن الشكر بالايمن ورفع بوجودها العذاب . وقال تعالى : (ومنجزي الشاكرين) وقد أمر الله تعالى بالشكر وقرنه بالذكر في قوله تعالى : (فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون) وقد تظم الذكر بقوله : (والذكر الله أكبر) فصار الشكر كذلك عظاما لا يقرانه بالذكر . ورضا الله تعالى على الشاكر مجازاة لعباده على شكره لأن قوله تعالى : (فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون) وفاء بوفاء لتحقيق الامر . ووعد الله تعالى بالمزيد على الشكر دون استثناء . وقد جعل الله الشكر مفتاح كلام أهل الجنة وختم تمنهم في قوله تعالى : (الحمد لله صدقنا وعده) وقال تعالى : (وآخر دعوانهم أن الحمد لله رب العالمين) فأول الشكر معرفة النعم وأنها من المولى القادر الذي لا شريك له قال تعالى : (وما بكم من نعمة فمن الله) (ثم إذا منكم الضر فإليه تجأرون) وقال في جملة النعم بعد اضافتها إليه تعالى : (وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا) وقال (واسبح عليكم نعمه ظاهرة وباطنة) .

وفي الخبر أن النبي ﷺ قال لرجل (كيف أصبحت ؟) فقال بخير فأعاد صلى الله عليه وسلم السؤال ثانية (كيف أنت ؟) فقال بخير فأعاد عليه الثالثة (كيف أنت ؟) قال بخير أحمد الله واشكره . فقال (هذا الذي أردت منك) أما ظاهر النعم فهي عوائق الاجساد ووجود الكفايات من الاموال كما أن ظاهر الاثم أعمال الجوارح من معاني حظوظ النفس . وباطن النعم معافة القلوب وسلامة العقود كما أن باطن الاثم من المقاصد السيئة كسوء الظن والشك وغيره .

ثم ينظر إلى من هو فوقه . قال ﷺ (من نظر في الدنيا إلى من هو دونه ونظر في الدين إلى من هو فوقه كتب الله صابرا شاكرا . ومن نظر في الدنيا إلى من هو فوقه ونظر في الدين إلى من هو دونه لم يكتبه الله صابرا ولا شاكرا) . وللشاكرين طريقتان . أولها . شكر الراجين - وهم من دفعتم النعم إلى الزيادة في الطاعة ، وأعلاها شكر الخائفين . وهم من كان خوفهم دليلا على اغتباطهم بموهبة الايمان وكان اغتباطهم يدل على عظيم قدر الاسلام في المومنين فعمظت النعمة به عليهم فمعرفة من هو بذلك هو شكر منهم . فاذا جهل العبد نعمة لم يقدرها . واذا لم

يقدرها لم يشكر عليها وإذا لم يشكر عليها انقطع مزيده من الله ومن انقطع عنه المزيد فهو في نقصان .

وقد قال تعالى (أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) قيل لا يغير نعمة عليهم حتى يغيروها بتضييعهم للشكر . .

وأقسام الشكر : شكر باللسان : وهو اعتراقه بالنعمة بلسانه . وشكر باليدين والالكان وهو اتصاف بالوفاق على الخدمة والعبادة . وشكر بالقلب وهو اعتكاف على بساط شهود المعهم وهذا مستوجب لإدامة حفظ النعمة ويقول الشبلي : الشكر رقية المنعم لارؤية النعمة .

واعلم أن الحمد يوضح معنى الشكر ، غير أن الحمد أعم من الشكر لأن الشكر هو الشاء على المنعم بما أعطاك من النعمة ، والحمد هو الشاء على الذات الالهيه لصفاتها الحميدة كائنة ما كانت .

ودرجات الشكر : أقفاها ترك الشكوى مع الصبر وفوقها الرضا وهو مقام وراء الشكر .

ومعرفة العبد بتقصيره عن الشكر شكر ، والاعتذار لله عن قلة الشكر شكر ، والمعرفة بعظيم حلم الله وكف ستره شكر ، والالم بأن الشكر أيضاً نعمة من نعم الله وموهبة منه شكر وحسن التواضع للنعم شكر وشكر أهل الخير على خيرهم شكر ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من لم يشكر الناس لم يشكر الله) وحسن الأدب بين يدي المنعم شكر . وتاقى المنعم بحسن القبول وامتنعظام صغيرها شكر . وعندى أن الصبر والشكر مقامات متداخلان . فإن الصبر لله على إقداره ضرب من الشكر ، وأنت العبد إذا لم بصبر لم يشكر . والشكر لا يقوم كيانته الحقيقى إلا بالصبر على مصاحبة نعم الله وأداء حقها كاستعمالها فى مواضعها مثلاً وعدم الطغيان لوجودها . والصبر والشكر أيضاً متلازمان لا يستغنى أحدهما عن الآخر كحالى الخوف والرجاء فانهما متلازمان ، ويوضح ذلك قول النبى صلعم (الايمان نصفان نصف شكر ونصف صبر) وقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه (لو كان الصبر والشكر بعيرين ما باليت أيهما ركبت) .

مقام التوكل

التوكل مقام كريم . وقد أمر الله تعالى التوكل وخمله مقرونا بالايمان لقوله تعالى (وعلى الله فوكلوا ان كنتم مؤمنين) وقال (وعلى الله فليتوكل المتوكلون) وقال في موضع آخر (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) فخص توكل المتوكلين من توكل المؤمنين ثم ذكر توكل خصوص الخصوص فقال تعالى (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) ولم يرد المتوكلين إلى شيء سواه كما قال لسيد المرسلين وادم المتوكلين (وتوكل على الحي الذي لا يموت) (وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم) وشرط التوكل على ما قال أبو تراب حين سئل عن التوكل فقال : التوكل طرح البدن في العبودية وتعلق القلب بالربوبية والطمأنينة إلى عطاء الحكاية فن اعطى شكر وان منع صبر موافقة للقدر .

وسئل ذو النون رضى الله عنه عن التوكل فقال التوكل ترك الاعتماد على تدبير النفس والبرى من الحول والقوة .

وسئل رويم بن أحمد عن التوكل فقال الثقة بالوعد لقوله تعالى (وفي السماء رزقكم وما توعدون) وسئل سهل بن عبد الله عن التوكل فقال : الاسترسال مع الله تعالى فيما يريد .

وقال محمد بن سهل : العلم كله باب من التبعيد والتعبد كله باب من الودع والودع كله باب من باب الزهد والزهد كله باب من التوكل ومعنى التوكل هو المعرفة بالوكيل وأنه عزيز حكيم حيث قال (ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم) .

فالتوكل هو من أقام معطييه وواهبه وكيلا عنه في شئونه فكان بينهما توافق في الوكالة لأن العطاء والمنع منه وأما المفوض فقد فرض الأمر لصاحب الأمر والسالك يكشف بالتفويض إذا لمع ذروة التوكل تمهيدا للرضا فيطلع على إف سيده به وملاطفته له والتوكل والتفويض والتسليم كلها منتبهة حتما بالسالك إلى مقام الرضا وليس وراء مقام الرضا عن الله من مقام أسلا وأسمى .

مقام الرضا

والرضا من أشرف المقامات وهو خاتمتها ومقدمة أحوال الرجال ، وقد ذكره الله تعالى في كتابه فقال : (رضى الله عنهم ورضوا عنه) وقال : (ورضوان من الله أكبر) فذكر أن رضا الله عز وجل عن عباده أكبر وأقدم من رضاهم عنه ، والرضا باب الله الأعظم وجنة الدنيا ، ومعياره أن يكون قلب العبد ساكنا تحت أحكام الله عز وجل . وسئل الجنيد رضى الله عنه عن الرضا فقال : الرضا رفع الاختيار . وسئل القناد رحمه الله عن الرضا فقال سيكون القلب عند مرور القضاء وسئل ذو النون رضى الله عنه عن الرضا فقال سرور القلب بحدوى القضاء (ما يحويه) . وقال ابن عطاء الرضا نظر القلب إلى قديم اختيار الله تعالى للعبد لأنه حينئذ يعلم أن الله اختار له الأفضل فيرضى به ويترك السخط . وقيل ليحيى بن معاذ متى يبلغ العبد إلى مقام الرضا ؟ فقال إذا أمام نفسه على أربعة أصول فيما يعامل به ربه فيقول إن أعطيتني قبلت وإن منعتني رديت وإن تركتني عبدت وإن دعوتني أجبت . وكتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري رضى الله عنهما : أما بعد فإن الخير كله في الرضاء فإن استطعت أن ترضى وإلا فاصبر . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ذاق طعم الإيمان من رضى بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً) والرضا ثلاثة أقسام . رضا للعوام بما قسم الله وأعطى ، ورضا الخواص بما قدره وقضاه ، ورضا خواص الخواص به بديلاً عن كل ما سواه . وعن سعد بن أبي وقاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من سعادة ابن آدم استغفاره الله عز وجل على الذنوب ومن سعادة ابن آدم رضاؤه بما قضى الله ومن شقوة ابن آدم سخطه بما قضى الله .

العبد ذو ضجر والرب ذو قدر والدمر ذو دول الرزق مقسوم والخير أجمع فيما اختار خالقنا وفي اختيار سواء اللوم والشوم ويقول الله تعالى (ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر)

فقد رفع الله الرضا فوق جنات عدن كما رفع الذكر فوق الصلاة حيث قال :
(إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر) فمما أن مشاهدة
المذكور في الصلاة أكبر من الصلاة فرضوان رب الجنة أعلى من الجنة بل هو غاية
مطلب سكان الجنان .

قال علقمة : قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم وأنا سابع سبعة من قومي
فكلمناه فأعجبه كلامنا فقال (ما أنتم ؟) قلنا مؤمنون . قال (فما حقيقة
إيمانكم ؟) قلنا : لشكر عند الرخاء والصبر عند البلاء والصدق في مواقع اللقاء والرضا
بمر القضاء وترك الشماتة بالاعداء . فقال صلى الله عليه وسلم (فقهاؤ أدباء كادوا
يكونون من فقهم أنبياء فما أشرفها من خصال) وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال
(إذا أحب الله عبدا ابتلاه فإن صبر اجتبه وإن رضى اصطفاه) وقال
(من عرف سر الفخر هانت عليه المصائب) فيجب على العبد أن يتحمل دائما
إلى الله تعالى في أن يديم على قلبه الرضا به وبقضائه فإن ذلك من كمال الإيمان .

وقال الثوري يوما عند رابعة : اللهم ارض عنا فقالت أما تستحي أن تسأل
الرضا وأنت عنه غير راض ؟ فقال : سألته الرضا ليرضى عني . وسئلت رابعة متى
يكون العبد راضيا ؟ فقالت إذا أرضته المصيبة كما ترضيه النعمة لورودهما من الله
جميعا . وقال الهادي : ليس الرضا أن لا تحس بالبلاء وإنما الرضا أن لا تتعرض
على حكم والقضاء . وقال النضر باذى : من أراد أن يبالغ محل الرضا فليلزم ما كان
رضا الله فيه . وقيل الرضا هو ارتفاع الجزع عند حكم وقوع . وقال صلى الله عليه
وسلم (من رضى من الله باليسير من الرزق رضى الله عنه بالقليل من العمل)
وقال صلى الله عليه وسلم في وصيته لابن عباس (اعمل لله باليقين والرضا فإن
لم يكن فإن في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا) . وقال فضيل : إذا استوى العطاء
والمنع عند العبد فذلك هو الرضا .

واعلم أن الرضا أعلا مقامات اليقين وأول أحوال المحبين ومشاهدات
الموقنين وهو ينصب على كل أفعال الله سبحانه من حيث أنها عن قضائه وقدره .
واعلم أن قضاء الله تعالى على العباد قائم لا محالة سواء رضى العبد أو لم يرض .

لا يخلص العبد منه بالحيل ولا ينجو منه بالحذر وكما قيل : إنما الحيلة في ترك الحيل . وإن تم العبادة والعبودية إلا بالرضا ، فإن العبادة فعل ما يرضى الرب والعبودية الرضا بما يفعل الرب . والنتيجة إنه في ثلاثة أشياء .

١ - قبول ما يجرى من الأحكام الإلهية .

٢ - والتسليم لأمره .

٣ - وترك الاختيار في قضائه .

وقال الجيلاني صاحب الإنسان الكامل . إن شرط الرضا أن يكون بعد القضاء ، وأما قبله فإنه هزم على الرضا . وقد نص على هذا غير واحد من أئمة الطريق .

وحسبك أن الرضا يدل بنفسه على معناه وأن صاحبه مستوجب لرضا مولاه فنقول أن الرضا لمن اتخذه مقاماً لسيره إلى الله بعد أن درب عليه بالتوكل والتسليم والتمويض هدى ونور آهديه إلى أن الحول والقوة والأقوال والأعمال والمطالب والأسباب جميعاً بيد محول الأحوال والقلوب معاً فلا يعتمد على غير ذلك المحول الذي خلق الأشياء بأسبابها وورط الظواهر بعللها حتى انتهى أمرها جميعاً إليه كما بدأت في بادئ ذي بدء منه فلما ذاق ذلك عرف ولما عرف بالرضا اتصف بيوارق أوصاف الحق عز وجل . وما أحسن ما قال في هذا المقام سيدي علي الوفاي الشاذلي :

سكن الفؤاد فعش هنيئاً يا جسد هذا النعيم هو المقيم إلى الأبد
أصبحت في كف الحبيب ومن يكن جار الحبيب فعيشه العيش الرغد
عش في أمان الله تحت لوائه لا خوف في هذا الجنب ولا نكد

السمع

السمع حرام وحلال وشبهة . فمن سمعه بنفس مشحونة هوى وشهوة فهو حرام ومن سمعه عن عقيدة بصفة مباحة من جاريه أرزوجة كان شبهة لدخول اللهو فيه وفعل هذا ببعض السلف من التابعين ومن سمعه بقلب مع مشاهدة معان إلهية ترفع الروح وتبعث على التسامي والرفعة وترشده إلى مسالك الحق فهذا مباح ولا يصح إلا لأهل الله ، ومن كان له نصيب منه ووجد في قلبه مكانا له وعموما فإن السماع يحل أو يحرم أو يكره بحسب نية السامع وغرضه رفعة وانحطاطا ، والآن قد دخل فيه غير أهله فأحاله عن وجهته السامية وعدلوا به عن قصده الشريف . والعناء مادي إلى الهوى وشوق إلى اللهو فمن سمعه من حيث هذه المعاني وذلك الفصد فالسمع عليه حرام . وسماع أهل الله في قصائد مما ذكر بالله ودل عليه وشوق إليه وأعاج واجيد الإذن وأنار مشاهدات العلوم وذكر بطريق الآخرة ومقامات الصادقين مطلوب . فمن سمعه من حيث يشهد هذه المعاني فهو من أهله إذ له نصيب منه . وكل ذكر الله به فهو ذكر له

أهل الفتوة وأهل الملازمة

وأهل الفتوة هم أهل الملازمة فريقان من أهل طريق الله . فأهل الفتوة دأبهم الايثار على النفس مع انكار الذات في هذا الايثار . وأهل الملازمة يفعلون الطاعات ولا يروا أنفسهم من المطيعين وإنما دأبهم لوم النفس وتعنيفها ، وشعارهم في ذلك القول المأثور (حسنات الأبرار سيئات المقربين) .

وأول شرائط الفتوة الحب والايثار على النفس لله وللناس ، ثم للنجدة والمروءة وبذل المكالم وحمل المقارم والثبات والصبر لدى المكاره والرضى بالموجود وعدم انتظار المفقود ثم كلمة الحق في المقام الوعر مع الثبات والاحتمال ورعاية

الاتزان وضبط النفس ومصاحبة الحلم، ثم اكتساب العلم واستيعاب الرحمة ووعى الحكمة وطلب الحقيقة حيث كانت. ثم توسط سلوك الطائفة وترك الجدل إلا بالحسنى. وجعلوا (الشد) استشعارا بالربط وهو اصطلاح لهم جعلوه دلالة الدخول في الفتوة ويحتفلون بالشد وشراب الماء والملح لأن في الماء حياة كل شيء حتى والملح مصالح لكل كائن نام الحق. والشد هو الربط على القلوب ومعناه الحزم والعزم والميثاق والعهد. ومن معاني الفتوة فسها النفى وهو المنهض على الأخوان بالكرم والمروءة والتجدة والشهامة مع استبعاد الواضع وإبقاء المكارم دون عوض والدفاع عن الضعيف لدى القوم حتى يستقيم الحق معه. وإكرام اليتيم والغارم وابن السبيل. ويقول الله تعالى واصفا لقنيان أمل الكهف (انهم فيه آمنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض ان ندعوا من دونك لآلهة لقد قلنا لا إله إلا أنت فاعوذ بك من الهم والحزن) ومن شرط الفتى مع ربه ألا يفقده حيث أمره ولا يراه حيث نهاه ولا يصير على معصية وإن حدثت ولا يفر من طاعة وإن أفلتت.

وهو مع الخلق في المعاملة أن يكون فيهم بلا نفس وأن يكون مع الله بلا خلق. ومعنى الأولى ألا يعاملهم معه نفسه وإنما بروحه وقلبه ومعنى الثانية ألا يرى وجودا للخلق في حضرة الحق مع احترام الأسباب تعظيما للسبب ورعاية للآداب بغية للتجيب. أما آدابه مع نفسه فاحترامها في المواقف والتسامي بها عن السفاف واستشعار العزة مع بذل الخدمة والعودة إلى الحق عند الشغف من النفس أو العقل مستفيدا من العبرة واجترار الفكرة. ومع الدنيا استعمالها ومع الآخرة طلب العفو فيها ومع الحسنى نشدان أعلاها (ونفس وما سواها) فالهملها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاهما وقد خاب من دساها) (يا أيها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي).

ومن نوادر أهل الفتوة أن أحدهم كان له صاحب يقصده في حاجته فيقضيها له لينثر ألى نفسه فقصده مرة وكان قد كف بصره وكان الذي قصده لا يعلم ذلك ولما وصل إليه وجده كفيف البصر ولم يبق له من الدنيا سوى خادم يقوده وكان

الحادام ملك يمينه فلما سلم عليه استحميا أن يسأله شيئا فقال له تعودت أن تقصدني في مسيس الحاجة ، فما حاجتك الآن قال لا شيء لاني علمت من حالك ما كنت أجهله قال وإن يكن هذا فأليك هذا العبد به ، فأنى أخذه فقال إن لم تأخذه فهو حر لاني لا استرد ما سمحت به نفسي . وهو إبنار أهل الفتوة . والثانية أن أحد أهل الملاحة من الأرياء دخل بلدا فأخذ الناس في تعظيمه فسأل الله أن يصرفهم عنه وكان ذلك في رمضان وهو صائم فآلهم أن يجيئه بلعة فناولها فنصرف للناس عنه قائلين أن الشيخ قاطر فشكر الله على أن أحلوا ما بينه وبين ربه . وهو وإن كان أفطر ورأى القاريء أن الكسارة لمزقه قلنا أن مثل هذا يقضى ثلثي عامه صائم تطوعا فإذا احتسب صوم بعض أيامه كمارة لفطر يوم فلا مانع عنده . وأهل الفتوة وأهل الملاحة جميعا من طلاب مقام الرضا ، ومقام الرضا آخر المقامات وأشرفها كما قدمنا ، وبه يتم كتاب الطريقة .

كيفية أخذ المريد

يجلس المريد بين يدي الشيخ على طهارة واضعا يده في يده ويعد الاستغفار يتلو الشيخ قوله تعالى : (إن الذين يبايعوك إنما يبايعون الله) إلى آخر الآية ثم يأمره الشيخ بتقوى الله في السر والعلانية والرضى عن الله في السراء والضراء ولوفاء بالعهد والميثاق وطاعة الله في السر والعلن وترك معاصيه في العسر واليسر مع الصدق والصبر في الرضى والغضب وأن يدعو غيره إلى طريق الله مصرحا بأن هذا ميثاق يسأل عنه المريد بين يدي الله ويجب الوفاء بهذا الميثاق حتى الموت .

كيفية الذكر

للنفس الامارة : الاستغفار . وللواهمة : لا إله إلا الله . والملاهمة : الله والراضية : هو . وللرضية : حى . وللكمال : قيوم ثم ، ودود ، ثم حكيم . ووراء ذلك كله يوجد (اسم السر) وهذا لا يعطيه إلا الشيخ وهو سر عنده يدخره لمن يرى فيه شأنا لله يقتضى أن يكون مرشدا أو عارفا متصلا والله اعلم .

تم كتاب الطريقة ويليها كتاب الحقيقة

فهرس الكتاب الثالث

وهو كتاب الطريقة

صفحة	صفحة
٢٠٢ في تخصيص الهداية	١٦٩ كتاب الطريقة
٢٠٣ عقيدة الصوفية	١٧٠ مقدمة الكتاب للطريقة
٢٠٦ معنى الطريق ومعنى التصوف	١٧١ منشأ التصوف
٢٠٨ أصول الطريق	١٧٣ رأى الغوم في التوحيد
٢٠٩ مراتب النفس	١٧٤ العلم بالطريق إلى الله
٢١٠ لمة الملك ولمة الشيطان	١٧٥ فلسفة التصوف
٢١٦ الحال والمقام والفرق بينهما	١٧٩ من أخلاق أهل التصوف
٢١٩ سلوك الطريق	١٨١ حقائق الطريق
٢٢٠ الإرادة	١٨٥ الدعاة إلى الله
٢٢١ إرادة الاستعداد للسلوك	١٨٩ رأى القدم في حقيقة الطريق
٢٢٦ الرياضة	١٩٧ منهج التصوف
٢٢٨ التجريد	١٩٩ إخفاء الأحوال والمقامات
٢٢٩ التوبة	١٩٩ الواردات
٢٣٣ الجهاد	٢٠٠ أوائل الصوفية .
٢٣٤ الورع	٢٠١ محاسبة النفس .
٢٣٦ مخلة النفس	٢٠٢ صفة الصوفية
٢٣٧ الجلادة	٢٠٣ الموافقة لكتاب الله

صفحة	صفحة
مقام الرضا ٢٤٩	التشبيه ٢٣٨
السماح ٢٥٠	مقام الورع ٢٣٩
أهل الفتوة وأهل الملامة ٢٥٣	مقام الزهد ٢٤٠
كيفيه أخذ العهد ٢٥٤	مقام الصبر ٢٤٤
كيفيه الذكر ٢٥٥	مقام الشكر ٢٤٥
	مقام الوكل ٢٤٨

کتاب الحقیقہ

بسم الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى جعل الاسلام مدخلا للايمان وجعل الايمان بمقاماته اليقينية دعامة لمراتب الاحسان وجعل الاحسان بجمع أحوال أحبابه ومؤمل الصفوة المختارة من عباده والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير أحبابه ورسله وأنبيائه وهو العبد المصطفى من عباده وبعد فهذا كتاب الحقيقة ومستمد مقام الاحسان والاحسان لا يصح إلا بعد الاسلام علما وعملا ثم سلوك مقامات الايمان مقاما مقاما من النوبة إلى الصبر والتوكل والرضا وهو المقام الذى يخاطب الله فيه النفس بقوله : (يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمَطْمَئِنَّةُ ارجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى) وعباده بمعناها الخاص هم : هل الخصوصية والمعية استثناء من سائر مخلوقات الإنسانية حيث أن السلك عباده وإمكانه اختص منهم برضوانه أهل حضرته ومعيته وهم الذين قال الله تعالى فيهم للشيطان (ان عبادى ليس لك عليهم سلطان) استثناء واحتصاصهم فقال الشيطان نفسه مخاطبا ربه (الا عبادك منهم المخلصين) أى الذين أخلصتهم لحضرتك وأهلهم لرضوانك فقول الله عز وجل (يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمَطْمَئِنَّةُ ارجعى إلى ربك راضية) فذلك مقام الرضا وأما قوله (مرضية) فذلك بده رتبة الاحسان الذى فسرهُ النبي صلى الله عليه وسلم فى حديث عمر مخاطبا جبريل عليه السلام (الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) أما الأولى فهى أن تعبد على حال من المشاهدة والمكاشفة وهو حال الشهود . فإن لم يمكنك ذلك فبالثبوت وهى أن تعبد على شريطة الخوف والمراقبة باستشعار اطلاعه على سريرتك وعلايتك لأنه يراك . ويؤخذ من هذا أن حال الاحسان رتبتان : الشهود أو الثبوت وتجمع الاثنين كما لا يخفى رتبة الاحسان ولذقة هذه الرتبة رأينا من الواجب علينا أن نتكلم فى بيان الاسلام والايمان والاحسان ببيان أدق من الشرح الذى قدمناه فيما مر بك من الكتاب فقول وبالله التوفيق ؟

بيان الإحسان

أن كان الإسلام تسليماً وإذعاباً لا وأمر الله ومتابعة رسوله ، وإن كان الإيمان كفاحاً للقرب من الله صادعاً يباشر القلب والروح فإن الإحسان هو التحقق كمال العبودية . والتحقق بالعبودية باعث على مشاهدة حضرة الربوبية بنور البصيرة أى رؤية الحق موصوفاً بصفاته ثم معرفة صفاته بعين القلب ثم بالتشبه بها والاطباع عليها . فالعبد يرى الله يقيناً بقلبه ولا يراه بصورة ما فى الدنيا مشبهة بأى وصف من أوصاف خلقه فكل ما خطر فى البال من خيال يراد به التصوير والتثيل فالله بخلاف كل ذلك لأن التصوير والتثيل والادراكات العقلية المنصبة على أمثال هذه الصور من وظيفة العقل ، وأما الشهود الإلهى فإما يحصل بعين القلب وهى البصيرة وعلى صفة منزهة تليق بكمال ذات الله وهى فوق كل عقل وكل تدقل وكل تصور أو تخيل ، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم (تعبد الله كأنك تراه) مع كمال التذميه لأنه يراه من وراء حجب صفاته بعين ذاته هو أى ذات المراتى وليس ذات الرأتى .

أعارته طرفاً رآها به فكان البصير لها طرفها

ومن المشهور عند أهل الله أنك كما لا تهتدى إلى الله إلا بالله فلك لا تشهد الله إلا بنوره ، وسبيله إليك أو سبيلك إليه فى هذا الشأن أمر واحد من نوره هو لا من نورك أنت ، وهو نور البصيرة ذلك السر الذى أودعه الله فى قلوب عباده فمنهم من يحجب عنه بصفاته ومنهم من يكشف له ويتجلى الله عليه فلا يرى للعبد الحقيقة إلا بالحقيقة نفسها ، والله هو الرأتى كما فى البيت السامع وقد تجلى على عبده بوصفه وهو حال الإحسان ، وذلك لأن الإحسان فى معناه المطلق هو وصف المحسن الأول وهو الله . فبنور من هذا الوصف يرتقى العبد إلى رتبة الإحسان بعد أن رضى عن الله وكان مرضياً عند الله من طريق الإسلام والإيمان ، وأكد ذلك الرسول بقوله : (أن تعبد الله كأنك تراه) لا بعينك أنت وإنما بنوره هو وذلك من حال المشاهدة وهو من مقامات الروح لا من مقامات السلوك لأن السلوك يكون بالروح والجسد . فن قال فى حال الشهود أنى رأيت العلم بالله فقد صدق ومن قال لنى رأيت

الله شهودا بحسبى أو بادراكى فقد كذب . والاحسان فى رتبته هذه أعلى درجة
من الايمان لأن كل محسن مؤمن وليس كل مؤمن بمحسن كما أنه كل مؤمن مسلم
بمعتقد الاسلام وليس كل مسلم مؤمن كامل الايمان . وحقيقة الايمان درجة
تنشأ من التحقق بالاسلام (وفالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن
قولوا أسلمنا) وكذلك حقيقة الاحسان لا تقوم إلا على رواس من
التحقق بكمال الايمان .

حقيقة الاحسان

ونفهم مما تقدم أن الاحسان هو شهود الله تعالى شهودا كامل التنزيه عما
لا يليق بعظمته تعالى والحضور معه فى كل شيء بحيث لو اشتغل بأخذ الدنيا
وانهمك فيها وصرف جميع أوقاته فى تناول لذائذها وشهواتها المباحة وكان -اضرا
مع الله تعالى مشاهدا لتجليه تعالى فى كل شيء حتى لو أحب نوعا من ادمآكل
والشارب أو غير ذلك لشهد أن محبته فى الحقيقة منصرفه لذلك المتجلى الحق الذى
تجلى له فأنتعم عليه باللذذ والتنعيم به ، وبذا يكون رأى المنعم فى النعمة ومكنا
فالأشياء عنده صور للتجليات الرحمانية على اختلاف أجناس الأشياء وأواعها وهذا
هو التحقق بقوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) مع كمال التنزيه . فمن رأى
فى الاستواء غير الاستواء بالتجلى الالهى كالجلوس وغيره فما عرف حقيقة
الاستواء وخرج إلى التشبيه ، ومن رأى أن يرى الله بحاسة من حواسه أو بمحض
إدراكه العقلى فهو حالم أو نائم عن شهود الحقيقة . وقد بين الرسول صلى الله عليه
وسلم ذلك بقوله (الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا) فأثبت لهم النوم بسبب إهمالهم
بإحجاب الصور والمظاهر . قال الثورى رحمه الله تعالى من أبيات له فى ذلك
الحجاب :

لو أنجلت عنهم ظلم وانمحوا عن عالم الصور
لشهدوا معنك منبسطا ساريا فى سائر الفطر
ودروا أن الحجاب هم عن جمال المنظر النضر

وانضى يعقوب حاجته وانتهى زيد إلى الوطر

وقد ذكر البخارى فى صحيحه قول النبى عليه السلام (لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا) فأخبر أنه يعلم أنه يعلم ما لا تعلم وذلك لانكشف الحجاب عن بصره صلى الله عليه وسلم . وللورائى من الامم حظ مما للأنبيا عليهم السلام فى هذا المقام الذى هو مقام الاحسان كما ورد عن الصديق رضى الله عنه أنه قال : (ما رأيت شيئا إلا رأيت الله قبله) .

واعلم يا أخى وفقنا الله وإياك أن الشريعة جسد والحقيقة روحهما كان منك إليه فهو شريعة وما كان منه إليك فهو حقيقة لان الشريعة عمل كبرى والحقيقة حال وهى دفايك تعبد ، شريعة (وإياك نستعين) حقيقة فالعبادة منك له والاعانة على الهدى منه إليك . وأهل الشريعة قائمون على الحدود وأما أهل الحقيقة فقد تلبوا أن الحقيقة شهود خارج عن طور هذا الوجود فقالوا : نحن فيك نجاهد ولك نشاهد . فالعامل بالشريعة سعيد والمستغرق بتجلى الحقيقة شهيد . فهذا شأن أهل الحقيقة فى خصوصية الشهود ومشاهدة المعبود رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خاف مقام ربه . ثم اعلم أن الشريعة والحقيقة متلازمان لا توجد أحدهما ألا ومعهما الأخرى كلازمة الظل للشاخص والكف للأصابع لأن الحقيقة هى رؤيه الأمور على ما هى عليه فى نفسها وذلك هو غرض الشريعة المطهرة من حيث أنها الاخبار الصادق عن تلك الحقيقة نفسها ولذلك يقول قائل أهل الله : الشريعة أن تعبد بالطريقه أن نقصده والحقيقة أن تشهده ؛ فلا يرى خلافا بين الشريعة والحقيقة إلا من لم يحقق النظر . وكما كان أئمة الحقيقة عالمين بالشريعة كان أئمة الشريعة مهدين للحلم بالحقيقة ، ومن رأى أن الحقيقة تخالف الشريعة أو عكسه فإنه يجهل أن الشريعة هى أساس علم الحقيقة فلا يصح طالب الحقيقة من غير معرفة الشريعة ولا يتم للانسان طلب الحقيقة إلا من باب الشريعة متدرجا فى مقامات اليقين ، واليقين أعلا مناطق الايمان . وقد سئل بعض العارفين عن فقيه ينكر على الصوفيه وعن صوفى ينكر على الفقهاء فقال كل منهما جاهل قد حكم بطرف من الفضيه ونسى طرفها الآخر .

والمعرفة على مرتبتين أحدهما خاصه بأهل الإنكار أى بعالم العقل والثانية خاصه بأهل الكشف . فالأولى غايتها الظن والثانية غايتها اليقين ، والشريعة خاصه بالخبر الصادق وهو متحقق بالكمل عند الكشف ، وكذلك هما وجهان كقولك باطن الأمر وظاهره . يكمل الرجل فى ميدان العلم والمعرفة حتى يرى الحقيقة مؤيدة للشريعة وأن الشريعة دالة على الحقيقة وأن التصوف ليس بأمر زائد على السنة المحمدية وأما هو عينها الباطنة . وكما أن علم الفقهاء مشيد بالكتاب والسنة واجماع الأئمة فكذلك علم التصوف مشيد بالكتاب والسنة وأفعال الأئمة وأحوال الأنبياء ولكن لما قل اعتناء غالب الناس بالعمل على رياضته نفوسهم والتفتيش عما فيها من دسائس الشيطان وتركوا إمعان النظر فى أدلة مذاهب القوم رجحوا طريق الفقهاء على طريق التصوف وصار أحدهم يقول عن كل شئ لم يقدر على العمل به هذا منزع صوفى لم يقل به العلماء ، وكان الأجدر به أن يقول هذا قصور منى ؛ والفرق بينهم علم بعمل وعلم قد يكون بغير عمل ، ثم عمل بورع أو عمل دون ورع ، ورب حائل فقه وليس بفقير ، وحتى اسم الفقه لغة هو لفظ دال على الفهم وليس على القراءة والحفظ ، ومن فقه فقد وعى ومن وعى من المستبعد أن لا يعمل . ورحمة الله على الغزالي حيث يقول (عمل بغير علم لا يكون وعلم بغير عمل جنون) وكان أئمة الفقهاء كآبى حنيفة رضى الله عنه ومالك والشافعى وأحمد بن حنبل والثورى والأوزاعى والعزبن عبد السلام وغيرهم كانوا من أئمة الصوفية ومن لم يكن منهم صوفيا كان يختلط بالصوفية ليضيف مما عندهم من علم الباطن إلى ما عنده من علم الظاهر فيكمل . وكانوا يسمون الصوفية أهل القلوب ويقولون أهل الأذواق فى مقابل أهل الأوراق وكان الأولى بأهل الفصور أن يقولوا : هذا منزع صوفى لا يقدر على العمل به أديبا مع أولياء الله تعالى كما درج عليه العلماء كالامام الغزالي والامام النووى رضى الله عنهما وقد كان الشيخ عز الدين بن عبد السلام يقول فى قوله تعالى . (إنما يخشى الله من عباده العلماء) أن المراد بالعلماء ، هنا العارفون وأما علماء الأحكام فقط فإن الكثير منهم لا يخشى الله إلا من رحم ربه .

ولو أن الناس غير العارفين أمعنوا النظر فى أحوال الصوفية لوجدوها

مؤسسه على الكتاب والسنة إذ لا سبيل إلى التصوف الحق إلا بهذا ، ومذهبهم مبني على الفقه وزيادة ، وهو كمذهب المجتهدين دلي حد سواء فإن الشريعة تشهد لكل من المذهبين بالصلة المتينة وما ثمة تمييز بين الطائفتين أو الطائفتين إلا بالمقاصد فقط ، وذلك لأن المقيمه على أحسن تقدير يطلب بهلمه الثواب من الله تعالى من دخول الجنة والتمتع بما فيها من مأكل ومشرب وحرور وقصور وغير ذلك ، والصوفي يطلب بهلمه وجه الله دون رؤية أنه مستحق على عمله مكافأة من حيث أنه يعمل محتسبا مخلصا لله (يدعون ربهم بالغداة والشئ يريدون وجهه) .

ولجمالاً فإن من ظن أن الحقيقة تخالف الشريعة أو أن الشريعة تخالف الحقيقة فقد جهل لأنه ليس عند المحققين من الفريقتين شريعة تخالف حقيقة أهدا حتى قالوا : شريعه بلا حقيقة باضلة . وعلى هذا القول سائر المحققين والأئمة من الفقهاء والعارفين وكذلك أصحابه والتابعين .

وكان الامام عبد الله بن مسعود يقول لا يبالغ عبد حقيقة الايمان حتى يحل بذروته ولا يحل بذروته حتى يكون الفقر أحب إليه من الغنى وحتى يكون حامده وذامه عنده سواء . وفسر هذه الجملة أصحابه فقالوا حتى يكون الفقر في الحلال أحب إليه من الغنى في الحرام والتواضع في طاعة الله أحب إليه من التعظيم في معيضة الله وحتى يكون حامده وذامه عنده في الحق سواء لا يميل إلى من يحمده أكثر من يذمه .

وهذا حال أهل التصوف وأصحاب درجات الايمان والاحسان وسائر المتفقهين المحققين في أصول الشريعة والعارفين من رواد الحقيقة . وكان حذيفه صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : سيأتي على الناس زمان يقال فيه للرجل ما أظرفه ما أعقله وما في قلبه مثقل ذرة من ايمان .

وكان الامام أبو سعيد الحسن البصري يقول : الاسلام أر تسلم قلبك لله ويسلم منك كل مسلم .

دعائم الاسلام والايمان والاحسان

أما دعائم الإسلام فهي :

اثنتي عشرة خصلة وأول ذلك الشهادتان وهى الفطرة ، والصلوات الخمس وهى الملة ، والزكاة وهى الطهارة ، والصيام وهى الجنة ، والحج وهو السكال ، والجهاد وهو النصر ، والأمر بالمعروف وهو الحجة والنهي عن المنكر وهو الوقاية . والجماعة وهى الامة . والاستقامة وهى العصمة . وأكل الحلال وهو الورع . والحب والبغض فى الله وهو الوثيقة . وحسن التعامل مع الناس وهو الخاق وكف الأذى وبذل الندى والسلام على من تعرف ومن لا تعرف . فأما الخصال العشر التى جاءت الأخبار بها وأنها واجبة على المسلم المسلم فهى ، أن يسلم عليه إذا لقيه ويحيمه إذا دعاه ويشتهه إذا عطس ويعوده إذا مرض ويشهد جنازته إذا مات ويبر قسمه إذا أقسم وينصح له إذا استنصحه ، ويحفظه بظهر الغيب إذا غاب عنه ويجب له ما يحب لنفسه ويكرهه ما يكره لنفسه . وعن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (أربع من حق المسلم على المسلم أن يعين محسنهم وأن يستغفر لمذنبهم . وأن يدعو مدبرهم وأن يحب تائبهم) . وعن أهل البيت عليهم السلام : لا يقبل الله تعالى قولاً إلا بالعمل ولا قولاً وعملاً إلا بالنية ولا نية إلا بإيمان . وقال عمر ابن الخطاب رضى الله عنه : أفضل الأعمال أداء ما افترضه الله تعالى والورع عما حرم الله تعالى وصدق النية فيما عند الله عز وجل . فينبغى أن يكرن للعبد فى كل شئ نية حتى فى مطعمه ومشربه وملبسه ونومه ونكاحه إن ذلك كله من أعماله التى يسأل عنها ذلك كله من سر ذرائع الإيمان .. وفى حديث عبد الله بن عمر : من تسكن الدنيا نيته جعل الله فقره بين عينيه وفارقها أرغب ما يكون فيها . ومن تسكن الآخرة جعل الله غناؤه فى قلبه وجمع عليه ضيعته وفارقها أزهى ما يكون فيها .

وأشدد أحد بن يحيى :

فى كل بلوى تصيب المرء عافية إلا البلاء الذى يدنى من النار

ومن أخلاق أهل الإسلام والإيمان عموماً أن يكون محباً للخير وأهله .
 بجانباً للشر وأهله . مسارعاً إلى ما نذب إليه من أوامر الإسلام أو من
 أركان الإيمان إذا قدر عليه ويحزن على ما يفوته من ذلك إذا عجز عنه . مصلياً
 للخمس في جماعة إذا أمن الفتنة مجنباً للغيبة والكلام في الناس بالسوء والفحش
 عن عوراتهم وأن يحب لكافة الناس ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه
 مسارعاً إلى الخيرات . مسابقاً إلى أعمال البر والمكرمات ، طويل الصمت لين
 الجانب ، ذليلاً للمؤمنين عزيزاً على المنكبرين لا يمارى بالباطل ولا يدهن
 في الدين ولا يسكت على شيء من الحق وإن كان على نفسه ، ولا يؤيد شيئاً من
 الباطل وإن كان له ، وأن يكون كارهها المدح ممن يحبه قابلاً للنصح ولو ممن ينفذه
 وأن تكون سربرته أفضل من علانيته ، وأن يكون محتملاً لأذى الخلق صابراً
 على بلائهم متفرداً بحاله عنهم تاركاً لكثير من باطلهم خشية دخول الشبهات عليه
 منهم وخوفاً من تغير قلبه لهم . ومن اجتمعت فيه هذه الخصال اجتمعت له ذرائع
 الايمان والاسلام .

مدارج الاحسان

يقول الله تعالى :

(والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين) ومعناها الذين
 جاهدوا في الله أنفسهم وديارهم وأهلهم عن أن يضلوهم عن سبيل الله يهديهم الله
 سائر سبله الموصلة إليه من الشريعة والطريقة والحقيقة ، وفي قوله : (وإن الله
 لمع المحسنين) أثبت لهم المعية ، وهذه المعية طبعاً بالروح ومنزهة عن كل
 شوب من الزمانية والمكانية .

وقد علمنا من هذا أن رتبة الاحسان هي رتبة المعية مع الله ، وهي أعلا
 الرتب الوارد فيها جميع ما جاء في القرآن من عبادي إلى أحبائي إلى أوليائي الخ
 ولأولئك القوم المحسنين أحوال مع الله كما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد
 أن مزجوا أقواله بأنفسهم وأعماله بأعمالهم وقطعوا من مقامات اليقين ما قطع

عليه الصلاة والسلام ، متابعة له متقربين إليه تعالى ذا كرين له (وما حديث حراء
ببعيد) فالقوم درجوا على ما درج عليه صلى الله عليه وسلم تربية من الله ورعايه
وعنايه ، ولذلك كانوا على قدم هذا الرسول صلى الله عليه وسلم فأنعم الله عليهم
بأحوال سننية أولها الحب وآخرها المشاهدة ؛ وسنذكركم في هذه الأحوال بعد بيان
فوائد المعرفة الالهية .

وسائل المعرفة

اعلم عليك الله أن الصوفية في أبحاثهم لا يعتمدون كثيراً على المشاهد الظاهرية
المحيطة بهم وإن سلموا بوجودها وإنما جل اعتمادهم على المشاعر الباطنية كما قدمنا
ولذا جعلوا طريق الادراك الحقيقي من القلب كما جعله الله وعنه ينبع الادراك
العقلي وينفرع عنه الادراك الحسى فالقلب هو الذى يفيض بالمعرفة الحققة وما تحمله
الحواس من مشاعر يكون دائماً مشوباً بالعاط والخداع .

وأما العقل فقد يكون حججاً إذا جنح عن الصواب مرغماً أو متعمداً وقد
يهيى إلى ألوان من نور الحقيقة ، ولكنه نور محدود . والتماس أهل هذه المعرفة
للنور الالهى على ثلاث درجات : فناء المعرفة فى المعروف وهو الفناء علماً ، وفناء
العيان فى المعاني وهو الفناء جسداً وهو مستحيل لفقد الالة التى تربط بينهما فى
الشبه والملائمة ، وفناء الكائن المحدث بمعناه الروحى فى الوجود الحق وهو الفناء
المقصود لأهل التصوف . فالأول وهو غيبة العارف فى معرفته عن شعوره بمحدوديته
فى محيط معرفته ومعانيها فيبقى عن وصفه هنا بوصف معروفه وهو علم اليقين
لأنه إذا استغرق فى شهود المعروف ففى عن حدود نفسه وعلمها . ولما كانت
المعرفة فوق العلم وأنص منه كان فناء المعرفة فى المعروف مستلزماً لفناء العلم فى
المعرفة فيبقى العلم أولاً ثم تنهى المعرفة فى المعروف وهو اليقين العرفانى عن طريق
العلم . والثانى وهو فناء المعاني فى المعاني وهو المنعوت بفناء العيان وهو رتبة
حين اليقين واليقين العينى يقضى بأن المعاني محدودة المكان والمعاني قديم
مطلق وجوده وجود وجوبى . وشرط الشهود بعين اليقين فناء المحدث فى اليقين

وانطواء المحدود في المطاق ودخول الممكن تحت حكم الوجود الوجودي وهو الله
فلا رابطة توجب التساوي أو الالتصاق بين المعايين والمعاين أو الشاهد والمشهود
لانتفاء اللمة الرابطة في الوصف بينهما إلا إذا قورن الفناء بالبقاء واجتمع الحدوث
والعدم وهو مستحيل . وهذا نفسه هو السبب المانع من حلول الخالق في المخلوق .
واحد المخلوق بالخالق الأعلى وصف محمول على الجز لا على الحقيقة وكل صلة تتم بينهما
فهي دائما صلة روحية معنوية بعيدة عن الحلول والاحياز والمخلطة والمفارنة وهو
فناء المفقود في الوجود وهو درجة حق اليقين في الشهود فيبقى من لائمة له من
بقاء ويدق من يستحيل عليه الفناء (لمر الملك اليوم لله الواحد القهار) فكان يقينه
الشهودي أولا علما مشاعا ثم قوى فصار معرفه عينية ثم قوى فصار عيانا مشرقا
ثم تمكن فصار شهودا وجوديا مطلقا وهو رتبة حق اليقين . وبذا نفهم ان يقين
العارفين من المؤمنين على ثلاث درجات علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين وجملة
القول أن اهل التصوف يترقون من محيط الحس الى سماء العقل ومن سماء العقل الى
العلم اليقيني ولن يكون الا بالقلب ثم بالمعرفة اليقينية ولا يهدي اليها سوى البصيرة ثم
الشهود الروحي وهو فناء الحدوث في مواجهه القدم وتلاشر الفناء في مجابهه البقاء .

وتد اختلف سواد الناس قديما وحديثا في كفايات المعرفة وهل تأتي المعرفة
عن طريق الحواس الخمس وحسب أم عن طريق الحواس مضافا إليها العقل
أم لها سبل وطرق باطنية الهامية أخرى ؟ فلما ديون من علماء وفلاسفة لا يرون
للمعرفة بابا إلا الحواس الخمس المنصلة بالعالم الخارجي ويقررون أن لا مصدر فوق
هذا تصدر عنه المعرفة وهم شديدا التهمك برجال الكشف ومن سلك مسلكهم
ورجال العقل بحملة منطقهم وهو منهج أصحاب المذاهب العقلية والمثالية لا يؤمنون
بالحس ولا بأحكام الحواس ويرجعون كل المعرفة للمنهج العقلي . وأما الصوفية
والروحانيون على اختلاف أديانهم وألوانهم ومذاهبهم فيقررون أن للعلم وسائل
باطنية تصدر عن عالم ما فوق الحس والعقل ، فتصل بين النفس الانسانية والعالم
الروحاني ، وتلك اللمة يلبسها كل من صفت نفسه من ادران المادة وتخلصت من
حدود السور المنطقي للعقل ذلك النطاق المحدود الذي قيد العقل به نفسه وآمن به

إيماننا مؤلها فوق كل إيمان آخر. واما اولوا الوجدانات المتسامية والقطر الساليمه
والبصائر الوفاده فيحصلون من هذا الطريق على أسرار لوجود وخفايا الكائنات
وأحكام تعلو على الحواس الخمس والمعارف المحدوده التي تدركها العقول الحبيسه
في حلقاتها المفرغه .

على أن العلم الحديث بعد ما تطور وجرى شوطا بعيدا في الرياضيات العلمية
والأبحاث الذرية ومقاييس السرعة والبعد الرابع ونسبة اينشتاين قد بدت له باحات
من الغيوب كان لا يتوقعها في محيطه الحسي الضيق فصار معهما رغما حتى أشرفت به
على حقائق تقضى بأن يعزل الكون بجمع ما فيه من مادة وقوانين وعلائق وعلوم
تعليل رياضية بما كأنه يعزل عالما غيبيا لا يشاهد إلا من خلال المعادلات والأرقام .
ومن حسنات العلم ايضا أن أصبح يعترف في صراحة بأن للمعرفة وسائل أخرى
غير الحواس الخمس ولادراك العقلي وأن هناك إلهامات روحية غامضة لا سبيل
إلى معرفة أسرارها أو إنكارها .

فمسائل العقل الباطني والنفوس المغناطيس مثلا وما عجز الماديين عن أنكاره
أو تشكيك النفوس فيه ما هو إلا ضرب من ضروب العلوم الغيبية التي لا يتناول
الحس ولا العقل لذوق أسرارها والحكم عليها حكما فاطعا بالنفي أو بالاثبات
وقد دل العلم الحديث على أن المنوم تنوينا مغناطيسيا بعد أن تتعطل حواسه يتقهص
شخصية أرق من شخصيته وتلبسه روح عاقلة واسعة الادراك وسامية المعارف
تحدث عن أدق المسائل وأغمض الاسرار . ومن مشاهدات العقل الباطني ما
يصحح الاستشهاد به في كثير من المسائل المعضلة المحيرة كالحسابين على البديهة
وكالملمهين والمحذنين وهم طائفه تاتي عليهم أغصن المسائل الرياضية وأدقها تلك التي
تحتاج الى زمن كبير في التفكير والعمل فيجيبونك عنها فورا وهم لا يدرون
ولا يعرفون كيف ولا متى جاءتهم الاجابه ؟ وهناك العباقرة الاطفال يرسمون
أعظم الصور ويرقعون على الآلات الموسيقية الدقيقه التي تحتاج لعلم جم
وتجربة طويله ويعزفون عليها قطعا ملحنه واسطتهم يميز عنها أنه الدن
الموسيقيون وهم لا يعرفون كيف صنع هذا الحن أورب ذلك النغم وقد كتب

الشاعر (دموسيه) عن نفسه قول (انا لا اعمل وليكى أسمع فافعل فكأن انسانا
بجهولا ياجبني في اذني) وكان لا هارتن وقول (لست انا الذي يفكر وليكن هي
افكرى التي تفكر لي) وروى الشاعر (ريفيه) انه قد ينام غالبا وهو يصنع قطعة
من الشعر لم تتم فيستيقظ فيجدها تامة في اليوم التالي عندما يفكر فيها . وكذلك كثير
من المؤلفين كانوا يؤلفون في نومهم وسكتون . ا حلاوبه فور يقظتهم أما -قراط
فقد كان يسمع بأذنه ما تنقيه إليه الروح هو شيطان سقراط ، مشهور عند اليونانيين
وغيرهم من الفلاسفة . فكيف مع ذلك كله ينكر بعض الناس على بعضهم
الآخر حصول العلم بالالهام لاستعداد فيهم أو لرياضات نفسية أخذوا أنفسهم بها
فأنتجت من الاشراقات ا روحية مالم يحلم به الآخرون ؟ حالة أن الالهام الالهى
كم عام مشترك بين الحيوان والانسان ، ايا احتج أهل الحس باشتراكهم في الحواس
و ادعى أهل العقل أن العقول كم مشترك بين العملاء فإن الإلهام أشمل منهما واعم
وعلى هذا القياس نفسه تكون كفة الالهام والبصيرة أرجح شمولاً عند سائر
الاحياء .

لذلك ترى الصوفية أن غايتهم الوصول إلى الله تعالى من غير طريق لمحسوسات
الشاغلة أو طريق العقل لأصغاره بوسائل التعايل والشكيبك والمعادلة والمفاصلة
والطن والخيال بل بوسائل أصلا من ذلك مشهدا وأوسع مدى وهو طريق
الالهام القلبي بالبصيرة وهو أصل العقليين الظاهر والباطن وأصل الإدراك الحسى
أيضا . وعلى هذا الأساس حاولوا الإتصال بالله . وللوصول إلى هذه الغاية عندهم
طرق ومقامات جمه وأحوال سنوية ورياضات نفسية مستمدة مادها من الكتاب
والسنة وأفوال الاولياء وهى منسقة متوحدة من حيث الجوهر ولو اختلفت
وجهات النظر باختلاف المنهج في السلوك أو الوسائل في تربية النفس . وقد قدمنا
أن في السلوك مذهمين مذهب البرهان ومذهب الاشراق والنتيجة واحدة والغاية
متوحدة ولذا يقول قائلهم

ومذاهب الناس على خلاف ومذهب القوم على ائتلاف

فالمريد يترقى من مقام إلى مقام وينتهى إلى التوحيد والمعرفة ودعامة هذا الرقى

الاخلاص في الطلب ويتقدم ذلك الإيمان والتبصر . ولا غنى للمريد عن محاسبة نفسه خشية التصور أو المبالغة ولا غنى له أيضا عن شيخ مرشد مجرب راد الطريق سلوكا ثم عاد بعد الوصول يرشد غيره اليه كما يقول فاتلهم

خبر الطريق ثم عاد ليخبر القوم بما استفاد ومقصد القوم المعرفة الالهية ، والمعرفة في عمومها غير العلم أما هنا فلا مر مغاير وليس متافضا للعلم المعروف والمعرفة المعهودة لأنها معرفة الله رأسا عن طريق الوحي والالهام وتتوقف على إرادة الله فلا وصول إلى الله إلا به وأدواتها المتخذة كوسائل للإنسان ثلاث وهي كوسيلة لمعرفة الله (وابتهوا إلى الله أوسيلة) وهي العقل ، والقلب والسر ، وتجمعها الفات أو النفس أو الروح أو ما شئت من أسماء ؛ فالعقل للتمييز والاعتبار والقلب للخشوع والإدراك والسر لرؤيته السر حيث لا يشهد سر الله سوى سر اودع في قلب العبد من الله واخيرا الحواس للنظر في خالق السموات والارض وذلك مصداقا للحديث القدسي (ما وسعني ارضي ولا سمانى ووسعني قلب عبدي) الخ والقلب المذكور ليس هو القلب التشرىحي المعلوم الصنوبري الشكل بلحمه ودمه وإنما هو قلب معنوي يساكن الهيكل الجسماني من مخه لقلبه وعصبه وحواسه وهو سر اودعه مودع الحياة في الإنسان ليتعرف به اليه ويتخضع لجلاله ويسجد لعظمته ثم يفتي في بقائه ليدوم بدوامه . وعماد ذلك كله الحب وبعد حب الله حب الإنسانية كلها وحتى يدخل في هذا الحب ما تمل الارض وما تطل السماء من حيوان ونبات وجماد إذ الكل يشهد بوجود الخالق ويسبحه تسبيحا لا تفقهه المخلوقات وتسجد لبارئها بقلالها وحفائنها ثم نقوم دليلا بوجودها الامكاني على وجوده الدائم السرمدى

الأحوال

قلنا أن الطريق تتركب مفازته من مقامات وأحوال وتكلمنا في الكتاب الثالث عن المقامات وقلنا أن المقامات مكاسب والأحوال مواهب وهما نشرع بمعون من الله وتجلي نوراني وهداية في بيان أحوال أهل القرب . والأحوال هي المواهب المقاضة على العبد من ربه إما واردة عليه ميزانا

للعمل الصالح المزمكى للنفس المصطفى للقلب ولما نازلة من الحق امتنانا محضاً لتسكون
وسيلة بين العبد وربه بغيه الشهود والقرب . وإنما سميت أحوالاً لتحول العبد بها
من الرسوم الطبيعية بارتقاء درجات الأحوال الإلهية إلى سماء الحقيقة وساحة
القرب وذلك هو معنى الترقى .

مراقبه الأحوال وحة تنها وصفه أهلها . والمراقبه ميزان الأحوال ومقدمة
الخوف والرجاء الذين هما أول الأحوال . والمراقبه حال جليل قال الله تعالى
(ما ينظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) وقال عز وجل : (يعلم
سركم ونجواكم ويعلم ما تسرون وما تعانون) . وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قال (اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) وهى رتبة الاحسان
المتقدمة . والمراقبه لعبد علم وتيقن أن الله تعالى مطاع على ما فى قلبه وضميره وعالم
بذلك فهو يراقب خواطره المذمومة المشغلة للقلب عن الله . قال أبو سليمان الداراني
رضى الله عنه : كيف يخفى عليه ما فى القلوب ولا يكون فى القلوب إلا ما يلقى فيها
فهل يخفى عليه ما هو منه ؟ . وفى كتاب منازل الساترين يقول مؤلفه : أن الأحوال
من نتائج المقامات والمقامات من نتائج الأعمال فكل من كان أصلح عملاً كان أعلى
مقاماً وكل من كان أعلى مقاماً كان أعظم حالاً ، وهى لواضع ولوائح فى أولها ومقامات
فى أوسطها وأحوال سنية ثابتة فى مقامها ، فالذى كان بارقاً هو بعينه المقام . وهذه
الاسماء وضعت باعتبار تعلق الأحوال بالقلب والمقامات بالسعى . قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم
(أنا أعلمكم بالله وأشدكم خشية) . وحكى عن ابن عطاء الله أنه قال : خيركم من
يراقب الحق بالحق فى فناء ما دون الحق . والسالك الحق من تابع المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم
فى أفعاله وآدابه وأخلاقه وهذه نفسها هى الأعمال والمقامات والأحوال أو بوادرها
الدافعة إليها وقال الجنيد رحمه الله حينما سئل عن الحال : الحال نازلة تنزل بالقلوب
فلا تدوم . وقد عبر عن الحال قبل المقام وإنما الحال بعد المقام ثابت وأن بدا
حيناً وغاب حيناً . والأحوال هى الخوف والرجاء والمحبة والشوق ، والانس ،
والقبض ، والبسط والقرب ، والفناء ، والبقاء ، وهى عشرة ، منها سبعة فى مقابل
المقامات لأنها كلها تطالب القرب ، ومنها ثلاثة فى حضرة القرب نفسه وبعد الوصول
وهى : القرب والفناء والبقاء .

حالى الخوف والرجاء

يرى بعضهم أن الخوف والرجاء مقامان وهما فى الحقيقة حالان لأن المقام فيه ملابسة ومجاهدة للأشياء بالجسم والنفس وهذا شأن المقامات كالصبر والشكر مثلاً وأما الخوف والرجاء فحالان قلوبيان ولا يتيان إلا بعد مجاهدة النفس بسلك مقامات اليقين كالنوة والورع والصبر والشكر الخ وقد تقدم قول العارفين (بأن الأحوال مواهب والمقامات مكاسب) ولا نذى أن هناك أحوالاً خائفة تسبق المقامات هى مجرد لوازم وبوارق وهوائف وهذا لا ينبى أن هناك أحوالاً ثابتة تعقب المقامات كالخوف والرجاء والحب والانس وهكذا .

وفى صحيح مسلم عن جابر رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى عليه وسلم يقول قبل موته بثلاث (لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه) وفى الحديث القدسى يقول الله تعالى (أنا عند ظن عبدي فليظن بى ما شاء) .

مت بداء الهوى وإلا فطاطر واطرق الحى والعيون نواظر
لا تخف وحشة الطريق إذا جئت وكنت فى خفارة الحب سائر
واصبر النفس ساعة عن سواهم فإذا لم تجب لصبر فصابر
وصم اليوم واجعل المطر يوماً فيه تاقى الحبيب بالبشر شاكر
وافطم النفس عن سواه فيكل الـ عيش بعد النظام نحوك صائر
وتأمل سريرة القلب واستمع من الله يوم تبلى السرائر
واجعل الهم واحداً يكفيك الـ هووما شقى فزك قادر
يا أبا اللب إنما السير عزم ثم صبر مؤيد بالبصائر
يا لها من ثلاثة من ينلها يرق يوم المزيد فوق الأكابر
فاجتهد فى الذى ينيلك الـ بشرى وكن هناك والقلب حاضر

جاء أعرابى إلى رسول الله ﷺ وسأله قائلاً من يلى حساب الخلق يوم القيامة ؟ فقال عليه الصلاة والسلام (الله تبارك وتعالى) قال هو بنفسه ؟ قال : (نعم) فتبسم الأعرابى فقال النبى صلى الله عليه وسلم (مم ضحككت يا أعرابى ؟)

فقال : أن الكريم إذا قدر عفا وإذا حاسب سامح .

وقال شاه الكرمانى : علامه الرجاء حسن الطاعة . وقيل الرجاء رؤية الجلال بعين الجمال . وفى كتاب ايقاظ الهمم يذكر صاحبه أن الناس فى الخوف والرجاء على ثلاثة أقسام .

١ - أهل البداية وينبغى لهم تغليب جانب الخوف على الرجاء .

٢ - وأهل الوسط وينبغى لهم أن يمتدل خوفهم ورجاؤهم .

٣ - وأهل النهايات يغلبون جانب الرجاء على الخوف .

أما أهل البداية فلأنهم إذا غلبوا جانب الخوف جدوا فى العمل وانكشفوا عن الزلل فبذلك تشرف نهايتهم (والذين جاهدوا فيما لنهدهم سبحانه وإن الله لمع المحسنين) . وأما أهل الوسط فلأنهم قد انتقلت عبادتهم إلى تصفية بواطنهم ولذلك فإن عبادتهم قلبية أكثر منها ظاهرية ، فلو غلبوا جانب الخوف لرجعوا إلى عبادة الجوارح ، والمطلوب منهم عبادة البواطن على رجاء الوصول وخوف القطيعة فيعتدل خوفهم ورجاؤهم . وأما الواصلون فلا يرون لأنفسهم فعلا ولا تركا فهم ينظرون إلى تصرف الحق وما يجرى به سابق القدر فيتلقونه بالقبول والرضا فإن كان طاعة شكروا وشهدوا منة الله ، وإن كان معصية اعتذروا ونأدبوا مع الله ولم ينظروا مع أنفسهم إلى حليمه وعفوه وإحسانه وبره أكثر من نظارهم إلى بطشه وقهره . ويرحم الله الشافعى حيث يقول .

فلما قسى قلبى وضائق مذاهى جمعت الرجا منى لعفوك سلما

تعاظمى ذنبى فلما قرأته بعفوك ربى كان عفوك أعظما

فما زلت ذا جود وفصل ورحمة تجود وتعفو منة وتسكرا

وقال الشاعر المصرى ولاء قلبه الرجاء فى الله وكأنما ارتقت روحه بالاشراف

على هذا المقام العظيم .

أيارب أين ترى تقام جهنم للظالمين غدا والاشرار

لم يبق عفوك فى السموات العلا والأرض شبرا خاليا للنار

يا رب أهلى لفضلك واكفى شطاط العقول وفتنة الافكار

ومر الوجد يشف عنك لكي أرى غضب اللطيف ورحمة الجبار
يا عالم الاسرار حسبي محنة علمني بأنك عالم الاسرار
اخلق برحمتك التي تسع الورى ألا تضيق بأعظم .. الاوزار
ويقول أبو العباس المرسى رضى الله عنه :

العامه إذا خوفوا خافوا وإذا رجوا رجوا . والخاصه إذا خوفوا رجوا ومتى
رجوا خافوا .

ومن علامة الرجاء فى العبد كون الخوف باطناً فى رجائه لانه لما تحقق برجاء
شئ خاف فوته اعظم المرجو فى قلبه وايضاً لشدة اغتباطه به فهو لا ينفك فى حال
رجائه عن خوف فوت الرجاء . وهكذا حال الراجين مع الله ، والرجاء هو ترويضات
الحائزين ولذلك سمى العرب الرجاء خوفاً لأنهما وصفاني لا ينفك أحدهما عن الآخر ،
وعلى هذه اللغة جاء قول الله تعالى (ما لكم لا ترجون لله وقاراً) فأما الرجاء الذى هو
هم الناس من الإقالة من المعاصى مع الانهماك فى الخطايا وهو يرجو المغفرة ويقتظر
الكرامة فليس هذا برجاء عند العلماء ، لأن الرجاء حال من اليقين ، وليس هذا وصف
الموقنين ؛ وسماهم الله تعالى خلفاء والخائف : الردىء من الناس وتوعدهم بشدة البأس
فى قوله عز وجل (فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا
الأدنى ويقولون سيغفر لنا) . والرجاء لا شك أنه حسن ظن العبد بالله . فأما
المؤمن فقد أحسن الظن وأحسن العمل وأما الكافر والمنافق فأساء بالله الظن وأساء
للعمل ولكن أكثر الناس لا يعلمون وقال الحسن إنما عمل الناس على قدر
ظنونهم بربهم .

حال الخوف

الخوف في البدايات خوف الموت قبل التوبة وأصله خوف العقوبة مع تصديق الوعيد وذكر الجنابة ومراقبة العاقبة . ودرجته في الأحوال خوف المسكر بالصعد والاعراض وزوال لذة الحضور والمراقبة ، وفي الأخلاق خوف النقص وفقدان الكمال .

وفي فضيلة الخوف قال صاحب احياء العلوم . اعلم أن فضل الخوف تارة يعرف بالتأمل والاعتبار وتارة بالآيات والأخبار ، فأما الاعتبار فسيميله أن فضيلة الشيء تقاس بقدر نفعه ، والخوف يفضي إلى سعادة لقاء الله تعالى في الآخرة إذ لا مقصود سوى السعادة ولا سعادة للعبد إلا في لقاء مولاه والقرب منه . وقد ظهر أن لا وصول إلى سعادة لقاء الله في الآخرة إلا بتحصيل محبته والانس به في الدنيا ، ولا تحصل المحبة إلا بالمعرفة ولا تحصل المعرفة إلا بدوام الفكر والذكر ، ولا تتيسر المواظبة على الذكر والفكر إلا بانقطاع حب الدنيا من القلب ، ولا ينقطع ذلك إلا بالافتقار في لذات الدنيا وشهواتها ولا يمكن ترك المشتبهات إلا بقمع الشهوات ولا تنقمع الشهوة بشيء كما تنقمع بنار الخوف من الله . فالخوف هو النار المحرقة للشهوات فان فضيلته بقدر ما يحرق من الشهوات . وكيف لا يكون الخوف ذا فضيلة وبه تحصل العفة والورع والتقوى والمجاهدة وهي الأعمال الفاضلة الموحدة التي تقرب إلى الله زلفى .

وأما بطريق الاقتباس من الآيات والأخبار وناهيك دلالة على فضيلته جمع الله تعالى للخائمين الهدى والرحمة والعلم والرضوان . في قوله تعالى : (هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون) وقال الشبلي ماخفت الله يوما إلا رأيت له بابا من الحكمة والعبرة يفضي إلى الرجاء والرحمة .

ويذكر صاحب قوت القلوب في هذا الباب أن الله تعالى يقول : (وما يعقلها إلا العالمون) فرفع العلم على العقل وجعله مقاما فيه وقال تعالى (إنما يخشى الله من عباده العلماء) فجعل الخشية مقاما في العلم وهو حقيق بها . والخشية حال من مقام الخوف ، والخوف اسم لحقيقة التقوى والتقوى معنى جامع بسائر صنوف العبادة .

حال المحبة

المحبة شوق يسمى بالهمة ، ووجد ما حق للسوى ، ثم مطارعة للحق و يقين واستقامة وتمكين يدعوان إلى القرب والتآلف لرفع الكلمة لا التكليف .

ويقول الغزالي في هذا الحال أن المحبة لله هي الغاية القصوى من المقامات والأحوال ، والمكانة العليا من الدرجات . فما بعد إدراك المحبة من حال إلا وهو ثمرة من ثمارها وتابع من توابعها كاشوق والإنس وغيره . ولا قبل المحبة حال إلا وهو مقدمة من مقدماتها كالمقامات ومنها التوبة والصبر والزهد وغير ذلك .

وأما حقيقة المحبة فلا يعرفها سوى المحبوب أو المحب أى من دخل في هذا الحال الذوق الرفيع فعلا .

ويذكر صاحب منازل السائرين أن الله تعالى قال (فسوف يأت الله بقوم يحبه) ويحبونه) والمحبة عكوف القلب بالهمة على القرب ونتيجتها الأنس بالله والمحبة على ثلاث درجات :

١ - محبة تقطع الوسواس وتحبب الخدمة وتسلى عن المصائب وهى تنبع من مطالعة المنة وتثبت باتباع السنة وتنمو بالاستجابة للشرع .

٢ - محبة تبعث على إظهار الحق على غيره وتجعل اللسان يلهج بذكره وتعلق القلب لشهوده ، وهى تظهر من مطالعة الصفات والنظر فى الآيات والارتياذ بالمقامات

٣ - محبة خاطفة تقطع العبارة وتدفع الإشارة ولا تفتنى بالزمن وهذه المحبة هى قطب هذا الشأن .

ويقول صاحب الأصول : أن المحبة فى البدايات هى التلذذ بالعبادة والتسلى عن الشهوات . وفى الوسط جمعية الباطن على السلو عما سوى المحبوب والاختبات إلى جنباه مع الأعراض عن غيره .

وفى العزيمة تجر يد الحب المرموق عن الموانع وتصميم العزم عليه مع هجر القراطع وفى القرب إحياء نور القلب بالنظر فى الآيات ودوام مطالعة حسن الصفات

شواهد الحب لله من الشرع :

يقول الله تعالى (يحبهم ويحبونه) ويقول : (والذين آمنوا أشد حبا لله) وهو دليل على إثبات وجود الحب لله وإن حصل التفاوت فيه . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الايمان إلا لمن يحب) وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحب شرط الايمان في كثير من أقواله ، إذ قال له أبو رزين العقيلي يا رسول الله ما الايمان ؟ قال (أن يكون الله ورسوله أحب إليك مما سواهما) وقال (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين) وقد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالحبة فقال (أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمة وأحبوني لحب الله إياي) وقال صلى الله عليه وسلم في معرض دعائه (اللهم ارزقني حبك وحب من أحبك وحب من يقربني إلى حبك واجعل حبك أحب إلى من الماء البارد) وقال رجل يسأله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله متى الساعة . قال ما أعددت لها ؟ فقال : ما أعددت لها كثير صلاة ولا صيام إلا أني أحب الله ورسوله . فقال رسول الله (المرء مع من أحب) وقال أنس : ما رأيت المسلمين فرحوا بشيء بعد الاسلام فرحهم بذلك .

ونحن نقول أن المحبة حال شريفة شهد الحق سبحانه بها للعبد ، وأخبر عن محبته للعبد . قال الحق بوصف بأنه محب للعبد والعبد بوصف بأنه محب للحق على أن يكون العبد إذا استعداد لتذوق هذا الحال فإن لم يكن ذا استعداد فلا

ومن يلك ذا فم مرید يجد مرا به الماء الزلال

يقول الحسن البصري : من عرف ربه أحبه ومن عرف الدنيا زهد فيها .

وقال سهل التستري . الحب معانقة الطاعة ومباينة المخالفة . وسئل الجنيد عن المحبة فقال دخول صفات المحبوب على البديل (أى تبديل صفات المحب بصفات المحبوب لأحداث الآلة) من صفات المحب . وقال الشبلي سميت محبة لأنها تمحو من القلب ما سوى المحبوب . وسئل بن عطاء عن المحبة فقال أغصان تغرس في القلب فتثمر على قدر الحال حبا أو أنسا أو شوقا .

وكتب يحيى بن معاذ إلى أبي يزيد البسطامي : سكرت من كثرة ما شربت من كأس

محبتته فكاتب إليه أبو يزيد . غيرك شرب بحور السموات والأرض وما روى
بعد وأنشدوا .

شربت الحب كأسا بعد كأس فما نفذ الشراب وما رويت
وقالت رابعة العدوية في مناجاتها : إلهي أتحرق بالنار قلبا يحبك ؟ ! فهتف بها
هاتف : ما كنا نفعل هكذا فلا تظني بنا ظن السوء . وقالت رابعة بينما كان الثوري
يجلس بين يديها ويقول علمينا بما أفادك الله من ترائف الحكمة . قالت : نعم الرجل
أنت لولا أنك تحب الدنيا . وقد كان رحمه الله زاهدا في الدنيا عالما إلا أنها كانت
تجعل إشار كتيب الحديث والتهاون في الإقبال على الله من أبواب الدنيا . وقال لها
الثوري يوما : لكل عبد شريطة ولكل إيمان حقيقة فما حقيقة إيمانك ؟ .
فقالت : ما عبدت الله خوفا من الله فأكون كالآمة السوء إن خافت عملت .
ولا حبا للجنة فأكون كأمة السوء إن أعطيت عملت ولكني عبدته حبا له وشوقا
إليه . وقال لها حماد بن زيد اذكرى لي حوائجك حتى أقضيها ، فقالت له : أنى لأستحي
أن أسأل الدنيا من يملكها فكيف أسأله من لا يملكها ؟ وأنشدت في معنى الحب
هذه الأبيات :

أحبك حبين حب الهوى وحبا لأنك أهل لذاكا
فأما الذى هو حب الهوى فشغلى بذكرك عن سواكا
وأما الذى أنت أهل له فكشفك للحجب حتى أراكا
فلا الحمد فى ذا ولا ذاك لى ولكن لك الحمد فى ذا وذاكا

وقال سمنون : إن المحبة صفاء الود مع دوام الذكر لأن من أحب شيئا أكثر
من ذكره .

علامات المحبة

من علامات محبة العبد لمولاه تقديم أمور الآخرة وكل ما يقرب من الحبيب
على أمور الدنيا ، ثم إيثار محبته على الهوى واتباع رسوله صلى الله عليه وسلم فيما
أمر به ونهى ، والخضوع لأوليائه من العلماء به العاملين له ثم التعزز على أبناء الدنيا
المؤثرين لها كما أمر الله حبيبهم صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى (وتبتل إليه بقبيل) ثم أن
لا يخاف في حبه لومة لائم ولا يمدح مادح .

كانت لقلبي أهواء مفرقة فاستجمعت مذراتك العين أهوائ
وبات يحسدني من كنت أحسده وصرت مولى الورى مذ صرت مولائى
تركك للناس دنياهم ودينهم شغلا بذكرك يادىنى ودنياى
ومعرفة الله بعد تطهير القلب من الرذائل وتحليته بالفضائل داعية للمحبة
بالضرورة لأن المعرفة رائد الحب ، ولا يتوصل إلى ذلك إلا بالفسر الصافي
والذكر الهائثم أو كما يقول الشامي : الحب دهش في لغة وحيرة في تعظيم . وقال
سهل : المحبة عطف الله بقلب عبده على مشاهد الحقيقة بعد فهم الخطاب
عن الحبيب .

وفي وصف سبيل الحب لله يقول أبو الحسن أحمد بن الحسين الرزباري : سمعت
أبا عبد الله أحمد بن عطاء الرزباري يقول العلم موقوف على العمل والعمل موقوف
على الاخلاص والاخلاص لله يورث الفهم عن الله تعالى ويدنى من الحب . وقال
بعض العارفين : من آمن بالآخرة لم يحرص على الدنيا ومن أيقن بالمجازاة لم يؤثر
الحسنى ، ومن استعان بالله استغنى بحبه عن سائر عبادته ومن وثق بالله استظهر
لمعاشه ومعاده .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكاد يقوم من مجلس إلا دعاءهم هؤلاء
الدعوات (اللهم اقم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك
ما تبلغنا به إلى رحمتك ومن اليقين ماتمون به علينا مصيبات الدنيا ومتعنا بأسماعنا
وابصارنا واجمل ذلك الوارث منا وانصرنا على من ظلمنا ولا تجعل مصيبتنا في
ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا تسلط علينا من لا يخاف
ولا يرحمنا) .

(وسئل الشبلي متى يذوق العبد الأنس بالله ؟ قال إذا صفا الود وحسنت
المعاملة . فسئل متى يصفو الود ؟ فقال إذا اجتمع الهم فصار في الطاعة .
وقيل في شرط المحبة :

وأترك ما أهوى لمن قد هويته وأرضى بما يرضى وإن سخطت نفسي
وإليك سبع خصال مؤدية إلى سبيل المحبة وهي :

أن لا تحزن على ما فاتك ولا تحمل هم ما لم ينزل بك ولا تلم الناس على ما فيك مثله ولا تطلب الجزاء على ما لم تعمل ولا تنظر بالشهوة إلى ما لم تملك ولا تغضب على من لم يضرك غضبك ولا تمدح من يعلم من نفسه خلاف ذلك . هذا شأن أهل الله من المحبين له . وأخسر الناس عملا ومالا من أبدى للناس صالح عمله وبارز بالقبيح من هو أقرب إليه من حبل الوريد . ومن كان عكس هذا فهو أفضل عند الله وأقرب . وأقرب منها من لا يبالي إلا بالله عمل مختارا أو قصر مجبرا وأفضل من الثلاثة من أسلم أمره وقلبه وحاله وماله إلى الله فهذا قد سلم وغنم وأحب الله وأحبه الله .

قال عبد الواحد بن زيد . ذكر لي أن جارية مجونة تنطق بالحكمة فلم أزل أطلبها حتى وجدتني خرابة جالسة على حجر وعليها جبة صوف ، فلما نظرت إلى قالت من غير أن أكلمها : مرحبا بك يا عبد الواحد فقلت لها رحب الله بك وعجبت من معرفتها ولم ترني قبل ذلك ثم قالت ما الذي جاء بك إلى هنا ؟ فقلت حدث لتعطيني فقالت وأعجبوا لواعظ يوعظ ثم قالت : يا عبد الواحد اعلم أن العبد إذا كان في كفاية من أنعم الله ثم مال إلى الدنيا سلبه الله حلاوة الحب فيظل حيرانا والها فإن كان له نصيب عند الله عاتبه وأدبه في سره ثم يقول له عبدى أردت أن أرفع قدرك عند ملائكتي وحملة عرشي وأجعلك دليلا لأوليائي وأمل طاعتي في أرضي فأت إلى عرض من الأعراض الفانية وتركمتي فورتلك بذلك الوحشة بعد الأانس والذل بعد العز والفقر بعد الغنى . عبدى أرجع إلى ما كنت عليه أرجع لك ما كنت تعرفه من حبي وإطفي وبرى وعقوى ثم أنشدت :

لأنك في دار لها مدة يقبل فيها عمل العامل
أما ترى الموت محيطا بها يقطع فيها أمل الآمل
تجعل الذنب بما تشتهى وتأمل القوبة من قابل
والموت يأتي بعد ذا غفلة ما هذا بفعل الحازم العاقل

فبهت وتركته منييا إلى الله واعتبرت أنها كانت تحدثني بلسان الحق :
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبة له (أيها الناس أن الأيام تطوى

ولأن الأعمار تنفنى والابدان فى الثرى تبلى وأن الليل والنهار يترا كضان ترا كض
البريد يقربان كل بعيد ويخلقان كل جديد وفى ذلك عباد الله ما لملهى عن الشهوات
ورغب فى الباقيات الصالحات) وأنشد بعض الصالحين يصف بحى الدنيا
وجامعها .

كدود . كدود القز ينسج دائماً فمهلك غما وسط ما هو ناسجه
ومن نوارى بزرجمهر حكيم الفرس قوله : (نصحنى النصحاء ووعظنى الوعاظ
شفقه ونصيحه وتأديبا فسمعت لهم ولم يعظنى مثل شبيهى ، ولا نصحنى مثل فكرى ، ولقد
استضأت بنور الشمس وضوء القمر فلم أستضيء بشيء أضوأ من نور قلبى . وعاشرت
الأحرار والعبيد فلم يملكنى أحد ولا قهرنى غير هوى نفسى ، وعادانى الأعداء
فلم أرى أعدى لى من جهلى واحترزت بنفسى لنفسى من الخلق كلهم حذرا عليها
وشفقه فوجدتها شر النفس لنفسها ورأيت أنه لا يأتها الفساد إلا من قبلها ،
وقد زحمت المضايقون فلم يزحمتنى مثل الخلق السيء وذهبت أبعد البعد ووقعت فى
أسفل السفلى فلم أقع فى شيء أضر على من لسانى ، ومشيت على البحر ووطئت
الرمضاء فلم أر نارا أحر من غضبى إذا تمكن منى ، وطالبنى الطلاب فلم يدركنى
مدرك مثل ضميرى ، ونظرت ما القاء القاتل ومن أين نالنى فوجدته من معصية
ربى سبحانه . والنمست الراحة لنفسى فلم أجد شيئا أروح لها من تركها ما لا يعينها
وركبت البحار ورأيت الأهوال فلم أر هولا مثل الوقوف على سلطان جائر .
وتوحشت فى البرية والجبال فلم أر مثل القرين السوء وعالجت السباع والضباع
والذئاب وعاشرتها وعاشرتنى وغلبتها فلم يغلبنى إلا عدو فى ثوب صديق . وأكلت
الطيب وشربت المسكر وعانقت الحسان فلم أجد شيئا أذل من العافية والأمن
 واجتمعت بالشرائطين والجبال والسباع فلم أجزع إلا من خبت الطوية . وأكلت
الصبر وشربت المر فلم أر شيئا أمر من الفقر (ويريد فقر النفس) وشهدت
الحرب وتعبية الجيوش وباشرت السيوف وصارعت الأقران فلم أر قرنا أغاظ
من المرأة السوء . ونقلت الصخر فلم أر حملا أثقل من الدين . ونظرت فيما يذل
العزى ويكسر القوى ويضع الشريف فلم أر أذل من ذى فاقة ومعصية . واصطنعت

الإخوان وانتخبتم الاقوام للعدة والشدة والتأنيب فلم أر شيئا أخير من التقرب إلى الله والتوسل بطاعته لمحبهه (وإجمالا فكل ما أوردناه في حال الحب لله وكل ما ذكرناه في باب الحب من حب غير الله كالدنيا والنفس والشیطان والهوى وما في ذلك من سقوط وذلل وحجاب وغفلة هذا وذاك يبعث كل ذی ذوق سليم وطبع مستقيم ونظر بعيد على الحب لله والتقرب منه ولو فقد الدنيا جميعا فهو الغنى بالله على كل حال .

عبيد ولكن الملوك عبيدهم وعبيدهم أضحى له الكون خادما
واسمع إلى ابن الفارض سلطان العاشقين يصف محبته وهى الذات الإلهية
فيقول :

فإن قيل لي صفها فانت بوصفها خبير أجلى عندي بأوصافها علم
صفاء ولا ماء ولطف ولا هوى ونور ولا نار وروح ولا جسم
تقدم كل الكائنات حديثها قديما ولا شكل هناك ولا رسم
وفى سكرة منها ولو عمر ساعة ترى الدهر عبدا طائعا ولك الحكم
إلى أن قال .

وعلى نفسه فليبك من ضاع عمره وليس له فيها نصيب ولا سهم

حال الشوق

والشوق هو الباعث الأعظم لأهل الله على الاجتهاد في الوصول إلى الله
وحسن العمل ولولاه لفترت همم السالكين وأحسوا شقة الطريق وطال عليهم
أمد الوصول . وفى هذا المعنى يقول يحيى بن معاذ رحمه الله : علامة الشوق فطام
الجوارح عن الشهوات . وقال بن خفيف : الشوق ارتياح القلوب بالوجد
ومحبة اللقاء بالقرب .

والشوق هو سفر القلب إلى محبته فإذا قدم عليه ووصل إليه صار مكان
الشوق قرة عينه ومباغ أمانيه التي كان يتوق للوصول إليها . وقيل لبعضهم في هذا

المعنى . هل تشفق اليه ؟ . فقال : لا إنما الشوق إلى غائب وهو حاضر .
وأن كان غيره يقول :

وأبرح ما يكون الشوق يوماً إذا دنت الخيام من الخيام
ويقول القشيري . سمعت الاستاذ أبا علي الدقاق يفرق بين الشوق والاشياق
ويقول . الشوق يسكن باللقاء والاشياق لا يزول باللقاء . وفي هذا المعنى أنشدوا
ما يرجع الطرف عنه عند رؤيته حتى يعود إليه الطرف مشتاقا
ويقول صاحب منازل السائرين : أن الشوق على ثلاث درجات شوق العابد إلى
الجنة ليأمن الخائف ويفرح الحزين ويظفر الآمل .

وشوق إلى الله تعالى زرعه الحب الذي نبت على حافات المين فملأ قلبه بصفاته
المقدسة واشتاق إلى معانية لطائف كرمه وآيات بره وأعلام فضله . وظمناً للشهود
أضرم نار المحبة لا تهدأ دون اللقاء .

وفي جامع الأصول : الشوق حركة السير إلى الله بالمحبة المنبغثة عن مطالعة
تجليات الصفات . وفي كتاب عوارف المعارف يقول صاحبه (أن الشوق من المحبة
كالزهد من التوبة لا بد منه في مجال الحب . وإذا استقرت المحبة ظهر الشوق الحادث
عند المحب ليس كسبه وإنما هو موهبه خصل الله تعالى بها المحبين) . ولا نغنى
بالشوق إلا مطالبة تنبعث من الباطن إلى ما هو أولى واعلى من مجالى القرب وهذه
المطالبة كائنة في المحبين . فالشوق إذ ذكر كثر عند المحبين لا وجه لانكاره . وقال أبو
زيد : لو أن الله تعالى حجب أهل الجنة عن رؤيته لاستغاثوا من الجنة كما يستغيث
أهل النار من النار . وفي الحديث القدسي (كذب من أدعى محبتي وإذا جنه الليل فقام
عنى أليس كل حبيب يشفق إلى الخلوة بحبيبه ؟ فما أنا ذا قريب من أحبائي أسمع سرهم ونجواهم
وأشهد حينهم وشكواهم) . وخاطب الله بعض الصديقين بلسان الحال أن لى عبادا
من عبادى يحبونى وأحبههم ويشتاقون إلى وأشتاق إليهم يذكرونى وأذكركم
وينظرون إلى وأنظر إليهم فإن حدوث طريقهم أحببتك وإن عدلت عن طريقهم
غضبت عليك . قال يارب وما علاهم ؟ قال يراعون الظلال بالنهار كما يراعى الراعى
الشفيق غنمه ويحتنون إلى غروب الشمس كما تحن الطير إلى أوكارها عند الغروب

فإذا جنهم الليل واخناط الظلام وفرشت الفرش ونصبت الأسرة وخلال كل حبيب بحبيبه نصبوا إلى أفدامهم وافترشوا إلى وجوههم وناجوني بكلامي وتملقوا إلى بانعamy فبين صارخ وباك وبين متأوه وشاك وبين قائم وقاعد وبين راکع وساجد، بمعنى ما يتحملون من أجلی ويسمعي ما يشتهكون من حبي فأول ما أعطيتهم ثلاثا أفداف من نوري في قلوبهم فيجربون عني كما أخبر عنهم والثانية لو كانت السموات والأرض وما فيهما في موازينهم لاستقلاهما لهم والثالثة أقبل بوجهي عليهم فمن أقبلت بوجهي عليه لا يعلم أحد ما أريد أن أعطيه .

حال الانس

الانس بالله تعالى الفرح بوجوده والسكون إلى عناية به والاستعانة به ، على وجد معيته وليس في الامكان التعبير عنه بأكثر من هذا . وقد روى في الخبر أن مطرف ابن عبد الله بن الشيخ رحمه الله كتب إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه : ليسكن أنسك باقه وانقطاعك إليه فإن الله تعالى عبادا استأنسوا به فكانوا في وحدتهم أشد أنسا من الناس في كثرتهم . وأهل الانس في الانس على ثلاثة أحوال فمنهم من أنس بالذكر واستوحش من الغفلة وأنس بالطاعة واستوحش من المعصية ومنهم من استأنس بالله واستوحش مما سواه من المعارضات والخواطر المشغلة .

كما ذكر عن ذي النون رحمه الله أنه قيل له ما علامات الانس بالله ؟ قال إذا رأيت الله يوحشك من خلقه فقد أراد أن يؤنسك بنفسه ومنهم من يأنس بالله أنسا ثابتا حضره الناس أو غابوا . وسئل الجنيد رحمه الله عن الانس بالله فقال ارتفاع الكلفة مع وجود الهيبة .

الانس باقه لا يحويه بطلال وليس يدركه بالحول محال
والآنسون رجال كلهم نجب وكلهم صفوة لله عمال
وفي جامع الأصول ان أصل الانس الاسترواح بروح القرب وشاهده
الاقترب من حال القرب وقالت رابعة العدوية .

ولقد جعلتك في القواد محدثي وأبحت جسمي لمن أراد جلوسي

فالجسم منى للجلوس مؤانس وحبيب قلبى فى الفؤاد جليسى
وفى ايقاظ الهمم أن المؤانسة التى يجدها العامل بعد العمل على ثلاثة أقسام .
١ - مؤانسة ذكر وهو لأهل الفناء فى الأفعال . ٢ - ومؤانسة قرب وهو
لأهل الفناء فى الصفات . ٣ - ومؤانسة شهود وهو لأهل الفناء فى الذات .
والأولى لأهل الإسلام والثانية لأهل الايمان والثالثة لأهل الإحسان . فمؤانسة
الأول توجب له الفرار من الناس والوحشة منهم ، ومؤانسة الثانى توجب القرب
لهم على الخذر منهم ومؤانسة الثالث توجب الصحبة لهم ومخالطتهم لأنه يأخذ منهم
ولا يأخذون منه . ومؤانسة الذكر توصل لمؤانسة القرب ومؤانسة القرب توصل
لمؤانسة الشهود . وقالوا :

يا ساقى القوم من شذاه الكحل لما سقيت تاهوا
غابوا وبالسكر فيك طابوا وصرحوا بالهوى وفاهوا

حالى القبض والبسط

القبض والبسط حالان شريهان قال تعالى فيهما (والله يقبض ويبسط) وقد تكلم
الشيخوخ بإشارات هى علامات القبض والبسط من حال الانس . فمن كان لله به
عناية إذا بسط ولم يستشعر الخشية فى بسطه رده الله إلى القبض فإذا قبض توازن
حاله فيصوغ له الانس وهكذا . وقد يشتبهان بالخوف والرجاء ولكن الخوف
والرجاء غير البسط والقبض لأن الخوف لا يمتضى البسط لما فيه من انتظار
لوامع الرجاء والقبض لا يمتضى كل الرجاء لما فى الرجاء من لوامع الخشية وإن كان
القبض غيمة تتكشف عن حال الخوف ، والبسط إذا انزن أوماً بقرب حال الرجاء
والهبة والانس مقياس حال القرب وميزانه وإن تفرع القبض عن حال
الخوف وتفرع البسط عن حال الرجاء . وقال الواسطى يقبضك عما لك ويبسطك
فيما له وقال النورى يقبضك بياك ويبسطك لاياء . وأنشدوا فيمن حجب بالقبض
عن الخوف وبالبسط عن الرجاء .

ووراء هاتيك المستور محجب بالحسن كل العز تحت لوائه

لو أبصرت عينك بعض جماله لبذلت منك الروح في ارضائه
ما طابت الدنيا بغير حديثه كلا ولا الاخرى بدون لقائه
يا خاسرا هانت عليه نفسه اذ باعها بالعين من أعدائه
لو كنت تعلم قدر ما قد بعته لفستخت ذاك البيع قبل وفائه
أو كنت كفا للرشاد والهدى أبصرت لكن لست من اكفائه

ويقال مثل هذا الشعر أيضا لمن حجب عموما .

ويقول صاحب ايقاظ الهمم . البسط فرح يعتري القلوب والارواح إما
بسبب قرب شهود الحبيب أو شهود جماله أو يكشف الحجاب عن أوصاف كماله
وتجليات ذاته . والقبض حزن وضيق يعتري القلب إما بسبب فوات مرغوب أو
عدم حصول مطلوب أو بغير سبب إلا أن يكون مبدأ للخوف ، وهما يتعاقبان على
السالك تعاقب الليل والنهار . فالعوام إذا غلب عليهم الخوف أنقبضوا وإذا غلب
عليهم الرجاء انبسطوا ، والخواص اذا تجلى لهم بوصف الجمال انبسطوا واذا تجلى لهم
بوصف الجلال انقبضوا . وخواص الخواص استوى عندهم الجمال والجلال والقبض
والبسط والخوف والرجاء فلا تغيرهم واردات الاحوال لانهم بالله ومتقربون فلا ولون
ملكهم الاحوال وخواص الخواص ما يكون للأحوال . وجاء في شرح المباحث
أن الغالب على العارفين البسط فرحا بالله وبالوصول إليه . والغالب على المرید القبط
لانهم في محل المجاهدة والمكابدة . وأعلم أن للقبض والبسط آداب فن أساء فيهما
الأدب طرد إلى الياب أو إلى سياسة الدواب . وفي آدابهما جاء في كتاب ايقاظ
الهمم أن آداب القبط . الطمأنينة والوقار والسكون تحت مجارى الأقدار والرجوع
إلى الواحد القهار فان القبط شبيه بالليل والبسط شبيه بالنهار ومن شأن الليل
الرقاد والهدوء والسكون والهجوم . ومن آداب البسط : كف الجوارح عن الطغيان
وخصوصا جارحة اللسان فان النفس اذا فرحت بطرت وخفت ونشطت فرما تاقى
كلمة لا تاقى لها بالا فتسقط في مهاوى القطيعة بسبب سوء أدبها . ولذلك كان البسط
مزلة أقدام . فاذا أحس المرید بالبسط فليعلم نفسه بلجام الصمت وليتحل بحلية
السكينة والوقار خشية القطيعة والبعد قال ابن عطاء العارفون إذا بسطوا أخوف
منهم إذا قبضوا وأنشدوا في ذلك .

قف بالديار فهذه آثارهم وابكى الأحبة حسرة وتشوقها
 كم قد وقفت بربعها مستخبرا عن أهلها أوصائلا أو مشفقا
 فأجاني داعي الهوى في رسمها فارقت من نهري فعز الملتقى
 وأنشد هذه الأبيات أبو محمد الحريري عندما قال له رجل كنت على بساط
 الأنس وفتح على طريق البسط فزلت زلة فخرجت عن مقامى فكيف السبيل إليه
 دلني على الوصول إلى ما كنت عليه فبكى أبو محمد وقال يا أخى السكلى في قهر هذه
 الخطيئة ولكنى أنشدك أبياتا لبعضهم . وأنشد ما أسلفنا . وقال الجنيد : الخوف
 يقبضني والرجاء يبسطني والحقيقة تجمعني قال ابن عطاء الله في أسباب القبض
 والبسط وتماجهما : ربما أعطاك فمك وربما منعك فأعطاك . ويعنى بذلك
 القبض والبسط ووجوب التبصر فيهما . وقال أبو الحسن الشاذلي رضى الله
 عنه في حربه : اللهم إنا قد عجزنا عن دفع الضر عن أنفسنا من حيث نعلم
 بما نعلم فكيف لا نعجز عن ذلك من حيث لا نعلم بما لا نعلم .

حال القرب

قال تعالى (وإذا سألك عبادى عنى فأز قريب أجيب دعوة الداعى إذا دعان)
 وقال : (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) وقال : (ونحن أقرب إليه منكم ولكن
 لا تبصرون) وقال في صفة الملائكة (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم
 الوسيلة أيهم أقرب) : والوسيلة بمعنى السبيل إلى القرب . فذكر تعالى قريهم منه
 ثم ذكر قريهم بمعنى توسلهم إليه بالقرب أيهم أقرب . وحال القرب لعبد يشاهد
 بقلبه قرب الله منه فيستقرب إليه بطاعته وجمع همته بين يدي الله تعالى بدوام ذكره
 في سره وعلايته . والمقربون على ثلاثة أحوال فمنهم المتقربون إليه بأنواع الطاعات
 لعلهم يعلم الله تعالى بهم وقربه منهم وفضله عليهم . ومنهم من تحقق بذلك كما قال
 عامر بن عبد القيس رحمه الله ما نظرت إلى شيء إلا رأيت الله تعالى أقرب إليه منى
 وقال الجنيد واعلم أنه يقرب من قلوب عباده على حسب ما يرى من قرب قلوب
 عباده منه ، وهذه الدرجة الثالثة من حال القرب . وأما حال الواصلين فهو كما قال

أبو يعقوب أن يغيب العبد عن القرب والبعد بالاقرب .

وقال تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام (واسجد واقترب) . وقال ذو النون
ما ازداد أحد من الله قربا إلا ازداد خشوعا وهيبة . وقال النصرى باذى : باتباع
السنة وبأداء الفرائض تنال القربة والمواظبة على النوافل تنال المحبة . وأشددوا
في ذلك .

قد تحققتك في سرى فناجاك لسانى
فاجتمعنا لمعان وافترقنا لمعان
إن كان غيبك التعميم عظيم عن لحظ عيانى
فلقد صيرك الود من الاحشاء داني

حالى الفناء والبقاء

علم البقاء والفناء يدور على إخلاص الوجدانية وصحة العبودية وسئل الخراز ما
علامة الفانى ؟ قال : علامة من ادعى الفناء ذهب حظه من الدنيا والآخرة
إلا من الله تعالى . والحظ هنا بمعنى الطاب والمعبر عنه بالفناء هو رؤية فناء أنيمك
فى بقاء الحق وشهود أفعالك مفعولة لمشية الحق وشهود سريان تلك المشية
فى جميع الممكنات مظاهرها وأعيانها وذواتها . والبقاء هو بقاءك على هذا الشهود
له به تخليا من نظرك شهود نفسك وغيرك من الكائنات وإن كنت كائنا فيها
وفى منازل الساترين عن الفناء : أن الله تعالى قال (كل من هابها فان ويبق وجه
ربك ذو الجلال والإكرام) فالفناء فى هذا الباب اضمجلال ما دون الحق علما
ثم ججدا ثم حقا

وفى جامع الاصول : الفناء هو زوال الرسوم جميعا بالكلية فى عين الذات
الأحادية مع ارتفاع الانثنية وهو مقام المحبوبين . وصورته فى البدايات الفناء
عن العادات والمألوفات بامثال المأمورات وفى الوسط الفناء عن الهيئات الطبيعية
النفسانية بالهيئات النورانية القلبية . وفى النهايات الفناء عن الأفعال البشرية
بالأفعال الالهية .

وفي العموم الفناء عن إرادة الأغيار تأثرا بإرادة الحق وفعله . وذكر في منازل السائرين في البقاء : البقاء اسم لما بقي قائما بعد فناء الشواهد وسقوطها وهو على ثلاث درجات .

الأولى — بقاء المعلوم بعد سقوط العلم عيننا لا علما .

الثانية — بقاء المشهود بعد سقوط الشهود وجودا لا نعتا .

الثالثة — بقاء من لم يزل حقا بإسقاط من لم يكن محوا .

وفي جامع الأصول . هو بقاء ما لم يزل حقا بشهود فناء ما لم يكن أزلا . وقال الخراز : الفناء هو التلاشي في الحق بالحق والبقاء هو الحضور مع الحق . وقال صاحب إيقاظ الهمم . الفناء هو أن تبدو لك العظمة فتفسيك كل شيء وتفنيك باطنا عن كل شيء سوى الواحد الذي ليس كمثل شيء وليس معه شيء أو تقول هو شهود حق بلا خلق . كما أن البقاء هو شهود خلق بحق . وسئل أبو سعيد الأعرابي عن الفناء فقال . هو أن تبدو العظمة والجلال للحق على العبد فتفسيه الدنيا والآخرة .

الفرق بين العارف والفاني

أن العارف يثبت الأشياء بالله والفاني لا يثبت سوى الله . العارف يقرر القدرة والحكمة والفاني لا يرى إلا القدرة . والعارف يرى الحق في الخلق مع فناء الحدوث في القدم وتنزيه واجب الوجود عن صفات الممكنات أو وجودها معه والفاني لا يرى إلا الحق والعارف في مقام البقاء والمجذوب في مقام الفناء . الفاني سائر والعارف متمكن . ويأتي في باب السكر والصحو أن الصحو فوق السكر والسكر يناسب مقام البسط . والصحو مقام صاعد عن الانتظار مغن عن الطلب طاهر من الخرج فإن السكر إنما هو في الحق والصحو وإنما هو بالحق .

السكر والصحو

يقول صاحب عوارف المعارف إن السكر هو استيلاء سلطان الحال . والصحو
العود إلى ترتيب الأفعال وتهذيب الأقوال . قال محمد بن خفيف السكر غليان القلب
عند معارضات ذكر المحبوب . وقال الواسطي ، مقامات الوجد أربعة . الذهول ثم
الحيرة ثم السكر ثم الصحو كمن سمع بالبحر ثم دنا منه ثم دخل فيه ثم أخذته
الأمواج ، فعلى هذا من بقى أثر سريان الحال فيه فعليه أثر السكر ومن عاد كل شيء
منه إلى مستقره فهو صاح . فالسكر لأصحاب القلوب والصحو للحكام المكاشفين
بحقائق الغيوب . ويحكى أن الجنيد حضر مع خاله السرى السقطي مجلس ذكر وسماع
فتواجد الجنيد حتى ذهل عن نفسه ونظر إلى خاله فوجده ساكناً ثابتاً فوضع يده
على كتفه وقال له : أليس لك قلب يا شيخ الصوفية ؟ فنظر إليه السرى السقطي
ثم تلا قول الله تعالى (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب) وعبر
السرى بالآية عن ثبات الراسخين في العلم والمعرفة .

المحاضرة . والمكاشفة والمشاهدة

المحاضرة هي التلون والمشاهدة لأرباب التمكين والمكاشفة بين ذلك إلى أن
يستقر الشهود . فالمحاضرة لأهل العلم والمكاشفة لأهل العيان والمشاهدة لأهل الحق
أى حق اليقين .

وفي جامع الأصول يتحدث صاحبه عن المكاشفة فيقول . هي نهاية شهود
العيان وما في ذلك من أحوال الايقان كالحب والصحور وهو التحقيق الصحيح
بمطابقة تجليات الأسماء الإلهية . وهي في البدايات الإيمان بحقائق الأسماء الإلهية ،
وفي الوسط تحلى القوى النفسانية بمعاني الأسماء الإلهية ، وفي المعاملات التهدى
للعمل بمقتضاها وإجابة دواعيها . والغيبة على ثلاث درجات : الأولى غيبة
المريد في تخليص القصد من حجب العلائق ودرء العوائق للانكسار الحقائق .
والثانية غيبة السالك عن رسوم العلم ورخص السعى وعلل الفتور . والثالثة
غيبة العارف عن مراتب الأحوال والشواهد والدرجات في عين الجمع . ويقول
صاحب جامع الأصول إنها هاهنا غيبة السالك عن رسوم العلم لقوة نور الكشف :

الوجود

الوجود بمعنى الوجد هو الظاهر بحقيقة الشيء وهو اسم لثلاثة معان : الأول وجود علم لدني يقطع علوم الشواهد بصحة مكاشفة الحق اياك . والثاني . وجود الحق وجودا عينيا منقطعا عن مقتضيات الاشارة . والثالث : وجود مقام اضمحلال رسم الوجود الإمكانى بالاستغراق فى الازالية .

وقال صاحب جامع الأصول : هو فى قوله تعالى (ووجد الله عنده) بمعنى حقيقة إدراك الشيء وهو أصفى مراتب الشهود عن وجود مقام يضمحل فيه كل ممكن بالكلية بشهود الموجد فى عين الأولية والمراد وجود الحق بذاته حيث لا رسم ولا اسم .

الكلام من معارف الصوفية وإظهار حقيقة عقيدتهم

يرى الذين لم يتذوقوا علم التصوف ولم ينهلوا من بحره الخضم الأعظم ولم تنهيا استعداداتهم لفهم حقيقته إلى النيل من التصوف والمتصوفين بوهم من الادعاءات الباطلة التى لا يؤيدها علم حقيقى ولا تدعمها فلسفة صحيحة . وقد أقاموا أنفسهم بمعارفهم الضئيلة حكما قساة على أولياء الله وعارفيه بدون مبرر يبررهم لا من الشرع ولا من العقل . ولم يتذوقوا مشارب القوم وعلومهم ومعارفهم ومواجيدهم فيما بينهم وبين ربهم وفى نظرتهم السامية العميقة لهذا الوجود وأول ما يرمونهم به من كذب عظيم القول بوحدة الوجود ؛ فما هى وحدة الوجود يا ترى ؟ أهى الجمع بين وجودين أزليين أبديين أم يريدون بالحقيقة أن تكون اثنينية ؟ !

أما القول بأن للكون كل واحد ، فهذا رأى العلم الحديث ؛ وأهله ما بين ماديين واقعيين وخصوصا الرياضيين منهم وبالأخص العلماء الذين . والقول بأن الوجود أعيان منفصلة لا يصلها ببعضها وحدة أو انسجام فذاك مالا يفهمه العلم الحديث ولا تعرفه الفلسفة وهو تعدد بغير مصوغ عند أهل التصوف ومخالفة للواقع ، وبقي معنا حقيقة البحث فى أصل الوجود كما هو .

فإما أن يكون الوجود صدر عن مادة قديمة سابقة للوجود ؛ وإما أن يكون خرج من العدم ؛ وإما أن يكون نشاطا من إبداع حقيقة عليا اقتضها صفاتها وأفعالها ولك أن تسميها الله أو ما شئت من أسماء عدا أن تسميها طبيعة أو صفة أو ضرورة أو ما إلى ذلك .

أما القول بالعدم فواضح الاستحالة في منطق العلم والفلسفة والدين ، سيما وأن العدم يبين الوجود والمدموم والموجود ضدان ، وإن فاقه الشيء في نفسه لا يعطيه أنيره .

وأما القول بوجود مادة قديمة تشارك الله في الأزلية فذلك هو الكفر الصريح فضلا عن أن المادة اليوم لا وجود عيني لها وأن كيانات الكائنات يقوم في عرفة العلم الحديث على الطاقة والسرعة لا أكثر ولا أقل أو ثانوية فلسفية أو الحاد لا يعرفه الإسلام ولا المتصوف .

وإما أن يكون سبب هذا الوجود إبداع فعل الله وأمره حسب اقتضاء وصفه بقدرة قائمة بذاته ، فلا يكون قديم إلا هو ولا سبب إلا إرادته وفعله وذلك هو الحق وهو عقيدة الإسلام ومذهب الصوفية .

والحقائق من الصوفية لا يمتدحون أن للإله العظيم جرما فيحلى في شيء من خلقه كما يفهم الذين لا يعلمون إلا الظاهر من حياة الدنيا وعن الآخرة هم غافلون .

فوحدة الوجود الصوفية غير وحدة الوجود الفلسفية التي لا تميز بين المصنوع والصانع (كما عند اسبينوزا أو غيره) وهي أن تشهد ذات الله في وصفه ووصفه في فعله وفعله يكون آثارا هي هذه الكائنات على أن يلاحظوا في ذلك غاية التنزيه والتسامي عن أوصاف مخلوقاته . ولا يكون ثمة في الكائنات مؤثر غير نشاط ذلك الفعل الإلهي الصادر عن ذات قديم لا بد له ولا نهاية هو وعي مطلق وحياة مطلقة واقتدار مطلق وعلم مطلق وإرادة مطلقة وفاعليه مطلقه ، فلا ندت حادته في الوجود دعن قدرته ؛ ولا استمد كائن حي حياته إلا من حياته ، وما شد بسيط أو مركب في فعله وتأثيره عن إرادته ، وما تحرك فعل ولا قام

نظام في الوجود إلا وكان الله علته ، فصفاته مؤثرة في الوجود وفعله أصل الحركة فلا مؤثر حقيق من غيره ؛ ولا صفة نشيطة منتجة لمخلوق إلا راجعه إليه . فأفعاله هي أصل كل فعل وسبب كل كائن .

ولإذن فالوجود المطلق الحق لله ولاوصافه الثابتة التي لا تتلاشى ولا تتحول . وبذا يتضح أن الفعل السببي الذي صدرت عنه جميع الأسباب والأفعال هو فعل الله وانظر إلى قول الله تعالى في القرآن (هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم) والضمير عائد إلى الله . فوجود هذا الظاهر المرفق على التحقيق - وجود اعتباري ، كوجود الفعل في الفاعل ، والكلام في المتكلم والمفعول في العاقل ، والمحرك في القوة المحركة . وبذا يكون الوجود كله وحدة مطلقة في منطق العلم الرياضي والفيزي وفي منطق الفلسفة العليا ؛ وأما في منطق الدين والتصوف فيكون الوجود كله دقه وباقه ، لأن سببيه فعل مطلق لذات مطلقة عنها صدر الكل بغير مشارك وإليها يرجع الكل دون متخالف أو مخالف ودون حلول أو اتحاد أو ما يشبه ذلك ، وفي هذا المعنى يقول أحد العارفين :

ولما تجلى من أحب تسكرما	واشهدني ذاك الجمال المعظما
تعرف لي حتى تيقنت أنني	أراه بعيني جهرة لا توهما
وفي كل حال اجتنابه ولم يزل	على طور قلبي حيث كنت مكثما
وما هو في وصلي بمتصل ولا	بمنفصل عني وحاشاه منهما
وما قدر مثلي أن يحيط بمثله	وأين الثرى من رفعة الجدر إنما
أشاهده في صفو سرى فأجتلي	جمالا تعالى الله عن أن يقسما
كما أن بدر التم ينظر وجهه	بضوء غدير وهو في أفق السما

وجود الله ، فاعلم أنه وجود وجوبي ضروري دائم ؛ ووجود غيره إمكاني متحول لا يقوم استمراره إلا بدوام مبدعه ، فهل يمكن أن تكون تلك العقيدة هي الحق المبين جريمة كبرى وذنبا عظيما ؟ ربما ولكن في نظر الذين لا يعلمون من الوجود إلا سطوحه السكونية وظواهره الشبيهة فهم يأخذون على التصوف والمنصوفة كونهم وحدوا الفعل كله وهو ذلك نفسه هو نص كتاب الله وأب شرعيه رسوله . أما نص الكتاب

فقله تعالى (وما تشاءون إلا أن يشاء الله) وقوله (كل شيء هالك إلا وجهه) ومعناه وجه الإيجاد الإلهي في الشيء الامكاني المعدوم . وحسبك قوله تعالى في كتابه :
(هو الأول والآخر والظاهر والباطن) (والضمير يعود) وأما لب الشريعة فلا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وله الخلق ، وله الأمر من قبل ومن بعد .

وأما رأى الآخرين على عقيدة أهل التصوف في توحيدهم لله وللفعل الله فانه ناشئ عن علمهم بظواهر الكائنات دون حقائقها وأسبابها الخفية ، وإلا فليقولوا لنا . ما هي القوى الطبيعية ؟ وما كنه الطاقة الذرية ؟ وأخيرا ما هي الكهرباء ؟ وما هي المغناطيسية ؟ وما أصل النور ؟ وما ماهية الإثير الخ الخ ؟ وكلها أمور طبيعية تكن وراء ما يلابسون ويمارسون من أشياء وقوانين وغير ذلك .

وماذا كان يريد من النقد من التصوف الاسلامي غير هذا والاسلامية دين توحيد في العقيدة والعمل والنظر للوجود وموحده !!

أيرجع أهل التصوف الاسلامي يا ترى في نظرتهم المتسامية للوجود إلى مثالية افلوطين القديمة في خلق الوجود بالقول العشرة أو الانفس السبع التي نفس فاعلية الله في خلقه ؟ أم يرجعون إلى مثالية أفلاطون القائلة بالمثل في الخلق والابداع دون الله أو يرجعون إلى أرسطو وأشياءه من الفلاسفة الماديين القائلين بأن المادة قديمة غير حادثة وأنها خالدة غير فانية ؟ . مع وصول العلم الحديث إلى تفكيك ذراتها وإطلاق اصولها إلى اشعاعات متعددة وأطياف تنحصر بين ما فوق البنفسجي وما تحت الاحمر . أم يرجعون اخيرا إلى مثالية دكنس ، الألماني القائلة بأن العقل هو العقل وهو الإله وهو المادة ؟ . . خلافا للمادية الواقعية القائلة بأن المادة هي المادة وهي العقل والإله وهي كل شيء في كل شيء . كلا ويتعالى الله عما يظن به المبطلون ، فليس هذا من التصوف الحق في شيء ولا من الاسلام الذي هو أصل هذا التصوف التوحيدي الهني لا يخرج عن المعتقد القائل بأن لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير .

هذا هو التوحيد الحق في الوجود فلندعهم وما يقولون به .

وتعالوا معنا إلى قضية وجود الانسان ذلك المدرك لتلك الحقيقة التوحيدية أو المقصر في البلوغ إلى كمال إدراكها ولنبحث في كيانه هو نفسه هل هو في كيانه الحقيقي مبنى وجوده على التوحيد أم على الاثنائية أم على الكثرة وهل هو قديم بقدم الروح الذى يسيره ليكون وجوده ناشئ عن اثنائية أم وجوده ناشئ عن كثرة لا تحديد لها ولا توحيد فيها ؟ لا علم يدري ولا فلسفة تجيب لانهما لا يمكن أن مرجعا لواحد من الثلاثة . من حيث القدم ولا من حيث الحدوث ولا من حيث الفاعلية .

وواقع الأمر أن ذات الانسان أو روحه هي ما هيته أو قل هي الحياة التي قام عليها كيانه جسده الوجودى الكونى فهو متوحد في الحقيقة وإن بدى في شكل اثنائى روح وجسد . ولا شك أن هناك مؤثر وأثر متأثر . فالكون له خالق مؤثر وهو مخلوق متأثر ، خالق أزلى ومخلوق حادث ، والحدوث بطبيعته ينضوى في القدم الذى هو المؤثر في كيانه الوجودى . فهناك وحدة حقيقية وإن بدت لمن لا يعرف في مظهر اثنائية أو كثرة . وذلك هو الحق القديم الموجود قبل الحدوث والثنائية والتعدد . وهو الخالد أيضا بعد كل ذلك .

ألا فليشهد أولوا الابواب والبصائر شهادة الحق بأن لا إله إلا الله ، وأن لا حول ولا قوة الا بالله ، وأن كل شئ يفنى ويبقى وجه الله دون حلول أو اتحاد للخالق في المخلوق أو المخلوق بالخالق .

والاتحاد هو امتزاج جسم في جسم أو كائن جامد أو سائل أو غازى بكائن آخر مماثلة ويتعالى الله عن ذلك وإنما ما يعنيه الأولياء الناطقون بمثل هذا اللفظ إنما يعنون به ما يعنى المعبر عن قطرة الماء إذا تبخرت من المحيط ثم رجعت إليه . وذرة النور إذا انشعبت عن أصلها النورانى ثم عادت إليه . وكله مبنى على المجاز لا على الحقيقة في كل حال لافرق الحاصل بين المخلوق والخالق والمصنوع والصانع . والحلول لغة وفلسفة واصطلاحاً تدخل جرم في جرم آخر أى تحيز جرم في جرم متحيز في الفراغ ، يكون طرفاً له ومحلاً محتويه وذلك كحلول الشمس في أحد أبراجها مثلاً وكحلول

اشعه الشمس في الارض . وكحلول الشمس في ناحيه من مكان لارتحاله عن مكان آخر . ويتعالى الله في عزته ورفعته عن كل هذا ويتعالى العارف بالله معرفة صحيحه عن أن يظن بربه مثل ذلك . فن من الصوفيه يا ترى يعتقد أن الذات الالهى العظيم المقدس المنزه الذى لا يحيط به شىء ولا يحتوته شىء من المكان على سعته ولا الزمان على امتداده يتحد أو يحل بشىء من مخلوقاته إلا أن يكون جاهلا بالتصوف وبالإسلام أو مدعيا متطفلا على التصوف والإسلام . وإذن فليكتب المخترصون الجاهلون تخرصهم بغير علم عن التصوف وأهل التصوف وليدعوا امر الخلق الذى له في خلقه الكثير من الشؤون .

الحقيقه

لا شك أن قانوناً عاماً يسود هذه الكائنات فيعين تسلسلها وأسبابها ونتائجها ويقدر أحوالها ومصائرهما ، وهذا مما يدل على أن وراء ذلك فاعلاً مدركاً وعلى أنه ثابت غير متحول ، وعلى أن الفاعل الأول الله موجود أزلاً وغير متناه ، وما وجود العوالم الإمكانية إلا حادثه في الوجود يستوى فيها طرفا الایجاد والاعدام أو التسكون والتحول . وما وجودها بجانب وجود الحق إلا كوجود الظل مضافاً إلى نور الشمس ، والشمس مع ذلك واحدة وجودها حقيقى بالنسبة لوجود ظلها وهو وجود اعتبارى امكانى ، ولم تحل ولم تتحد بها . فاعتبر بهذا المثل الاعلا في كل حال .

فاعتقد حفظك الله أن السماء وما أقلت ، والارض وما حملت وإنك وسائر العوالم المفروضة إمكانياً واعتبارياً هباء في هباء وإن الله سبحانه ناظر إليك وقريب منك . واعلم أن العقل السليم لا يسعه الاعتقاد بوجود وجودين حقيقيين أزليين والبدنيه ترفض قبول كائنين حقيقيين قديمين أزليين كانا علة للوجود أو عاتين فيتعاملان متحدتين أو منفصلين ليسكونا إلهين مشركين في القدم والتأثير والديمومة

والمصير بل قل لاله إلا الله ، وذلك هو الحق ، وما عداه فباطل ووم . وأشكر الله على ما أعطاك واستمسك بما أولاك وسر في طريقك الذي إليه هداك .

وما يضرك شيء لو كنت في نور الحقيقة والأغيار في ظلامها ؟ فإن رأيت نفسك في صبح مشرق وغيرك في ظلام دامس فقل مع الصوفي الحكيم .
 ليل بوجهك مشرق وظلامه في الناس سار
 الناس في سدف الظلام ونحن في ضوء النهار

وانظر بعين البصيرة في قول الله تعالى : (إن في خالق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات لأولى الألباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانه ففنا هذاب النار) .

ودع المفرضين الذين لا بصائر لهم يفرضون - جهلاً وخطأ - أن للمادة وصورها عالماً مغايراً في وجوده لوجود الله ويفرضونه قديماً منذ الأزل ، على أن الكون المادى في عصرنا الحاضر وعلى ضوء تقدم العلم الحديث مجرد إنتاج متشعب لحركة مستمرة ناشئة عن طاقة هي قوة عامة تحدث عن إشعاعات كونية مطلقة وهذا الإشعاع النورى ندركه بنور آخر معنوى هو كفاية الإدراك فينا ، والنور كله لله - قائماً بقدرته ومتحركاً بإرادته .

هذه حقيقة الوجود وهي حقيقة مبرهن عليها ولا ينكرها إلا جاهل أو متجاهل أو متعلم قاصر لا يساير العلم في تطوره ، ولا النتائج العلمية التى يؤدى إليها ذلك التطور . والنتيجة المستخلصة من كل هذا أن لا وجود بحق إلا للموجود المطلق الواحد الاحد ، المنزه عن القيود والحدود والزمان والمكان وهو « الله » جل جلاله وعظمته مشيئته ، وتعالى عن سائر الامكانيات ذاته وتقدس عن الاشياء والنظائر أسماؤه وصفاته . (قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون)

معجم مصطلحات الصوفية

(باب الألف)

الألف : اشارة إلى الذات الاحدية . من حيث انها أول حروف الاسم الإلهي الجليل .

الاتحاد : هو شهود الحق من غير حلول أو ملابسة كما يحدث من الأجسام للأجسام .

الاتصال : اتصال مدد الوجود وتجلي الرحمن على العبد .

الاحد : اسم الذات الاعلى .

الاحدية : اعتبارها مع اسقاط الجمع المخلوقات .

الاحسان : هو التحقق بالعبودية والنظر للربوبية بنور البصيرة .

الارادة : هي جمرة من نار المحبة في القلب تبعث على العمل .

الاسم : اسم الذات العليا .

الاسماء الذاتية : الاسماء الارائية .

الاسم الأعظم : الله جل جلاله وهو علم على الذات .

الاصطلام : الوه الغالب على القلب .

الاعيان الثابتة : حقائق الممكنات الثابتة في علم الحق تعالى .

الافراد : هما الرجال الخارجون عن نظر القطب .

الافق المبين : هو نهاية مقام القلب .

الافق الأعلى : نهاية مقام الروح : الحضرة الالهية ، المعية مع الحق .

الامامان : الشخصان اللذان أحدهما يكون عن يمين الغوث والثاني عن يساره .

ام الكتاب : الفاتحة أو مجلى الحق .

الآنية : الحقيقة التي يضاف إليها كل شئ . من العبد كقوله نفسى وروحى .

والآنية : تحقق الوجود العيني من حيث رتبته الذاتية .

الانزعاج . تحرك القلب إلى الله بتأثير سماع الوعظ .

أئمه الاسماء : الاسماء السبعة الاول المسماة بالاسماء الالهيه وهى الحى والعالم
والمريد والقادر والسميع والبصير والمنكلم .
الانسان : الخروج من القبض والبسط والشعور بالكينونه فى حضرة الحق
والانقاس به .

الائيات : اقامة احكام العبادات .
الاستقامه : درجة بها كمال الامور .
الاخلاص : مالا يكون للنفس فيه حظ .
الادب : اجتماع خصال الخير فى نفس السالك .

باب البقاء

البقاء : يشار بها الى اول الموجودات الممكنة وهى المرتبة الثانية من الوجود .
باب الابواب : وهو التوبة : وهى الرجوع الى الحق تعالى بالقلب .
والنفس والجوارح .

البارقة : لحظة آتية من الجناب المقدس .
الباطل : ماسوى الحق وهو العدم .
البدنة : كناية عن النفس القاطعة لمراحل الطريق .
البرق : اول دعوات الدخول الى حضرة الرب .
البرزخ : الحائل بين الشيمتين .
البسط : فى مقام القلب وهو قبول المنة من الحق تعالى :
البصيرة : هى قوة القلب منورة بنور القدس التى بها يرى حقائق الوجود .
البوادر : ما ينشأ القلب من الغيب .
بيت الحكمة : القلب الغالب عليه الاخلاص .
البيت المقدس : هو القلب الطاهر من التعلق بالفقر .
البيت المحرم : هو قلب الانسان الكامل الذى حرم عليه غير الحق تعالى .
البقاء : قيام الاوصاف المحموده .
البعد : البعد عن التحقيق والتوفيق .

باب النساء

- التواجد : استدعاء الوجد .
- التلوين : صفة أرباب الأحوال .
- التمكين : صفة أهل الحقائق .
- التجلى : الخشوع التام للحق ليظهر له بالبصيرة منة منه .
- القوبة : وعلامتها الندامة والرجوع إلى الحق بالكلية بعد التخلص من شوائب حظ النفس من الأغيار .
- التقوى : السير بالله وإلى الله والله بتمام التوجه إليه تعالى .
- التواضع : الاستسلام للحق وترك الاعتراض على الحكم .
- التوكل : الاطمئنان بقدر الحق وتقديره والتوجه إليه تعالى والاعتماد عليه .
- التصوف : الصفات عموما . أو الانتماء إلى صفة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أو لبس الصوف .
- التوحيد : الحكم بأن الله تعالى واحد .

(باب الجيم)

- الجدبة : تقريب العبد لمنازل الحق .
- الجسد : ما ظهر من الأرواح الغيبية وتمثل في جسم نوري أو ناري .
- الجلالة : ظهور الذات المقدسة لذاته بذاته .
- الجلال : احتجاب الحق تعالى بعزته هنا .
- الجمال : هو تجليه بوجهه لذاته في مظاهره لأذواق عباده .
- جمالك في كل الحقائق سافر وليس له إلا جلالك سائر الجمعية : اجتماع الهمة في التوجه إلى الله .
- الجمع : شهود الحق بلا خلق .
- جمع الجمع : شهود الخلق قائما بالحق ويسمى الفرق بين الجمع .
- جنة الصفات : الجنة المعنوية من تجليات الصفات والاسماء الالهية وهي جنة القلب في الدنيا .

جنة الذات : مشاهدة الجلال الاحدى وهى جنة الروح .
الجنائب : هم السائرون إلى الله فى منازل النفوس .
جنتنا الطلب : الوجوبيه والامكانيه .
الجوع : الامساك عن الاكل .
الجود : السخاء .

(باب الحاء)

الحال : معنى يرد على القلب من غير تعمد .
الحقيقه : مشاهدة الربوبيه .
حق اليقين : ما كان بنعت العيان وهو لاصحاب المعارف .
الحجاب : انطباع الصور الكونية فى القلب ، المانعه لقبول تجلى الحق .
الحزن : حال يقبض القلب عن التفرق فى أوديه الغفلة .
حفظ العهد : الوقوف عند حدود الله التى حدها للعبد .
الحسد : العداة للنعمه والجود لقضاء الحق تعالى .
حقيقه الحقائق الذات العليا .
الحياء : انقباض القلب لتعظيم الرب .
الحكمه الكونية : العلم بحقائق الاشياء .
الحكمه المسكوت عليها : أسرار الحقيقه .
الحكمه المنطوق بها : هى علوم الشريعة والطريقه .
والحكمه الباطنه : وهى معرفه الحق وتقريده مع وجود الخلق .
الحضور : رجوع العبد إلى احساسه بأحوال نفسه وأحوال الخلق أو الغيبه عن كل ذلك بالحق .

(باب الخاء)

الخلوه : العزلة عن الخلق بالحق تعالى .
الخلق الجديد : هو اتصال امداد الوجود بنفس الرحمن إلى كل ممكن لأن
الممكن معدوم بذاته .

الخوف الهروب من الله إلى الله .
الخواطر : خطاب يرد على الضمائر .
الخشوع : قيام القلب بين يدي الحق خاشعا .
الخلق : جمع الصفات المحمودة .

(باب الدال)

الدبور : ريح تأتي من جهة الغرب وهي هنا صولة داعية هوى النفس .
الدرة البيضاء : العقل الاول لقوله صلى الله عليه وسلم (أول ما خلق الله
الدرة البيضاء) وقوله (أول ما خلق الله العقل) .
الدعاء : مفتاح الحاجه إلى الله وهو طلبه واللجوء إليه .

(باب الذال)

الذوق : التعبير عن ثمرات التجلي .
الذكر : النداء له بالقلب واللسان .
ذخائر الله : قوم من أوليائه يدفع بهم البلاء عن عباده .
ذو العقل هو الذي يرى الخلق ظاهرا والحق باطنا .
ذو العين : هو الذي يرى الحق ظاهرا والخلق باطنا .

(باب الراء)

الروح : هبة الحياة ونور الله المفاض على عبده فهي روحه .
الرجا : لما يؤمل في الاستقبال .
الرضا : عدم الاعتراض على الحكم والقضاء .
رب الارباب : هو الحق تعالى .
رتب الاسماء : ذاتية ووصفية وفعلية .
الرب : اسم للحق تعالى .
الراعى : هو المتحقق بمعرفة العلوم السياسية النفسانية المتمكن من تدبير
النظام .

(باب الزاى)

الزهد : رفض الحرام والافلال من الحلال .

(باب السين)

السكر : غيبة بواذر شهود الخلق .

المستر : التغطية بالتعامل

السر : ودیعة القلب كالارواح

السفر : القيام والنوجه للغرض

السابقة : العناية الالهية

الستائر : صور الاكوان

مسجود القلب : فناؤه فى الحق .

سدره المنتهى : البرزخية الكبرى التى ينتهى إليها سير الكمل

سر العلم : حقيقة العالم .

سر الحقيقة : ما لا يفشى من حقيقة الحق

(باب الشين)

الشريعة : أمر بالتزام العبودية .

الشرب : الرى من ثمرات التجلى .

الشاهد : وهو ما يكون حاضر قلب الانسان من التجلى .

الشفع : هو الخلق .

الشكر : الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع .

الشيخ : هو الانسان الكامل فى علوم الشريعة والطريقة والحقيقة .

الشوق : رجاء لقاء الله تعالى :

الشؤون : هى الأفعال الالهية . والشئون الذاتية شئون الله فى عباده .

(باب الصاد)

الصحو : الرجوع إلى الإحساس بعد الغيبة .

الصبا : الدراعى الباعثة على الخير .

الصمت : السكوت مع الانتباه والخشوع .
صاحب الزمان والوقت والحال : المطلع على حقائق الأشياء .
الصبر : الوقوف مع البلاء بحسن الأدب . وهو الفناء في البلوى بلا ظهور
شكوى .

الصدق : القول بالحق والعمل والتوجه والسير بالحق إلى الحق .
الصعق . الفناء في الحق بالتجلى الذاتي .
الصحية : المرافقه بالمواقفه .
صوامع الذكر : المواطن المعنويه التي تصون الذاكر عن التفرق .

(باب الطاء)

الطريقه : السبيل القاصد إلى محبه الله وعداء الشيطان .
الطب الروحاني : العلم بعلاج القلوب وآفات وأدوائها .
الطوالع : من صفات أصحاب البدايات الصاعدين في الترقى بالقلب .
الطاهر : من عصمه الله عن المخالقات .

(باب العين)

علم اليقين : ما كان بشرط البرهان وهو لأرباب العقول .
عالم الجبروت : عالم الأسماء والصفات الالهيه .
عين اليقين : ما كان بحكم البيان وهو لأصحاب المعارف .
عالم الحقائق وعالم الملك وعالم الشهادة . هو عالم الأجسام والجسمانيات .
العزلة : من أمارات الوصلة وهي اعتزال الحفصال المذمومه .
العار العظيم والمقت الكبير : هو نقض العهد وعدم الوفاء بالوعد
العبادة : غايه التذلل للعالمه . والعبوديه صدق القصد للخاصه .

(باب الفين)

الغيبه : غيبه القلب عن علم ما يجري من أحوال الخلق لاشتغال الحس بماورد
عليه من الغيب .

الغيبية : ما ذكر في الآيه للكريمه (أوجب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا) .
الغراب : كناية عن الجسم الكلى لكونه في غاية البعد من عالم القدس
والخضرة الأحادية .

الغشا والغشاوة . ما يركب وجه مرآة القلب من الصدا ويحجب عين البصيرة .
الغوث . هو القطب حينما يلتجأ إليه - غيب الهوية والغيب المطلق : هو ذات
الحق باعتبار تجريدتها من الاسم والصفة الغيب المكنون : هو سر الذات وكنهها .

(باب الفاء)

الفتح : ما يقابل الرق من تفصيل المادة المطلقة بصورها النوعية .
الفتوح : كل ما يفتح به على العبد من الله - الفتح القريب : الفتح على العبد من مقام القلب .
الفتح المبين : هو ما انفتح على العبد من مقام التجليات والولاية من الاسماء الالهية
المتعينة بصفات القلب وكرالاته - الفتح المطلق : وهو فتح باب الوحدة والاستغراق
في الجمع المطلق - الفترة : هي خمود حرارة الطلب اللازمة للبداية .

الفرق الاول : هو الاحتجاب بالخاق عن الحق - الفرق الثاني : هو شهود قيام
الخاق بالحق - الفرقان : هو العلم التفصيلي الذي يفرق بين الحق والباطل .
الفناء : سقوط الاوصاف المذمومة - الفتوة : أن يكون العبد أبدا في أمر غيره .
الفراسة : خاطر يهجم على القاب فينفي ما يضاذه .

(باب القاف)

القابلية الاولى : اليقين الاول - القبض : وحشة القلب .
القدم : السابقة التي حكم الحق بها للعبد .
القطب : هو الواحد الذي هو موضع نظر الله تعالى من العالم في كل زمان .
القطبانية الكبرى : هي مرتبة قطب الاقطاب وهو باطن النبوة للرسول ﷺ
القاب : جوهر نوراني مجرد يتوسط بين الروح والنفس ، وهو الذي تتحقق
به الانسانية ويسميه الحكماء النفس الناطقة . والروح الباطنة ، والنفس الحيوانية
هي المتوسطة بينه وبين الجسد .

القيامة : الانبعاث بعد الموت - القناعة : الحياة الطيبة

(باب السكاف)

الكتاب المبين : اللوح المحفوظ المراد بقوله تعالى (ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين) - الكل : اسم للحق تعالى .
الكنود : في الشريعة تارك الفرائض : وفي الطريقة تارك الفضائل في الحقيقة
من أراد شيئاً لم يردده الله تعالى .

(باب اللام)

اللائحه : ما يلوح من نور التجلي - اللب : العقل المنور بنور القدس .
اللبس : الصورة العنصرية التي تلبس الحقائق الروحانية .
اللسن : ما يقع به الإفصاح الإلهي للأذان الواعية .
لسان الحق : الإنسان الكامل المتكلم بالله .
اللاواع : أنوار ساطعة تلمع لأهل البدايات من أرباب النفوس اصفية الطاهرة
فتنعكس من الخيال إلى الحس المشترك .
ليلة القدر : ليلة يختص فيها السالك بتجمل خاص يعرف به قدره ورتبته بالنسبة
إلى محبوبه .

(باب الميم)

ماء القدس : العلم الذي يطهر النفس من دنس العبادات .
مبادئ النهايات : هي فروض العبادات .
مبنى المنصوف : التمسك بالافتقار والتحقيق بالبذل والإيثار وترك التعرض والاختيار
المجنوب : من اصطغنه الحق لنفسه واصطفاه لحضرة الله .
المجال الكلية والمطالع : بدايات الأحوال ومفاتيح الغيوب التي تفتح بها مغالق
الأبواب المسدودة بين ظاهر الوجود وباطنه .
مجل الأسماء الفعلية : المراتب الكونية التي هي أجزاء العالم وآثار الأفعال .
مجمع الأهواء : هو حضرة الجمال المطلق - مجمع الاضداد : الهوية المطلقة .

المحبة الأصلية . محبة الذات عينها لذاتها .
محو أرباب السرائر . هو إزالة العمل والآفات .
محو أرباب الظواهر . هو رفع أوصاف العادة والحصال الذميمة .
محو الجمع والمحو الحقيقي . فناء السكثرة في الوحدة .
محو العبودية ومحو العبد . هو إسقاط إضافة الوجود إلى الأعيان .
المحق . فناء وجود للعبد في ذات الحق - المحاضرة . حضور القلب مع الحق .
المحاذاة . حضوره مع قلبه بمرافقة تذهله عما سوى الله حتى لا يرى غيره لغيبته
عن كل شيء - المحادثات . خطاب الحق للعبد .
المخدع . موضع ستر القلب عن الأفراد الواصلين .
المدد الوجودي هو وصول كل ما يحتاج إليه الممكن في وجوده على الولاء .
المراتب الكلية ، ستة : مرتبة الذات الاحدية ومرتبة الحضرة الالهية ومرتبة
للفنوس العالمة وهي عالم المثال وعالم الملكوت ومرتبة عالم الملك وهو عالم الشهادة
ومرتبة السكون الجامع وهو الانسان الكامل .
مראה السكون : هي الوجود المضاف للقلب - المسامرة : محادثه الحق للعبد في سره .
مستوى الاسم الاعظم : قلب الانسان الكامل - مسند المعرفة : الحضرة الواحدية
المستهلك : هو الغاني في الذات الاحديه .
المستريح من العباد : من اطلعه الله على سر القدر .
مشارك الفتح : هي التجليات الاسمايه
مشارك شمس الحقيقة : التجليات الذاتية قبل الفناء .
مشرق الضمائر . من اطلعه الله تعالى على ضمائر الناس .
المضاهاة بين الشؤون والحقائق : هي ترتب الحقائق السكونية على الحقائق
الإلهية التي هي الاسماء وترتب الاسماء على الشؤون الذاتية :
المضاهاة لللبس الحاصل بين الحضرة والأكوان . إن تساب الأكوان إلى حضرة
الوجوب وحضرة الامكان وحضرة الجمع بينهما .
المطالعة . لمحات الحق في قلوب العارفين

معالم ابواب الصفات : هي الأعضاء كالعين والأذن .
مغرب الشمس : هو استتار الحق بتعييناته واستتار الروح بالجلسد .
المعلم الأول ومعلم الملك ، آدم عليه السلام
المفيض اسم من أسماء النبي صلى الله عليه وسلم - المقام ، هو استيفاء حقوق المراسيم
مقام التنزل الرباني ، ظهور الوجود الحقاني في مراتب التعيينات
المكانة ، أرفع المنازل عند الله - السكر ، ترادف النعم مع المخالفة
الملك ، عالم الشهادة - الملكوت ، عالم الغيب
مالك الملك ، الحق تعالى - ممد الهمم ، الرسول صلى الله عليه وسلم
المنافسة ، حسن المعاملة
المنهج الاول ، إنقضاء الواحدية عن الوحدة الذاتية ؛ المنقطع للوحداني ؛ محل
انقطاع الاغيار
منتهى المعرفة . الحضرة الواحدية .
المهيمنون . الملائكة المهمة في شهود جمال الحق .
الموت : قبح هوى النفس - الموت الأبيض : الجوع .
الموت الأخضر . لبس الخاق - الموت الأسود . احتمال أذى الخلق .
الميزان . ما به يتوصل الإنسان إلى معرفة الآراء الصائبة والأقوال السديدة
والأفعال الجميلة .
المكاشفة - حضور بنعت البيان غير مفتقر إلى تأمل في الدليل أو تطلب
السبيل ولا مستوحش من دواعي الريب ولا محجوب عن نعوت الغيب
المشاهدة - حضور الحق من غير بقاء تهمة ارتياب
المجاهدة فطم النفس عن المألوفات وحملها على خلاف هواها
المراقبة - أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك
مخالفة النفس - عصيانها فيما تمنح إليه
(باب النون)

النبوة - هي الاختيار عن الحقائق الآلهية وهي على قسمين نبوة التعريف
وهي الأنباء عن معرفة الذات والأسماء والصفات ، والثانية ، التشريع وهي جمع

ذلك مع تبليغ الاحكام والتأديب بالاخلاق والتعليم بالحكمة والقيام بالسياسة
وهي الرسالة

النجباء - هم الاربعون القائمون باصلاح شؤون السالكين
النفس الرحمانى - الوجود الاضافى الواحدانى بحقيقته المتكثرة بصور المعانى
النفس - هي الجوهر اللطيف الحامل لقوة الحياة والحس والحركة الإرادية
النفس الامارة هي التي تميل إلى الطبيعة البدنية وتحجب صاحبها عن الرشد
النفس اللوامة - هي التي تنورت بنور القلب تنوراً ما
النفس الملهمة - هي التي ألهمها الله الفارق بين طريق الهدى وطريق الضلال
النفس المطمئنة - هي التي تم نورها بنور القاب بالكلية فاطمأنت إلى ربها
ورجعت إليه

نهاية السفر الأول - هو رفع حجاب الكثرة عن وجه الوحدة
نهاية السفر الثاني - هو رفع حجاب الوحدة عن وجوه الكثرة العلمية المستبطنة
نهاية السفر الثالث - هو زوال التقيد بالضدين باطنياً وظاهراً بالحصول في
أحادية عين الجمع

نهاية السفر الرابع - شهود اضمحلال الخلق في الحق
النوال - هبة الحق لأهل القرب
النون - العلم الاجمالى في الحضرة الاحادية
النور - اسم من أسماء الله تعالى
نور الانوار - سر الحق تعالى

(باب الهاء)

الهاء - اعتبار الذات بحسب الحضور والوجود
اللهو - الغيبة والفقد

همة الافاقة - الباعثة على طلب الباقي وترك الغنى - أولى درجات الهمة
همة الانفة - هي الدرجة الثانية الثابتة ، وهي تورث صاحبها الانفة من

طلب الأجر على العمل

همة أرباب الهمم العالية - هي الدرجة الثالثة والتي لا تتعلق إلا بالحق

الهوى - ميل النفس إلى مقتضيات الطبع

الهواجس - الخواطر النفسانية

الهواجم - ما يرد على القلب بقوة الوقت من غير تعمد العبد

الهيولى - اسم للشئ بنسبته إلى ما يظهر فيه من الصورة - كل باطن يظهر فيه

صورة يسمونه هيولى

الهيبة - الخشية من الله والانس به

باب الواو

الواو : هو الوجه المطلق في الكل .

الواحدية : اعتبار الذات من حيث انتشار الأسماء منها وواحديتها بها مع
تكثرها بالصفات .

الواحد : اسم الذات بهذا الاعتبار .

الوارد : كل ما يرد على القلب من المعاني من غير تعمد من العبد .

الواقعة : ما يرد على القلب من المعاني من عالم الغيب باستعداد لها في العبد .

واسطة الفيض وواسطة المدد : هو الانسان الكامل الذي هو الواسطة

بين الحق والخلق .

الوتر : هو الذات باعتبار سقوط جميع الاعتبارات فإن الاحدية لانسبة لها .

الوجود : وجدان الحق ذاته بذاته ولهذا تسمى حضرة الجمع حضرة الوجود .

وجهتا العناية : هما الجذبة والسلوك اللذان هما وجهتا الهداية .

وجه الحق : هو ما به يكون كل شئ حقا إذ لاحقيقة لشيء إلا به .

وجهة جميع العابدين : هي الحضرة الإلهية .

الوصف الذاتي للحق : هو أحدية الجمع والوجوب الذاتي والغنى عن العالمين .

الوصف الذاتي للخلق : هو الامكان الذاتي والفقر الذاتي .

الوصل : هو وحده الحقيقة الواحدة بين البطون والظهور .

وصل الفصل : شعب الصدع وجبر الكسر وجمع الفرق كما أن فصل الوصل :
ظهور الكثرة في الوحدة .

وصل الوصل - العود بعد الذهاب والعروج بعد النزول والوصول بعد القطيعة .
الوفاء بالعهد - العبادة للعوام والعبودية للخواص .
الوقت - ما حضر في الحال .
الوقت الدائم - وهو كناية الديمومة .
الوقفة - هي التوقف بين المقامين لقضاء ما بقى عليه من حقوق المقام الأول .
الوقوف الصادق - هو الوقوف مع مراد الحق .
الولى - من تولى الحق أمره وحفظه من العصيان .
والولاية - هي قيام العبد بالحق عند الفناء عن نفسه وذلك بتولى الحق إياه
حتى يبلغه غاية مقام القرب والتمكين .
الورع - ترك الشهوات .

باب الياء

الياقوتة الحمراء - هي النفس السكية لامتزاج نوريتها بظلمة التعاق بالجسم
بخلاف العقل المنفارق المعبر عنه بالذرة البيضاء .
يوم الجمعة - وقت اللقاء والوصول إلى عين الجمع .
اليقين - هو العلم المستودع في القلوب - وعليه العيان - وحقه الشهود .

تم بعون الله كتاب الحقيقة

قد تلقينا ما جاء في هذا المجلد من كتاب المفتاح وكتاب الشريعة وكتاب الطريقة
وكتاب الحقيقة عن سيدنا وشيخنا وقدوتنا إلى ربنا السيد محمود أبو الفيض المنوفي
قراءة وإملاء بالزاوية العامرة القريية من الرحاب الزينية بمصر .

القاهرة في سنة ١٣٨٠ هجرية - الموافق لسنة ١٩٦٠ ميلادية .

عزى زكى محمد الشعراوي
خادم الطريقة لفيضيه

فهرس الكتاب الرابع
وهو كتاب الحقيقة

صفحة	صفحة
٢٨٥	٢٥٧ كتاب الحقيقة
٢٨٧	٢٥٨ الكتاب
٢٨٨	٢٥٩ بيان الاحسان
٢٨٩	٢٦٠ حقيقة الاحسان
٢٩٠	٢٦٤ دعائم الاسلام، والايمان،
٢٩١	والاحسان
٢٩٦	٢٦٥ مدارج الاحسان
٢٩٨	٢٦٦ وسائل المعرفة
٣١٣	٢٧٠ الاحوال
٣١٤	٢٧٢ حال الخوف والرجاء
٣١٥	٢٧٥ حال الخوف
٣٢٢	٢٧٦ حال المحبة
٢٢٣	٢٧٨ علامات المحبة
الشاذلى شيخنا رضى الله عنه	٢٨٢ حال الشوق
٢٨٥	حال القبض والبسط
٢٨٧	حال القرب
٢٨٨	حال التجلى والبقاء
٢٨٩	الفرق بين العارف والغافى
٢٩٠	السكر والصحو
٢٩١	حال الوجد
٢٩٦	الحقيقة
٢٩٨	معجم مصطلحات الصوفية
٣١٣	مآثر مولانا أبى الفيص المنوفى
٣١٤	نسبته
٣١٥	مولده
٣٢٢	طريقته رضى الله عنه
٢٢٣	حياة ونسب سيدى أبى الحسن
الشاذلى شيخنا رضى الله عنه	

مَا نَزَّهَ قَوْلَنَا إِلَى الْفَيْضِ
وَضَعَهَا بَعْضُ رِجَالِ الطَّرِيقَةِ الْفَيْضِيَّةِ

رسالة جمعها بعض رجال الطريقة الفيزية الشاذلية في
حكم وأقوال ومآثر وحياة شيخهم السيد محمود أبي الفيز
المنوفى للشاذلى الحسينى رضى الله عنه .

(نسب سيدنا ومولانا السيد محمود أبو الفيض المنوفى رضى الله عنه)

الحمد لله الذى شرف آل بيت نبينا وجعل لهم نورا ساطعا وبرهانا منيرا
وألهمهم خلع البهاء والمكالم وحلاهم بالتقى وحسن الخصال ومدحهم فى كتابه العزيز
الذى أنزله على جدهم صلى الله عليه وسلم فكان للناس بشيرا ونذيرا وتعظيما لشأنهم
وتوقيرا قال تعالى (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا)
محمد بن سبطه الذى شرفنا بهم وجعل شيخنا رضى الله عنه من أصلاهم ومن أسباط
النبي وذريته وجعلهم وارثين لنوره الذى خصص بعترته الطيبة الطاهرة وهذا
إلى العمل بكتاب الله وسنته وأتم نعمته علينا ورضى لنا الإسلام ديننا وأشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة عبد مقصر فى شكره ضعيف عن حمل
أمانته إلا أن يعينه ويؤيده ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين
الحق ليظهره على الدين كله ذلك النبي الكريم الذى كان لحنانه وتعاطفه وتودده
وتواضعه يحمل أحيانا الحسن والحسين على ظهره أو يجلسهما على حجره وعلى
آله الذين صدقوا ما عاهدوا عليه الله ولم يغيروا تغيرا .

وبعد فهذه نسبة علوية وشجرة قرشية أصلها نابغ فى الأرض وفرعها فى السماء .
وقد جعل الله شيخنا بفضلته وعنايته وبرحمته منه فرعا من تلك الشجرة الزاهرة
وهذا نسبه رضى الله عنه مستخرجا من بحر الانساب المودع بتقابة الأشراف . فهو
السيد محمود أبو الفيض وأخوه إبراهيم وحسن أبناء السيد على بن السيد عمر بن السيد
إبراهيم أبو ماضى بن السيد ماضى بن السيد موسى بن السيد جعفر بن السيد الأمير
حمد ابن السيد أبو الجعافر بن السيد يوسف المغربى بن السيد إبراهيم بن السيد
عبد المحسن الفامى بن السيد حسين بن السيد محمد بن السيد موسى بن السيد يحيى
بن السيد عيسى بن السيد على التقي بن السيد الإمام محمد المهدي بن الإمام حسن
للعسكرى بن السيد على الهادى بن السيد الإمام على الجواد بن السيد الإمام على
الرضا بن السيد الإمام موسى الكاظم بن السيد الإمام جعفر الصادق بن السيد الإمام
محمد الباقر بن السيد الإمام على زين العابدين بن السيد الإمام الحسين بن على بن أبى طالب
وابن السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

مولده رضى الله عنه

ولد أستاذنا ومولانا السيد محمود أبو الفيض المنوفى بمدينة مغوف من مديريات
مصر ومن عائلة تلتقى إلى السادة الأشراف عن طريق سيدنا الحسين بن علي بن أبي
طالب رضى الله عنه وكرم الله وجهه وابن السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله
صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنها . ولد في ٢٣ ذو القعدة عام ١٣١٢ هـ الموافق ٣١ مايو
عام ١٨٩٢ م ونشأ في بيت علمى وكان والده من كبار رجال الأزهر والقضاء وعنه
كان من كبار رجال الله الصالحين ومن صلاح الأسرة وهبوا المولود وهو سيدنا
ومولانا السيد أبو الفيض المنوفى رضى الله عنه ، ولما وجد فيه من مخايل الخير والميل للحق
ولذلك بحث عنه أحد كبار مشايخ الطريق إلى الله في كل مكان ليبياعه لأن الله أمره
وأخبره باسمه ومكانه في المنام بواسطة النبي صلى الله عليه وسلم فجاءه واستأذن والده
في مبايعة نجله الكريم على عهد الله وميثاقه فرحب الوالد وأذن له بكل سرور وكان
يومئذ سيدنا ومولانا صغيرا فباعه الشيخ وباركه وأوصى والده خيرا بولده المبارك .
ومن هنا وجهته العناية الإلهية إليها . فأحب الحقيقة فتي وتعرف إليها شابا .
وأثابه الله الحكمه كهلا وترامت له أعقاب الألوهية شيخا ولا مطلب له من الله
في الدارين لإتمام العفو والعافية والرضى الإلهى في الحياتين وذلك حسبه وكفى .
فهذا هو المنى والحنى والسعادة العظمى . فاللهم اعطه ما سأل فهو أكرم الخلق
علينا في هذا العصر وأكرمنا بكرامته وبارك لنا فيه كما باركت على سيدنا محمد
وعلى آل محمد يارب العالمين .

فالسيد محمود أبو الفيض المنوفى أول داع في الديار المصرية بعد جمال الدين
الأفغانى والشيخ محمد عبده للأصلاحين الدينى والاجتماعى وأول مؤسس مجلة
إسلامية في ذلك العهد حيث لا مجلات ولا جماعات اسلامية وهى مجلة لواء
الإسلام عام ١٩٢٢ وأن الأزهر بعد صدور لواء الإسلام بمدة أصدر نور الإسلام
ثم مجلة الأزهر ثم أصدر الأستاذ أمين عبد الرحمن مجلة الاسلام بعد ذلك وقد
عين سماحة مؤسس الفيضين شيخنا لعموم السادة الفيضية الشاذلية بالبلاد المصرية
حين ذاك وكان يعقد المحاضرات بدار الفيضيين بشبرا بشارع التربة البولاقية
ويحضرها صفوة الفضلاء من أولى التصوف والعلم والأدب وذلك من عام ١٩١٨

إلى عام ١٩٢٦ م وفي عام ١٩٢٧ م أسس الكلية الصوفية والفلسفية بعمارة زغيب بميدان الأبرار بالقاهرة إلى عام ١٩٣٣ م وأهداها السيد الاستاذ إلى أحمد حمزة ثم أصدر بعدها مجلة الهلال ، وهي مجلة في ظاهرها التنشيط وفي باطنها الحكمة والتبكيث ثم أصدر بعدها د العالم الاسلامي ، وتصدر إلى الآن . وهي مجلة دينية علمية فلسفية تجمع بين هدى الايمان ونور العرفان ، والتوصل بقراءها الدائم إلى المعرفة الحقة فضلا عن أنها لسان حال للطرق الصوفية قبل إصدار مجلتهم المعروفة وبعد إصدارها صارت معاونته لمجلتنا في مضمون الخير . والآن نذكر لكم أيها السادة طرقا من أخلاقه وبعض سجايه بقدر ما نستطيع وكذلك بعضا من آدابه وحكمه وأقواله النفسية والأخلاقية والدينية والعلمية والصوفية وكذلك عن تعبيره عن الحقيقة الكبرى في (كتاب الوجود) وكتاب (وحدة الدين والفلسفة والعلم) على هامش كتاب الوجود وله غير ذلك مؤلفات عديدة ، وأما عن حياته فليست كحياة العلماء والمفكرين وإنما هي حياة عبد خصه الله بشئ لم يختص به كثيرين من عباده من قنوح وإلهام وفيوضات إلهية لأنه خلق ليعرف الحقيقة ويدعو الناس في كل الميادين من ميدان الصحافة وميدان الفن من ميدان الدين وميدان الفلسفة والعلم وذروة هذا كله ميدان التصوف الحق الذي بزقه أهل عصره لأنه علم من أعلام رجال التصوف فجاءه الله عنا وعن الأمة الاسلامية والعالم أجمع خير الجزاء . وقصدي من ذلك كله أن نعرف شيخنا في علمه وجهاده وإذا أردنا أن نعرفه حق المعرفة فتتوجه إلى الله عن طريق التصوف نجده هناك ههنا وهذا حسبى وكفى . أما الكلام عن أخلاقه فعلينا بها كما يأتي .

يا كاسي الاخلاق في زمن عن الاخلاق عارى
يا عاشق الخلق العر يح وشأنه الخلق المواري
لم يجر في ناديك هجر القول أو خلق المداير
جم التواضع والتواضع آيه القوم الكبار
وأما عن الحلم والعدل والكمال ... فثله فثل قول القائل :

لقد عاشرتنا فلبثت فينا مثالا للنزاهة والكمال
بحلم كان محمود المزايا وعدل كان بمدود الظلال
أما عن زهده فثل قول القائل

يا من صدقت عن الدنيا وزينتها فلم يفرك من دنياك مغريها

ماذا رأيت بأهل مصر حين رأوا أن يلبسوك من الأثواب زاهيا
فصحت يا قوم كاد الزهو يقتلني وداخلتني فيه حال لست أدريها
وكاد يصبو إلى دنياكم (أمل) ويرتضى بيع باقيها بفانيها
أما عن الافادة والاستفادة والتعليم وعن أهمية كتاب الوجود : نقول :

بالأمس قد علمتنا أدب الكتابة والحوار
واليوم قد ألفتنا بالطيبات من الثمار
بكتابك في الوجود صنو الحقيقة والمنار
جاهدت في تفصيله وواصلت إليك بالثمار

ما عما فيه من عطف ورحمة فمثل قول القائل :

في طي شدته أسرار مرحة للعالمين ولكن ليس يفشيها
وبين جنبه في أوفى صرامته فؤاد والده ترعى ذرارها

هذا ويحدثنا استاذنا عن السعادة فيقول :

إن كنت من الباحثين عن السعادة ، الراغبين في الحكمة ، الطامعين في رضا الحق
فاصغ لاسألك هل أنت على الهمة وثاب العزيمة ؟ هل أنت صادق القول والعمل
هل أنت مستقيم الطبع وسليم الفطرة ؟ هل تحب الله فوق كل شيء ؟ فإن لم تكن
هكذا فكأن ، وبغير ذلك لن توفق إلى معرفه نفسك وسر حياتك ولا حقيقة إنسانيتك
ولاشتم ربح السعادة والحريه والحكمة ولا تبصر نور الحق ولا يمكنك أن تحيي حياة
الصديق وعباد الله المخلصين ما لم تتصف بهذه الصفات .

ثم يتكلم سيادته عن الغاية والمبدأ فيقول :

كن أنت وجميع أعمالك في الله لله ومن الله وإلى الله وليكن دمك وقفا على مقاصدك
وأغراضك وليكن أبدا مبدؤك إما الغاية وإما المنية في النهاية .

ثم يتحدث عن محبة الإخوان لبعضهم فيقول :

عش في إخوانك لإخوانك . معتقدا أن الجميع لك باذلا في معونتهم نفيسك
ونفسك فما أنتم الا روح واحدة في أجساد متعددة .

ويقول الإخلاص روح الاعمال وهو سر الله في خلقه . بين به على من يشاء من عباد الله

واستخلصنا ما اشتغلت عن الاعمال بالافعال ، وعن الآخرة بمصائد الآمال ، أو انفعلت لغير الله بأى حال .

ثم يتحدث عن الصلاة والصيام والزكاة فيقول .

لأعلم أن أفضل ما أدته جوارحك الصلاة ، لأنها صلة بين العبد ومولاه . والخشوع مع الحضور فيها كما لها . وخير طهور للنفس الصيام ، وصيانة الجوارح ملاكه ، وأعود أنواع البر على فاعله الزكاة ثم الصدقة سيانها ورأس الجميع خلوص النية وأفضلها ما صدر عن علم ، وخير العلم ما أيده العمل وأفضل العمل ما كان لله وحده .

ثم يتحدث عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيقول :

أيها الأخ أأمر بالمعروف وأحبيب أهله ، وأنه عن المنكر بيدك ولسانك وقلبك ولا تكن من أهله وكن صديقا للحق وانصره حيث وجدته ، ولا تخش فيه لوما ولا ذما ولا ترج على صنيعك من غير الله أجرا وقل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا وكن مع الصادقين لانهكون منهم يوم ينفع الصادقين صدقهم . ثم يتحدث عن الثقة بالله فيقول .

ثق دائما بربك ، وتفقه في الدين ، واطلب من العلم ما يثبت اليقين ، والجا في المعونة لمولائك ، فإنك تلجأ إلى ركن متين وحصن حصين

ثم يتحدث عن الابتعاد عن المهالك فيقول .

لا تكن عبد شهوتك وقد خلقت حرا ولا تسلم قلبك لاهوائك فتبدل نعمة الله عليك كفرًا ولا تذل للدنيا فتسلك بك مسالك الردى وباخيمة المسعى . ولا تخضع للهوى فإن الهوى عدو الهدى وشريك العمى . ثم يقول : كن دائما بقظا متحفظا . وأن نازعتك نفسك في أمر فاعصها واغلبها على أمرها . وسر في عكس طريقها واطلب غير مرادها يسأس لك قيادها ويكبح جماحها ويذل سلطانها .

ثم يرشد إلى الحقيقة فيقول

أعلم أنك خلقت للموت لا للحياة ، وللجهاد ولا للراحة ، وللإبتلاء لا للعافية واعلم أنك عرضة الافات ومرض المصائب والنائبات ولا سعادة لقلبك إلا في صحبة ربك . واعلم أن الذى وهبك الحياة هو المالك لموتك فاعمل على خلاص نفسك ، ومهد في حياتك لموتك ، واستخدم يومك لغدك ولا تكن عبدا إلا لربك . ويتكلم

عن المجد الحقيقي فيقول : يا له مجدا خالدا وعملا مجيدا أن تطالب العلم للعلم وأن تخدم
الإنسانية لذاتها وتعرف الله لله

ثم ينهانا عن حب الدنيا فيقول .

لا تفتح لحب الدنيا نافذة قلبك . ولا تنجس برخيص ملذاتها حظيرة نفسك
فيمتدح لبك ويكثر همك ويكثر كمن اشترى لاحتراق نفسه حملا من حطب ، او
وضع رجله في قيد من ذهب . ثم يوجهنا إلى أعظم الأعمال فيقول :
عليك بذكر الله في جميع حالاتك وفي سائر أوقائك وحذار من الغفلة عنه في
كل لحظتك ويكفيك في وجوبه القول المصون . واذكروا الله كثيرا أيها
المؤمنون لعلكم تفلحون ،

ثم يحثنا على مراقبة النفس فيقول

ولتكن لك ساعه في يومك وإيمانك ترجع فيها إلى ربك مفكرا في
ميتدتك ومصيرك محاسبا نفسك على ما أسلفت من أيام عمرك ، فإن وجدت
خيرا فاشكر وإن وجدت نقصا فجاهد واصطبر .

ثم يحثنا على الصدق في القول والعمل والحال فيقول:

كن صادقا في قولك وعملك محبا للخير لجميع الناس كما تحبه لنفسك ، واعلم ان
جميع افكارك أو هام باطله ما لم تكن إلى الله موجهة وبالصدق والاخلاص مكملة
ثم يحثنا على التمسك بالكمال دائما فيقول

تمسك بأذيال الكمال طول حياتك واهرب من النقص بكل طاقتك . وعليك
بالصمت والتفكير في غالب أحيائك . وليكن كلامك نذرا قليلا إلا في حق تؤيده
أو خير تنشره وليكن دائما عملك أكثر من قولك وقولك أقل ما تسمع فإن مع الصمت
والسكون الوقار والسكينة فإذا حدثت فأتد في حديثك وتكلم بأرادة ثابتة مشمولة
بالافتناع يحدهه الاخلاص في جميع عباراتك وإشاراتك وحركاتك ونبرات صوتك
ثم يأمرنا بالعمل فيقول

اعط للعلم باكورة أيام عمرك وأصفي ساعات دهرك ، فإن العلم غذاء النفس
وصقال العقل ونور القلب وأحييه دائما بالعمل فتكمل إنسانيتك ويرتفع عند الله

والناس شأنك ، هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، ويقول في بيت له
إن حياة المرء أعماله فأقبل على الأعمال قبل التراب

فيما أيها الأخ الكريم.. هذه لمعة وضئيفة أزفها إليك للتعرف بعמידا الفيضيين وتلاميذه
الذين كانوا وما زالوا يعملون على نشر دعوته منذ أكثر من أربعين عاما في جميع
أنحاء العالم (مسلم وغير مسلم) يحملون مشعل النور فيضيء للجميع ويهدي إلى
الايمان الحق ونور العرفان وإلى الطريق المستقيم

ونختم نصائحه وآدابه العلمية والدينية والاخلاقية والصوفية وهي الجم الكثير
بمختارات من قصيدته الوجدانية الثائية التي هي جوهره في السلوك وبخطاب به
الحقيقة الربانية فيقول في مناجات الحقيقة

وجدت هواكم قاندى منذ نشأتى فغبت عن الأكون إذا كنت وجهى
ومعت بكم والحب فيكم مصاحبى مدى العمر والأشواق كانت مطبقى
وفي القلب لم يخطر سواكم بخاطرى ومذ كنت طفلا كان حبك قدوتى
إلى أن قال :

فبذكركم قلبى وما بحت باسمكم لغير فؤادى أو لغير سريرى
وما طمعت فى الحب نفسى لغيركم وما غير ذاتى قرب ذاتى أحبى
ولانى من القوم الذين تقيموا غراما وعهدى فى الهوى قبل خلقى
وفى القلب نيران وفى العين وحشة من الخلق والأسقام دوما قرينى
إلى أن قال

فحينما بحسكم الروح أطمع للعلا وتهبط بى حينما كشافة طينى
وطورا أرانى حاضرا غير غائب وطورا أرانى فى غياهب غفاقى
فما يصنع العانى أسير جمالكم وشرط الهوى فيكم فناء الإرادة
إلى أن قال

فخلصنى من أسر الطبيعة واهدنى بنورك يا الله وأوصل قطيعتى
وأنعم بتطهير الفؤاد من الهوى وجدلى بتوفيق ومن بأوية
ففى القرب روح حقا وفى اللقا حياة لنفس فى الغرام اطمأنت

وفي البعد لوعات وفي القرب رحمة وفي الوصل راحت إذ الحب ملق
ثم تكلم عن بحثه عن الحقيقة وتحمله المشاق في سبيلها فقال

ولاني بليل قد منيت وساقني غراي لذلي بين أهلي وعترتي
وكم من طريق للحمى قد سلكها وحملت فيها غصة بعد غصة
وقاسيت ما قاسيت من ألم الجوى وكرعت من كأس الهوى كل مرة
فلما قرعت الباب قصد لقاها خلعت لها جامي وعلمي ودعوتي
وحققت وصفي وهو ذلي لعزها وعاديت فيها حظ نفسي وعادتي
وجئت إليها خاضعا متضرعا منيبتها لها كيما تكون بجيتي
وعفرت خدي في التراب تذلا فكان فلاحى في افتقاري وفانتي
فألفيت عزى في أمثالي لأمرها وترك مرادى في مراد الاحبة
ولما رأيت ذلي وعجزى ولوعتي تجلت إلى قلبي بمكنون حكمة
وقرنت الساقى لجان شرابها فكان بها صحوى وسكرى ونشوى
وصارت تاجيني بحلو خطابها فشاهدتها لكن بعين بصيرتي
وعاينت أسارا تسامت بذاتها ولاني أرى شرحى لها فوق طاقتي
ثم ينصح تلاميذه وإخوانه بقوله إذا أرادوا أن يسلكوا مسلكه :

وأنت كذا إن رمت قرب ديارها تجرد لها عن وصف نفس خؤونة
وسر في هواها دائما بجماها وطلق سواها واعتصم بالشريعة
وهاجر إليها من حظوظك قاطعا علائق طبع مؤثرا فضل عفه
وواظب وثابر واعتكف لمرادها وراع آداب الحب واخضع لخدمه
وقابل جفا المحبوب بالصبر واثبت لعل الرضا منك قريب فثبتت
فقلبك طهر وامثل لأوامر وعمر لاوقات بذكر ويقظه
وصبر وتسليم وورد ملازما وأمر بمعروف وحفظ لحرمة
وصحبة شيخ وهى أصل طريقهم فما ثبتت أرض بغير فلاحه
وما سلمت في الحى شاة شميدة ومن غير راع ما استقامت رعيه
ونفسك فاعرفها ولا تلك جاهلا بها فهى كنز بين جنبيك ضمت

ألم تر ضرب الله أمثال نوره لدى القلب بالمصباح ضمن زجاجه
فقلبك كالمصباح والنفس زيته وجسمك مشكاة وفيك الاضاءة
وذاذك مرآة وفكرك ضوءها وسرك عين والحقيقه صورة
لجاهد ترى تفصيل ما قلت واضحا فما ضاع عند الله مثقال ذرة
وكن كاملا للسر عن غير أهله ولا تفشه إلا لأهل البصيرة
إلى أن قال :

صلاة من الرحمن ربي وخالفني على مظهر الأسرار خسر الخليفة
مع الآل والأصحاب ما قال قائل وجدت هواكم قائدى منذ نشأتى
ففسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل أستاذنا مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا . ذلك فضل الله يؤتيه من
يشاء والله ذو الفضل العظيم ، أقول قولى هذا - « واستغفر الله لى ولكم » ؟

طريقته رضى الله عنه

هذا وقد من الله علينا من فضله وعنايته بأن تتصل الطريقة الفيضية بأفضل مصادر
الشاذلية ومواردها الهنية وسلاسلها الذهبية المتينة الوثائق والعرى حتى تلتقى بخير
البرية وصفوة الأرومة العلوية والعمرة النبوية المطهرة فقد أخذ شيخنا أبو الفيض
المنوفى رضى الله عنه العهد بالطريقة الشاذلية القاسية والمدنية الظافرية والشاذلية
الخلوتية من طريق مرشد المريدين ومربي السالكين السيد محمد العقاد دفين طنطا
وجدد الميثاق على يد العارف المجاهد فى الله أخيه فى الطريق سيدى نسيم الدين الدرملى
وهما أخذوا الطريق عن سيدى محمد الوفاى وأخذ عن السيد حسنين الحصافى
للقبرك والحصافى والوفائى يجتمعان فى الأخذ عن سيدى محمد القاسى وهو أخذ عن
سيدى الشيخ القطب محمد ظافر المدينى وهو أخذ عن السيد الشريف مولانا العربى
الدقراوى القاسى وهو عن القطب الشريف سيدى على الجمل العمرانى القاسى

وهو عن سيدي العربي بن أحمد بن عبد الله الفاسي وهو عن والده سيدي أحمد
الفاسي وهو عن سيدي قاسم الإخصاصي عن سيدي عبد الرحمن الفاسي عن سيدي
عبد الله والد سيدي أحمد الفاسي عن سيدي يوسف عن سيدي عبد الرحمن المجذوب
عن سيدي علي الصنهاجي عن سيدي إبراهيم إكخام عن البحر الدفوق سيدي الشيخ
أحمد لروق عن سيدي أحمد ابن عقبة الحضرمي عن سيدي الشريف يحيى القادري
عن السيد علي وفا عن والده بحر الصفا سيدي محمد وفا عن سيدي داود الباخلي عن
سيدي أحمد بن عطاء الله السكندري صاحب الحكم عن سيدي أحمد أبو العباس المرسي
عن سيدي علي أبي الحسن الشاذلي عن سيدي عبد السلام بن مشيش عن سيدي عبد الرحمن
المدني المطار عن تقي الدين الفقير (الفقيه بالتصغير) عن سيدي فخر الدين عن سيدي نور
الدين أبي الحسن عن سيدي تاج الدين عن سيدي شمس الدين بأرض الترك عن
سيدي زين الدين القزويني عن سيدي إبراهيم البصري عن أبي القاسم بن مروان
عن أبي محمد سعيد عن أبي محمد فتح السعود عن أبي سعيد الفزواني عن سيدي أبي
محمد جابر عن السبط سيدنا الحسن ابن الإمام علي بن أبي طالب وأخذ الإمام علي
عن صفوة خلق الله سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله أول خلق الله وخاتم أنبياء
الله وأشفع الشافعين عند الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ومن والاه آمين

(حياة ونسب سيدي أبي الحسن الشاذلي شيخنا رضي الله عنه)

هو أبو الحسن الشاذلي شيخنا وقد وتنا في سبيل الله وفي طريق رسول الله الشيخ
الكامل والولي الصديق الحبيب النسيب السيد أبو الحسن الشاذلي الحسني بن
عبد الله بن عبد الجبار بن تميم بن هرم بن حاتم بن قهص بن يوسف
بن يوشع بن ورد بن أبي بهال بن أحمد بن محمد بن عيسى بن محمد بن الحسن المثنى
بن سيد شباب أهل الجنة أبي محمد الحسن بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب
كرم الله وجهه وابن فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولد رضي الله عنه ثلاثاً وتسعين وخمسمائة من الهجرة النبوية سنة ٥٩٣ هـ بقرية
من قرى غمارة من إفريقية قريبة من سبته وهي بالمغرب الأقصى وتوفي سنة ٦٥٦ هـ
ودفن بهجرأ عذاب من صحارى صعيد مصر واشتغل بالعلوم الشرعية حتى أتقنها

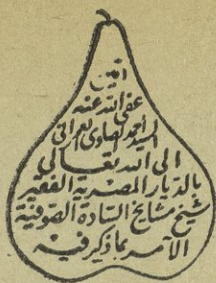
فقهها وسنة وتفسيرها . وكان رضى الله عنه فصيح اللسان عذب الكلام آدم اللون
نحيف الجسم طويل القامة خفيف العارضين طويل أصابع اليدين شين للكفين
وقد حكى عن نفسه رضى الله عنه فقال :

كنت في مبدأ أمرى أطالب العلم حتى حصلت منه على ما يكفينى وأردت أن أسألك
إلى الله طريقه فترددت في هل أجوب البرارى والفقر أنفرغ للطاعة والأذكار ؟
أم ألزم المدن والأمصار للهداية والاقتداء بالأخيار ؟ فوصف لى ولى برأس
الجميل الأخضر وهو سيدي عبد السلام بن مشيش فصعدت إليه فسمعت
يقول : اللهم إن قوما سألوك أن تسخر لهم خلقك فسخرتهم لهم فرضوا عنك
بذلك . اللهم إني أسألك أعوجاج الخلق على حتى لا يكون لى ملجأ إلا إليك .
فلما دخلت عليه هبته وقلت له يا سيدي كيف حالك فقال أشكو إلى الله من برد
الرضا والتسليم كما تشكو أنت من حر التدبير والاختيار . فقلت يا سيدي أما شكواي
من حر الاختيار فقد ذقته وأنا الآن فيه وأما شكواك من برد الرضا والتسليم
فلماذا ؟ قال أخاف أن تشغاني حلاوتهما عن الله تعالى قلت يا سيدي سمعتك البارحة
تقول اللهم إن قوما سألوك أن تسخر لهم خلقك فسخرت لهم خلقك فرضوا
منك بذلك : اللهم إني أسألك أعوجاج الخلق على حتى لا يكون لى ملجأ إلا إليك
فتبسم ثم قال يا بني عوض ما تقول سخر لى قل يارب كن لى .
أترى إذا كان الله لك . هل يفوتك شيء ؟

فطريقة سيدي أبي الحسن الشاذلى رضى الله عنه تنسب إلى الشيخ عبد السلام
ابن مشيش والشيخ عبد السلام بن مشيش ينسب إلى الشيخ عبد الرحمن المدني ثم
واحدا عن واحد إلى الحسن بن علي بن أبي طالب كما ذكر . انتهى والله اعلم .

عن الاخوان الفيضين
حسن الراعى يوسف بالأزهر الشريف

(تم بهيون الله)



مشيخة عموم الطرق الصوفية
الملك فيصل



صدر هذا التقرير التكرم الواجب تلقيه بالاحترام والتعظيم من مشيخة لادة الصوفية بالهار المصرية
أمر بتحريره وتسطيره صدر المصور العظام علامة الملك مولانا الأستاذ شيخ الشايخ الصوفية
صاحب السباحة والبيادة والرياحة الأستاذ الشيخ أحمد الصاوي المعراني زيد قدره ودام علاه ومضمون
هذا التقرير الشريف والتقليد المذنب أنه لما رأى سماحة في حضرة الشيخ محمد السبيحي
الشيخ الفقيه الحنفى الكفاءة في الأعمال وصحت لديه منه غلات الفضل والكمال فسله وطبعة مشيخة
الهارقة الفاضلة بشاذله علما

بناء على قرار صادر من المجلس الصوفي بتاريخ يوم ١٣/ صفر ١٣٧٠ هـ الموافق ٢٠/ نوفمبر ١٩٥٠ م

وقرره في ذلك ومكته وبته وآفته وأمره بتقوى الله تعالى التي هي شعار المؤمنين اجمعين وقد حصى الله أوليائه وأهلياً ومصادم في حكم كتابها فقال من قال : يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين . وأمره بأرشادهم إلى الصراط المستقيم والنظر في تضاميم البطل والافتفاف وعدم الخور والاعتفاف وعليه أن يعمل عمل طاهر عظام من كل ما يخالف الكتاب والسنن وتزيت نفوسهم بأداب الشريعة الفراء والحجبة البيضاء حتى يتخلوا بأخلاق الفاضل ويصلوا إلى مرتبة الإنسان الكامل ويتزهروا عن كل بدعة ذميمة وعادة غير مستقيمة وعليه أن يسعى في تأليف قلوبهم على الله والتقوى وأن لا يخلص عنه أو ينيب إلا من كان حائزاً من الفضل والكمال أو فرض نصيب أهل القيام بما تقدم من الأعمال ومن الله التوفيق ويطلع الأكال

تحريراً في ٢٥/٨/١٩٥٠م الموافق ٢٤/نوفمبر ١٩٥٠م شيخ مشايخ الطرق الصوفية

شیرین: انصاف

7

عمل بدوثر الشيخة العامة تحت مرقعة ٣/٥ بتاريخ ٢٢ / نوفمبر ١٩٥٠ م

مكتبة المشيخة العامة
بالحرم الشريف

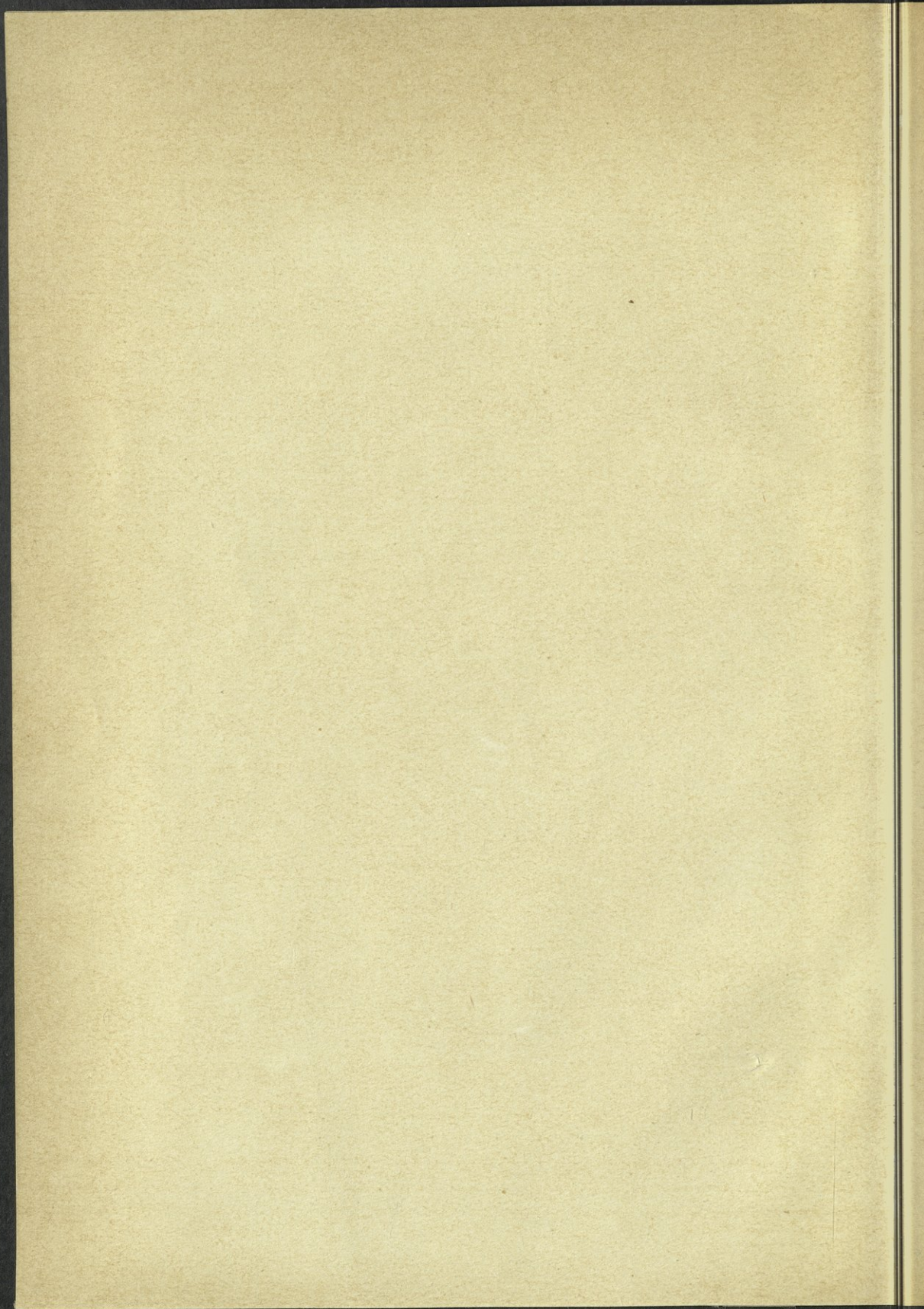
صورة الاجازة باعتماد ونشر الطريقة الفيضانية من مشيخة علوم الطرق الصوفية
باليوم ربه العربيه المتحدة

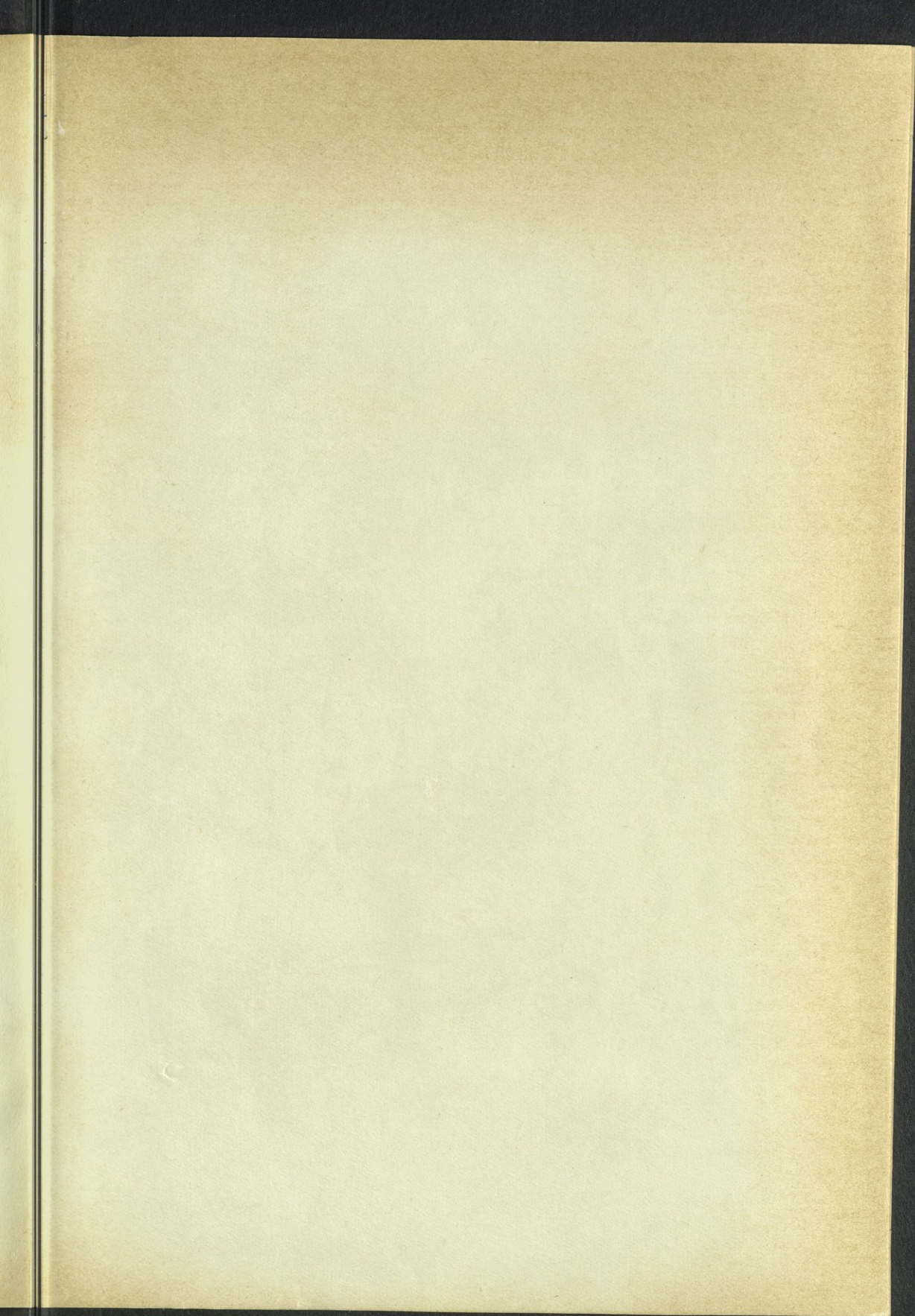
انظروا صهيحة لم يباشر المؤلف التصحيح بنفسه فالمرجو تصحيح هذه الأخطاء المطبعية قبل القراءة

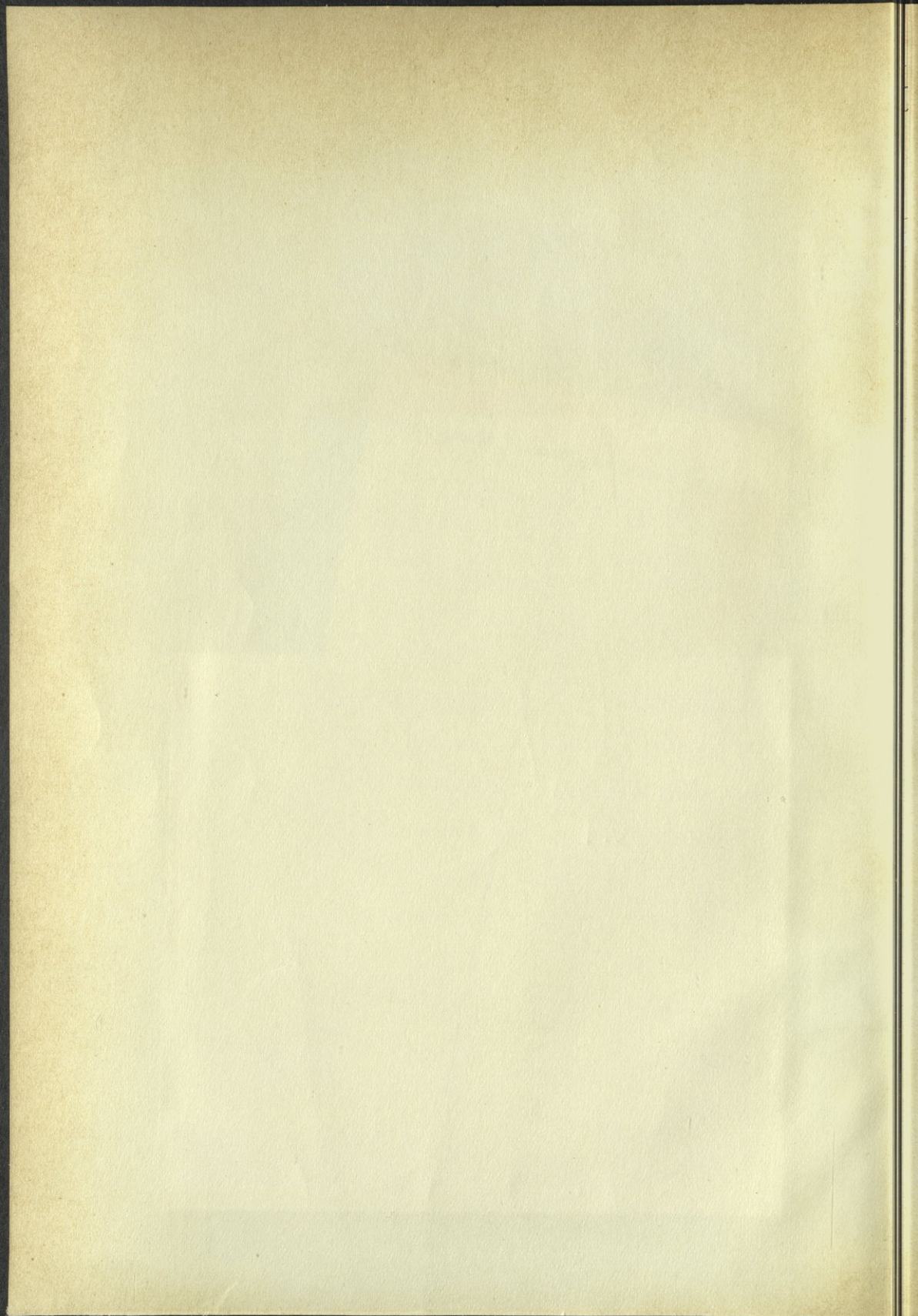
ص	سطر	خطأ	صواب	ص	سطر	خطأ	صواب
٣	١٤	لارب له ولا	لارب ولا	٣٨	٣	الفلسفة	الفلسفة
٥	١٤	جمره	جمره	٤٩	١٣	السكر بوك	السكر بوك
٨	١٢	الحاجه	الحاسه	٥٣	٦	فتحها	فتحها
٩	١٣	يتذكر	يذكر	٥٥	١٤	الشخص	الشخص
١١	٧	وحقيقة	وحقائق	٥٦	١	سبع	سبعة
١٢	٦	كل تجليا	كله تجليا	٥٩	١١	فريقا	فرقا
١٣	٢	امتد	استمد	٦٠	٥	يتوحدنا	يوحدها
١٤	٢	المجض الحق	بمحض الحق	٦٣	١١	منعاه	معناه
١٤	٦	التحقيق	التحليق	٧٩	٢٢	أو شروطها	أول شروطها
١٤	٧-٦	الحائق الهية	الحقائق الالهية	٨٢	١٥	ثلاث	ثلاثة
١٤	١٠	طاب	خاب	٩٤	١	ولا ولا	ولا أولا
١٤	٢١	لا يشبر	لا يسبر	١٠٢	٤	خلق	خالق
١٤	٢٣	لما هيئ للنور	لتلقى النور	١٠٢	١٣	من القدوس	من القدس
١٥	١	مقادير	مخاطر	١٠٤	٤	بأه	بمساة
١٥	٢	تبخسوا	تبخسوا الناس	١٠٦	١٢	افاه	أفناه
١٥	٥	أخرى	أخى	١٠٦	٢٥	كمور	كون
١٥	١١	أن إغراق	إن أغراك	١١٠	١١	والكميات	والكميات
١٥	١٦	نيفشه	نيفشه	١١٣	١١	واوقات	والاوقات
١٦	١	يصد	يصعد	١١٣	١٧	موجود	موجودا
١٦	٧	وصلا	وصل	١١٥	١٧	ليلا	دليلا
١٦	٢٢	للعقليه	للعلمية	١٢٠	٧	علم	علمه
٢٦	٢٥	قادرين	قادرون عليها	١٢٠	١٢	ضرورة	ضرورة
٢١	٢٣	الاكما	الاكتمال	١٢٢	١٦	الحيلة	الحياة
٢١	٢٤	الحق	إلى الحق	١٢٢	٢٠	الكائنات	الكائنات
٢٩	٢٤	الم	العام	١٢٢	٢٥	آيايا	آياتنا
٣٠	٨	نسهما	نسقهما	١٢٧	١٤	يؤمن	يؤمنون
٣٢	٣	والجوبة	والتعجربة	١٤١	١	لهواه	لهواه
٣٢	٤	جرد	بمجرد	١٤٣	١	الترفع	الترفع
٢٣	٢٥	والمكاتبة	والمكاتبة	١٤٤	٩	يتعمق	يتعلق
٣٦	١٧-١٤	أولو	أولوا	١٤٨	٧	يمنع	يمنع

ص	سطر	خطأ	صواب	ص	سطر	خطأ	صواب
٧	١٥٠	الشدطن-القدر	الشيطن-القدر	١٩	٩٥	تسنن بككة	تظنن بككة
٥	١٥٦	بآياننا	بآياتنا	١٠	١٩٥	نجد لها مر	تجد لها من
٥	١٦٢	أوفارة	الوفادة	١١	١٩٦	لثانها	لثباينها
٢	١٦٣	بالاسعاة	بالاستطاعة	٢	١٩٧	في شقى	في شىء
٤	١٦٣	العاءات المتوزنة	الطاعات المتوزنة	٩	١٩٧	المخص	المخلص
٨	١٢٤	توة	توبة	٤	١٩٨	الفس	النفس
١٣	١٦٤	لبصلك	لبصلك	٤	١٩٨	لعدارة	بالعداوه
٤	١٦٦	فتعى	فتقى	٩	١٩٨	أبو حره	أبو حمزة
٦	١٦٦	حاليا	خاليا	١٤	١٩٨	الأوراء	الأوراد
٧	١٦٦	بالعا	بالعا	٢	٢٠٠	كادوا	فكابدوا
٩	١٦٦	المسكر	المنسكر	١٩	٢٠٠	لينفة هوا	لينة هوا
٢	١٧١	الغار	الغار	١٧	٢٠١	وقل	وسعى
١٨	١٧١	لنيجعلنه ربيط	لنيجعلنه ربيط	٢٤	٢٠١	نخالفا	نخالفا
٨	١٧٦	العطواف	العواطف	٣	٢٠٢	بثت	بائيات
١٠	١٧٦	الافكار	الافتقار	١٢	٢٠٢	والبيظ	والتيقظ
٧	١٨٠	أسو	تأسوا	١٧	٢٠٣	ممله	يمثله
١٠	١٨٢	داه الدين	دواء الدين	٦	٢٠٥	لأنبات المسكرين	لأنبات المنسكرين
١٤	١٨٥	خلفتك	خلفتك	٤	٢٠٦	أما	إسما
١	١٨٧	القاعة	القناعة	١٤	٢٠٦	ولارلة	ولازالة
٧	١٨٧	والخلال	والخلال	٢	٢٠٧	مى لزياء	تمى الزيادة
٨	١٨٧	لا يعدوا وتخلية	لا يعدو وتخلية	١٠	٢٠٧	لم تر	ألم تر
٧	١٨٩	العين	الفتن	١١	٢٠٨	للطريق	للطريق
١٢	١٩٠	الانزار	الاعتزاز	٤	٢٠٩	شمود	شهود
١٠	١٩٩	وآوا	وآنوا	٢٠	٢٠٩	الطمانينه	المطمئنة
١١	١٩١	المسكر	المنسكر	١	٢١٠	الكلى	الكلى
٢	١٩٤	افعه له لانناع	أفعاله لامتناع	٥	٢١٠	زكاه	زكاها
٥	١٩٤	يحلله	يخلقه	٩	٢١٠	وللسلك	وللملك
٧	١٩٤	فى	فى	٢٣	٢١٠	انقوا	انقوا
٧	١٩٤	غلاته	غفلاته	٣	٢١١	السكينة	السكينة
١٠	١٩٤	اوح	الروح	١٢	٢١١	أمكه	أمكنه
١٢	١٩٤	ومى	مرمى	١٥	٢١٢	وذوا	وذو

صواب	خطأ	ص سطر	صواب	خطأ	ص سطر
عزيراً	هزيراً	١٦ ٢٤٤	عبد	عبد	٢٢ ٢٤٤
صبروا	صروا	١ ٢٤٥	لتصنع	لصنع	١٩ ٢٤٥
الخطافات	الخطفات	٥ ٢٤٥	اختلفت	اختلفت	١٢ ٢٤٦
واسمغ	واسغ	١١ ٢٤٦	مقام	مقام	١٥ ٢٤٨
الشكر	النسكر	٧ ٢٤٧	الانذنية	الانذنية	٨ ٢٤٣
فتوكلوا	فوكلوا	١ ٢٤٨	فقال	فقال	٢٠ ٢٤٣
لطف	لف	١٠ ٢٤٨	الحيوانى	الحيوانى	٧ ٢٢٦
الغناء	الغناء	٨ ٢٥١	النوب	النوب	٧ ٢٢٩
والميثاق	وايثق	٦ ٢٥٢	فتوبوا	فتوبوا	٩ ٢٢٩
استسعار	استسعار	٧ ٢٥٢	أوائك	أوائك	١٨ ٢٢٩
يباعونك	يباعوك	١٣ ٢٥٤	الزائد	الزائد	٦ ٢٢٣
أهل	هل	٨ ٢٥٨	وانذلة الجامعة	وانذلة الجامعة	٢ ٢٢٥
ويشمته	ويشمته	٩ ٢٦٤	اتباع	اتباع	٣ ٢٣٦
تلقية	تلقية	٦ ٢٦٩	الخوش	الخوش	١ ٢٣٧
مناقضا	مناقضا	٦ ٢٧٠	تقطن	تقطن	١٠ ٢٣٧
كالنوبة	كالنوبة	٤ ٢٧٨	بأن ذلك	بأن ذلك	٣ ٢٣٨
الشبلى	الشبلى	٦ ٢٧٩	فيصير المتشبه	فيصير المتشبه	١٣ ٢٣٨
ألهى	ألهى	١ ٢٨١	الورع	الورع	٣ ٢٤٠
كذود	كذود	٥ ٢٨١	الزهد	الزهد	٥ ٢٤٠
بالفين	بالفين	١ ٢٨٦	أن القناعة	أن القناعة	٥ ٢٤٠
والصحور	والصحور	١٦ ٢٩٠	تحلى	تحلى	١٠ ٢٤٠
الحاق للخالق	الحاق	٧ ٢٩٦	دابك	دابك	١٠ ٢٤١
م	هما	١٥ ٢٩٨	بدنك	بدنك	١١ ٢٤١
وحياة شيخهم	وحياة شيخهم	٤ ٣١٣	فأغنى	فأغنى	٧ ٢٤٣
وأخوه	وأخوه	١٧ ٣١٤	بالعدة	بالعدة	١٠ ٢٤٤
الصديقين	الصديق	١٨ ٣١٧	وصاروا	وصاروا	١٤ ٢٤٤







297.04 M29mA

المنوفي

معالم الطريق الى الله .

297.04

M29mA

المنوفى، محمود ابو الفيض
معالم الطريق الى الله في الجمع بين ا

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01005822

704
9mA